مولانا
شمس الدين التبريزي



هكذا تكلم تبريزي

أحاديث الشيخ والمريد

1



ترجمة عن الفارسية وتقديم وتعليق د. منال اليمنى عبد العزيز

مقدمــة

شمس الدين التبريزي:

يشتمل هذا الكتاب على ترجمة لمجموعة من مقالات شمس الدين التبريزي م 645هـ. و هو محمد بن علي بن ملك داد، الملقب بشمس الدين، المنسوب إلى تبريز، والمشهور بشمس الدين التبريزي (1). وقد لقبه جلال الدين الرومي م 672 هـ بألقاب كثيرة منها: «خداوند خداوندان اسرار» أي سيد سادات الأسرار، و«جان جان جان» أي روح روح الروح، و«سلطان سلطانان جان» أي سلطان سلاطين الروح، و«نور مطلق» أي النور المطلق(2). وكانوا يُطلقون عليه في تبريز الكامل التبريزي(3).

(1) انظر: نور الدين عبد الرحمن جامي: نفحات الانس من حضرات القدس، ص 296، د. ذبيح الله صفا: تاريخ ادبيات در ايران از اوايل قرن هفتم تا پايان قرن هشتم هجرى، جلد سوم از اوايل قرن هفتم تا پايان قرن هشتم هجري، بخش اول، چاپخانۀ تابش، چاپ هفتم، تهران 1369، ص 454، جلال الدين همائى: مولوى نامه، مولوى چه مى گويد؟ جلد دوم، ص 1039، بديع الزمان فروزانفر: مولانا جلال الدين محمد مشهور به مولوى، انتشارات معين، تهران، چاپ سوم 1387، ص 87.

(2) انظر: شمس الدين محمد تبريزي: مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، شركت سهامى خوارزمى، چاپ چهارم، تهران، دى ماه 1391 هـ.ش، ص 20 من مقدمة المصحح.

(3) انظر: شمس الدين احمد افلاكي: مناقب العارفين، باتصحيحات وحواشى وتعليقات بكوشش تحسين يازجي، دنياى كتاب، چاپ دوم، تهران 1362، جلد دوم، 615.

يرجع أصل شمس الدين إلى ولاية بازر التابعة لإقليم خراسان، لكنَّ أباه كان قد قدم إلى مدينة تبريز للتجارة، وفيها وُلد شمس الدين في سنة 582 هـ (4).

(4) انظر: امير دولتشاه بن علاء الدوله بختيشاه الغازى السمرقندى: كتاب تذكرة الشعراء، بسعي واهتمام وتصحيح

ادوارد برون انكليسى، ليدن، 195. بديع الزمان فروزانفر: مولانا جلال الدين محمد، ص 88.

يقول جلال الدين الرومي:

أنت مفخرة تبريـــز يا شمس الدين

والبوح بأسرارك غير مباح(5)

(5) مفخر تبريز توئى شمس الدين

گفتن اسرار تو دستور نيست

شمس الدين تبريزي: مقالات شمس، تصحيح محمد علي موحد، ص39 من مقدمة المصحح.

ورث شمس الدين مهنة التجارة عن أبيه، وكان يرتدي لباس التجار، ويطوف البلاد من أجل التجارة، وينزل في الرباط في كل مدينة يدخلها، ويضع قفلًا كبيرًا على باب حجرته كأن بها بضاعة ثمينة، بينما لا يوجد فيها سوى قطعة من الحصير(6). وفي هذا دليل على أنه كان تاجرًا فقيرًا، أو أنه كان يجوب البلاد لهدف آخر غير التجارة سوف يتضح فيما بعد. ويقال إنه كان ينسج تكة السروال ويعيش من عائدها(7)، كما أنه «اشتغل في الحدادة، واحترف بيع سلال الخوص والخيزران، وحمل مشحذ سكاكين كان يحصل عن طريقه على بضعة قروش في اليوم»(8).

(6) انظر: شمس الدين محمد بن ملك داد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، بتصحيح وتحشيه ومقدمه احمد خوشنويس عماد، مؤسسهٔ مطبوعاتى عطائى، تهران 1349، ص9. شمس الدين تبريزي: مقالات شمس، تصحيح محمد علي موحد، ص20 من مقدمة المصحح.

(7) انظر: شمس الدين تبريزي: مقالات شمس، تصحيح محمد علي موحد، ص20 من مقدمة المصحح.

(8) إحسان الملائكة: جلال الدين صائغ النفوس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ص103.

والمعلومات عن ثقافة شمس الدين غير متوفرة، لكن يتضح من مقالاته أنه كان مُلِمًّا بعلم التفسير والحديث

والفقه والكلام، ومطَّلعًا على الأدب العربي، ويقال: إنه كان يتكلم العربية، كما أنه كان يُدَرِّس في أرزنة الروم وبعض مدنها(9).

(9) انظر: شمس الدين تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح ومقدمه احمد خوشنويس عماد، ص يب.

اتضحت نزعة شمس الدين الدينية منذ طفولته، كما صرح هو نفسه بذلك قائلًا: «كنت طفلًا، وكنت أرى الله تعالى والملائكة، وأشاهد الغيبيات. وكنت أظن أن الناس جميعها كذلك»(10). وقد شُغف في صباه بالسيرة المحمدية شغفًا شديدًا إلى حد أنه كانت تمر عليه أربعون يومًا من دون أن يتذوق الطعام، ولم يكن يشعر بمرورها(11).

(10) انظر: الافلاكي: مناقب العارفين، جلد دوم، ص 680.

(11) انظر: عبد الرحمن جامي: نفحات الانس، ص 296.

سلك شمس الدين الطريق الصوفي في شبابه، وكان مريدًا للشيخ أبي بكر السلال في تبريز، وأدرك صحبة الشيخ ركن الدين السجاسي م 606 هـ تقريبًا، وبابا كمال جندي. وزعم أن الرسول ﷺ ألبسه الخرقة في المنام(12). وكان شمس الدين يبالغ في الرياضة والمجاهدة إلى حد أنه دخل حجرة مدرسة في مدينة حلب، وظل يرتاض بها أربعة عشر شهرًا، فصدر صوت من

جدار الحجرة فحواه: إن لنفسك عليك حقًّا. وكان شمس الدين يتضرع إلى الحق تعالى أن يرزقه صحبة أوليائه الصالحين؛ فبُشِّر في المنام بصحبة ولي في بلاد الروم(13) ألا وهو جلال الدين الرومي .

(12) انظر: عبد الرحمن جامي: نفحات الانس، ص 296، ص 297. د. ذبيح الله صفا: تاريخ ادبيات در ايران از اوايل قرن هفتم تا پايان قرن هشتم هجرى، جلد سوم، بخش اول، ص454. جلال الدين همائى: مولوى نامه، ص1040. شمس الدين تبريزي: مقالات شمس تبريزي، تصحيح ومقدمه احمد خوشنويس عماد،

ص 59.

(13) انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، ص 682.

شمس الدين التبريزي وجلال الدين الرومي: اللقاء والفراق والمعنى:

سافر شمس الدين إلى بلاد الروم بحثًا عن مطلوبه، ويقال إن شيخه ركن الدين السجاسي هو الذي حثه على هذا السفر(14). وجاء إلى قونية في 26 جمادى الثاني 642هـ، ونزل في خان الحلوانية. كان جلال الدين يمر من أمام الخان مع جماعة من الفضلاء. فسأله شمس الدين: أيهما أعظم أبو يزيد البسطامي أم المصطفى ﷺ؟ فأجابه: المصطفى ﷺ. فقال له: ولماذا إذَنْ قال المصطفى ﷺ: ما عرفناك حق معرفتك. وقال أبو يزيد: سبحاني

ما أعظم شاني؟ فقال: لقد ارتوى أبو يزيد بجرعة، وتحدث عن ارتواء. لكن المصطفى طلب السقي وشعر بالعطش، ولا جرم أنه تحدث عن عطش، وانشرح صدره، وكان يزداد قربًا فى كل يوم. فصاح مولانا شمس الدين صيحة، وسقط(15).

(14) انظر: دولتشاه بن علاء الدوله بختيشاه، تذكرة الشعراء، ص 196.

(15) انظر: عبد الرحمن جامي: نفحات الانس، ص 297. شمس الدين تبريزي: مقالات شمس، تصحيح محمد علي موحد، ص 19.

وجلال الدين محمد هو ابن سلطان العلماء بهاء الدين محمد بن حسين بن أحمد الخطيبي. كان جده حسين بن أحمد الخطيبي من مشايخ عصره، وكان أبوه بهاء الدين محمد المعروف ببهاء ولد م 628 هـ من العلماء والخطباء ومن كبار مشايخ الصوفية في أواخر القرن السادس الهجري وأوائل القرن السابع الهجري، وقد تعلم آداب الطريقة على يد الشيخ نجم الدين الكبرى م 617 هـ. وُلد جلال الدين في بلخ فى سنة 604هـ. وفي سنة 609 هـ أو 610 هـ سافر بهاء الدين مصطحبًا ابنه جلال الدين من

شرق إيران إلى غربها بسبب صراعه مع علاء الدين محمد خوارزمشاه م 617 هـ، وذهب عن طريق نيسابور وبغداد ومكة إلى الشام ومنها إلى زنجان، وأقام مدة في ملاطية ولارنده، ثم استقر في قونية بدعوة من السلطان علاء الدين كيقباد 616 هـ - 634هـ. وتوفي فيها في سنة 628 هـ. كان بهاء الدين هو المعلم

الأول والمرشد الأول لجلال الدين، وبعد عام من وفاته جاء مريده برهان الدين محقق الترمذي م 638 هـ، وأرشد جلال الدين تسع سنوات، ثم حثه على السفر إلى حلب ودمشق ليكمل علومه الشرعية والأدبية؛ فسافر جلال الدين إلى بلاد الشام في سنة 630 هـ، ثم عاد إلى قونية في سنة 637 هـ، وداوم على الرياضة والمجاهدة بأمر برهان الدين، وحصل على إجازتَي التعليم والإرشاد، وجمع بين علوم الظاهر وتربية الباطن. واشتغل بتدريس العلوم الشرعية والوعظ والتذكير، وكان أربعمائة طالب علم يحضرون مجالسه. وتجاوز عدد مريديه العشرة آلاف(16).

(16) انظر: د. ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات در ايران، جلد سوم، ص 448 - 454. د. رضا زاده شفق، تاريخ ادبيات در ايران براى دبيرستانها، تاريخ ادبيات براى سال ششم ادبى، شركت سهامى طبع مؤسسۀ انتشارات امير كبير، 1369، قسمت دوم، ص 17، 18. هرمان اته: تاريخ ادبيات فارسى، ترجمه باحواشى دكتر رضا زاده شفق، بنگاه ترجمه ونشر كتاب، تهران 2536، ص 159، 160. محمد هادى رضا قلى خان متخلص به هدايت: تذكرۀ رياض العارفين، بكوشش سيد رضى واحدى وسهراب زارع، ص 63، 64. شمس الدين تبريزي: مقالات شمس تبريزي، تصحيح ومقدمه احمد خوشنويس عماد، ص 59، ص 14.

طرأ تحول كبير على حياة جلال الدين بعد أن التقى شمس الدين؛ فترك الدرس والوعظ، و«انقطع، وتجرد، وهام، وترك التصنيف والاشتغال، وسبب ذلك أنه كان يومًا جالسًا في بيته، وحوله

الكتب والطلبة، فدخل عليه الشيخ شمس الدين التبريزي، الإمام الصالح المشهور، فسلم وجلس، وقال للشيخ: ما هذا؟ وأشار إلى الكتب، والحالة التي هو عليها. فقال له مولانا جلال الدين: هذا لا تعرفه.

فما فرغ الشيخ جلال الدين من هذا اللفظ، إلا والنار عمالة في البيت والكتب. فقال مولانا جلال الدين للتبريزي: ما هذا؟ فقال له التبريزي: هذا لا تعرفه. ثم قام، وخرج من عنده. فخرج الشيخ جلال الدين على قدم التجريد، وترك أولاده وحشمه ومدرسته»(17).

(17) محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي الحنفي: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الثانية 1413 هـ - 1993 م، الجزء الثالث م - ى، ص 345.

لم يحظَ شمس الدين بمكانة في العلم تضاهي مكانة جلال الدين، لكنه أثر فيه تأثيرًا كبيرًا:

صار الشيخ الأستاذ تلميذًا

وكان يتعلم في خدمته كل يوم

كان منتهيًا، فبدأ مرة أخرى

وكان المُقتدى به، فصار المُقتدى مرةً أخرى

مع أنه (شمس الدين) كان يفتقر إلى العلم تمامًا

لكن العلم الذي علمه له (جلال الدين) كان جديدًا(18)

(18) الأصل الفارسي للأبيات:

شيخ استاذ گشت نو آمــوز

درس خواندى به خدمتش هر روز

منتهى بود مبتدى شد بـــاز

مقتدا بود مقتـــدى شد بـــاز

گرچه در علم فقر كامل بود

علم نو بـــود كان به وى نمـــود

بديع الزمان فروزانفر: مولانا جلال الدين، ص 106.

وصار جلال الدين عاشقًا لشمس الدين مفتونًا به:

صار عاشقًا له، وفقد الصواب

وتساوت لديه الرفعة والذلة(19)

(19) الأصل الفارسي للبيت:

شد بر او عاشق وبرفت از دست

گشت پیشش یکی بلندی وپست

سلطان ولد: ولد نامه، به تصحیح جلال الدين همائی، به اهتمام ماهدخت بانو همايی، مؤسسهٔ نشر هما، تهران، چاپ اول 1376، ص 34.

ودعاه شمس الدين إلى إقامة مجالس السماع والرقص:

لما دعاه شمس الدين

إلى السماع الذي كان اختياره

صار السماع بالنسبة إليه المذهب والرأي الصائب

وابتهـــج بـــه قلبـــه(20)

(20) الأصل الفارسي للبيتين:

چون كه دعوت كرد او را شمس دين

در سماعی كه بد آن پيشش گزين

شد سماعش مذهب ورايی درست

از سماع اندر دلش باغ رســـت

بديع الزمان فروزانفر: مولانا جلال الدين ص 106.

ثار تلاميذ جلال الدين على شمس الدين، ونعتوه بالساحر الماكر:

هذا ساحر، وربما جعل الشيخ

مفتونًا به، بالسحر والخديعة

وإلا فمَن هو؟ وماذا به؟

وكيف يستطيع العيش بمثل هذا المكر؟(21)

(21) الأصل الفارسي للبيتين:

ساحر است اين مگر به سحر وفسون

كرد بر خويش شيخ را مفتون

ور نه خود كيست او ودر وى چيست

با چنين مكر مى تواند زيست

سلطان ولد: ولد نامه، ص 35.

وأمام هذه الثورة العارمة غادر شمس الدين قونية في 21 شوال 643هـ، بعد أن قضى بها ستة عشر شهرًا، اختلى خلالها بجلال الدين ثلاثة أشهر، وذهب إلى دمشق؛

فحزن جلال الدين بسبب فراق شمس الدين، وأرسل ابنه سلطان ولد في طلبه برفقة عشرين رجلًا. عاد شمس الدين مرة أخرى إلى قونية في 644 هـ، واختلى بجلال الدين في هذه المرة ستة أشهر في حجرة مدرسة مولانا، لكنه لم يمكث طويلًا حتى اندلعت ثورة غضب تلاميذ جلال الدين مرة أخرى، إلى حد أنهم أقدموا على قتله(22).

(22) انظر: شمس الدين تبريزي: مقالات شمس، تصحيح محمد علي موحد، ص 19، 22، 24، 27 . شمس الدين تبريزي: مقالات شمس تبريزي، تصحيح ومقدمه احمد خوشنويس عماد، ص 2، 5، 6 . الافلاكي، مناقب العارفين، جلد دوم، ص 619.

و لم يقتصر تأثير شمس الدين على جلال الدين فحسب، بل امتد إلى بعض تلاميذه ومريديه بل وإلى عامة الناس، فتبدلت أحوالهم:

حاد الخلق عن الشرع والدين بسببه

وصـــــاروا جميعًا رهائــن العشــق

لقد صار حافظو القرآن جميعًا منشدين للشِّعر

وسارعـــــوا إلـــى المطربيـــــن

وأصبح وردهم البيت والغـــــزل

ولم تبقَ لهم، غير هذا، صلاة أو عمل

ليس هناك كفر أو إسلام في شرعهم

وقد أصبح شمس الدين ملك ملوكهم(23)

(23) الأصل الفارسي للأبيات:

خلق از وى زشرع ودين گشتنــد

همگان عشق را رهين گشتند

حافظان جمله شعر خوان شده اند

به سوى مطربان دوان شده اند

ورد ايشان شده است بيت وغزل

غير اين نيستشان صلوة وعمل

كفر واسلام نيست در رهشــــان

شمس تبريز شد شهنشهشــان

سلطان ولد: ولد نامه، ص 48.

وأنكر المنكرون من الفقهاء والمحدثين هذه الأعمال بشدة، وعدُّوها مخالفة للشرع وللدين:

قال منكر بسبب شدة الإنكار:

هذا العمل مخالف للشرع وللدين(24)

(24) الأصل الفارسي للبيت:

گفته منكر ز غايت انكار

نيست بر وفق شرع ودين اين كار

سلطان ولد: ولد نامه، ص 48.

استاء شمس الدين من جرأة التلاميذ والمريدين عليه، وحقد العامة عليه وبغضهم له، وأعرب لسلطان ولد بن جلال الدين عن رغبته في الرحيل، واختفى في سنة 645 هـ:

أرغب في الرحيل هذه المرة

بحيث لا يعلم شخص أين أنـــا

ويعجز الجميع عن طلبـــي

ولا يعثر لي شخص على أثر أبدًا

و تمر الكثير من السنوات كذلك

فلا يجد شخص آثارًا من غباري

كرر هذا الكلام عدة مرات

وأكد عليه(25)

(25) الأصل الفارسي للأبيات:

خواهم اين بار آن چنان رفتن

كه نداند كسى كجايم مــن

همه گردند در طلب عاجــز

ندهد كس نشان زمن هرگز

سالها بگذرد چنين بسيـــــار

كس نيابد زگرد من آثـــــار

چند بار اين سخن مكرر كرد

بهر تاكيد را مقرر كـــــــرد

السابق، ص 44.

اختفى شمس الدين؛ فعكف جلال الدين على السماع والرقص، علّه يجد فيهما السلوى:

عكف على السماع والرقص نهارًا وليلًا

ودار فوق الأرض مثل الفلك

لم يكفَّ عن السماع والرقص لحظة واحدة

ولم يهدأ برهة نهارًا أو ليلًا(26)

(26) الأصل الفارسي للبيتين:

روز وشب در سماع رقصان شد

بر زمين همچو چرخ گردان شد

يك نفس بى سماع ورقص نبود

روز وشب لحظه اى نمى آسود

سلطان ولد: ولد نامه، ص 47.

وفي النهاية سافر جلال الدين إلى بلاد الشام بحثًا عن شمس الدين، لكنه لم يجده:

لم يجد شمس التبريزي في الشام

ووجده في نفسه جليًّا مثل القمر

قال: ما دمت أنا هو، فعمَّنْ أبحث؟

من ثم أنا هو بعينه، وأنا أتحدث عن نفسي(27)

(27) الأصل الفارسي للبيتين:

شمس تبريز را به شـــام نديـــد

درخودش ديد همچو ماه پديد

گفت: چون من ويم چه مى جويم

عين اويم كنون، زخود گويــم

شمس الدين تبريزي: مقالات شمس، تصحيح محمد علي موحد، ص 29.

كانت العلاقة بين شمس الدين وجلال الدين لغزًا محيرًا للجميع، وقد حاول الكثيرون فهمها، لكنهم عجزوا عن ذلك. وقد شرح سلطان ولد طبيعة هذه العلاقة على لسان أبيه جلال الدين الرومي قائلًا:

كيف تدرك الأفهام حالنـــــــا

مادام ليس لنا مثيل في العالـــــم

نحن اللب، والآخرون جميعهم القشر

من غني وفقير وعدو وصديـــق

نحن لسنا من هؤلاء الخلائق أيها الرفيق

فلا تعدنا من أهل هذه الدنيـــا

هذه الدنيا حائرة في أمرنـــا

وخلق الأرض والسماء يطلبوننا

لا يشبه حالنا حال أحــــد

مَن ذا الذي يعايـن أحوالنـــا

لأي سبب أقول: أنا وهــو؟

ما دام هو أنــا وأنـــا هــــو

لا وجود لي من دون وجـوده

ولا لحمة لي أو سدى من دونـه

هو مثل الشمس وأنا مثل الذرة

هو مثل البحر وأنا مثل القطرة(28)

(28) الأصل الفارسي للأبيات:

فهم ها كى رسد به حالت مـــا

چون نداريم در جهان همتـــــــا

مغز مائيم و ديگران همه پوست

از غنى وفقير ودشمن ودوســـت

زين خلايق نه ايم ما يــــــارا

مشمر زاهل اين جهان مــــــارا

اين جهان خيره است اندر مـــا

طالب ماست خلق ارض وسمـــا

حالت ما به كس نمى مانـــــد

كيست كه احوال ما عيان دانـــد

من و او از چه رو همى گويم

چون كه خود او منست ومن اويم

بى وجودش مرا وجودى نيست

بى ويم هيچ تار وپودى نيســـت

او چو خورشيد ومن چو يك ذره

او چو دريا و من چو يك قطـــره

سلطان ولد: ولد نامه، ص 50، 51.

ووصف جلال الدين حاله مع شمس الدين قائلًا:

لا ترانا اثنين، فكلانا واحد. هناك شك

في الاثنينية، ونحن أبرياء من الشك

نحن غرباء، وسوف نرحل غرباء

وسنذهب للحبيب في النهاية

لا تعدني غير شمس الدين

فروحنا واحدة، دعك من الصور

لقد صارت العين والأذن والرأس واليدان

لروح واحدة، فأمعن النظر

وإلا، لما تفارق الروح الجسد

ينفصل الجسد الدنيء بعضه عن بعض

ويتفرق في كل ناحية، وتذهب القدم إلى ناحية

ويمضي الرأس إلى ناحية أخرى(29)

(29) الأصل الفارسي للأبيات:

دو مبين در ميان كه هردو يكيم

در دو شكى است ما برئ زشكيم

ما غريبيم وهم غريب رويـــم

اندر آخرت بر حبيب رويـــــــم

تو مرا غير شمس دين مشمــر

روح ما يك بـــود گذر زصــــور

چشم وگوش وسر و دو دست

يك ز جـان گشته اند چشم گشـــا

ورنه چون جان رود زتن بيرون

گردد از همـــدگر جــدا تن دون

متفرق شوند هر سوئـــــــى

پا رود جانبـــى وســـر ســـوئى

سلطان ولد: ولد نامه، ص 49.

ويتضح من الأبيات أن جلال الدين فنى عن نفسه، وعن صفاته الذميمة، وبقي بالحق، وأدرك حقيقة التوحيد، وشعر كأنه والحق واحد؛ لأن التوحيد يتعارض مع الاثنينية، وعلم أن الموجودات كلها مجال للحق، وأنه هو نفسه الحق في حال فنائه. فقد سأل رجل أبا يزيد: ما العرش؟ قال: أنا. قال: وما الكرسي؟ قال: أنا. قال: وما اللوح والقلم؟ قال: أنا. قيل: لله عباد غير إبراهيم وموسى وعيسى. قال: أنا هؤلاء جميعهم. فصمت الرجل. فقال أبو يزيد: بلى كل مَن فني في الحق، أدرك حقيقة كل ما هو موجود، فكله الحق. وإن فني ذلك الشخص، يرى أنه هو نفسه الحق(30).

(30) انظر: د. منال اليمني عبد العزيز: التوحيد عند أحمد الجامي ومحيي الدين بن عربي، حوليات آداب عين شمس، دورية علمية محكمة، المجلد 46، العدد الأول، يناير – مارس 2018 م، ص 8.

وعلى هذا النحو نظر جلال الدين إلى شمس الدين على أنه مجلى من مجال الحق، وشاهد الحق فيه؛ لأن العبد الموحد لا يشاهد في العالمين سوى الله تعالى. فقال: أنا هو، وهو أنا. وعلم جلال الدين كذلك أن وجوده مستمد من وجود الحق؛ لأن الحق هو الوجود

الحقيقي، ووجود سواه هو العدم المحض. وقد قال أبو الحسن الخرقاني م425 هـ: «نظرت إلى وجوده، فبدا لي عدمي. وحين نظرت إلى عدمي، بدا لي وجوده. فبقيت محزونًا، حتى صدر نداء من الحق فحواه: اعترف بوجودك. فقلت: مَن يعترف بوجودك سواك»(31). وما دام العبد موجودًا بالحق منعدمًا من دونه، وما دام شمس الدين هو مجلى الحق بالنسبة إلى جلال الدين. فقد قال جلال الدين: لا وجود لي من دون شمس الدين. ولم يفهم عامة الناس معنى ذلك؛ فشعر بالوحشة من الخلق، وقال: نحن غرباء، وسوف نذهب غرباء إلى الحبيب.

(31) فريد الدين العطار النيسابوري: تذكرة الأولياء، ترجمة

وتقديم وتعليق د. منال اليمني عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2009م، المجلد الثاني، ص 370.

شمس الدين التبريزي الصوفي القلندري:

إن المتأمل في سيرة حياة شمس الدين التبريزي، يجد الكثير من القرائن التي تدل على أنه كان صوفيًّا قلندريًّا، منها:

أن شمس الدين كان يسافر بحثًا عن مطلوبه، واتباعًا لسنة الرسول ﷺ «سافروا تصحوا وتسلموا»(32). ويلتحق بخدمة العديد من الأبدال والأوتاد والأقطاب، وكان العارفون يطلقون عليه «پرنده» أي الطائر؛ لأنه يطوي الأرض، أو لأنه كان يحلق في عالم المعنى(33). والسفر يعد ضرورة ملحة بالنسبة إلى القلندري؛ ليتدبر صنع الله تعالى، ويلتقي العارفين، إضافة إلى أن

السفر يجلب له السعادة والرزق والحكمة، ويهذب سلوكه، ويورثه التواضع، ويحضه على الفكر والتأمل(34).

(32) روى هذا الحديث البيهقي في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: سافروا تصحوا وتغنموا. وهو بهذا اللفظ في مسند الشهاب. fatwa.islamweb.net.

(33) انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، جلد دوم،ص 615. بديع الزمان فروزانفر: مولانا جلال الدين، ص 88.

(34) انظر: د. منال اليمني عبد العزيز، القلندرية الصوفية من خلال منظومة قلندرنامۀ خطيب فارسى يا سيرت جمال الدين ساوجى، سيرة القلندر لخطيب الفارسي أو سيرة جمال الدين الساوجي، حوليات آداب عين شمس، دورية علمية محكمة، المجلد 48، العدد الثالث يوليو - سبتمبر 2020 م، ص 14.

ويذكر أن شمس الدين التقى الشيخ أوحد الدين الكرماني م 635 هـ في بغداد، وأراد أوحد الدين أن يكون مريدًا له، لكنه رفض قائلًا: «إنني لا أتخذ لي مريدًا، لكنني أطلب الشيخ الكامل المحقق»(35). والمعروف أن القلندرية انتشروا في العراق في أواسط القرن السابع الهجري(36).

(35) انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، جلد دوم، ص 616، 617. عبد الرحمن جامى: نفحات الانس، ص 296.

(36) انظر: د. منال اليمني عبد العزيز، القلندرية الصوفية ، ص 9.

وأقام شمس الدين فترة من حياته في بلاد الشام، التي انتشر فيها القلندرية انتشارًا كبيرًا في سنة 655 هـ (37). وكان يتردد على دمشق خلال السنوات من 643هـ إلى 645هـ. وقد ظهر القلندرية في دمشق منذ سنة 616 هـ، وكان شيخهم فيها جمال الدين الساوي م 643هـ (38).

(37) انظر: السابق، ص 9.

(38) انظر: السابق، ص 12.

ولما سافر شمس الدين من قيصرية إلى آقسرا، دخل مسجدًا، وأراد الإقامة فيه والاستراحة؛ فطرده المؤذن، فدعا عليه بأن يتورم لسانه، فتورم لسانه في الحال ثم توفي(39). ويتضح من هذه القصة أيضًا أنه كان فقيرًا معدمًا في وقت من الأوقات، حتى إنه لا يستطيع النزول في النزل المخصص للمسافرين. وهذا معناه أنه كان قلندرًا؛ لأن كلمة قلندر تعني الفقير المتجول. واستخدمت أيضًا بمعنى الدرويش الجائل غير المقيد بطريقة معينة أو آداب ورسوم محددة(40).

(39) انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، جلد دوم، ص 624.

(40) انظر: سبنسر ترمنجهام، الفرق الصوفية في الإسلام، ترجمة ودراسة وتعليق د. عبد القادر البحراوي، دار المعارف

الجامعية، منتدى سور الأزبكية 1994، ص397 من الملاحق. د. عبد الحسين زرين كوب، جستجو در تصوف ايران، مؤسسهٔ انتشارات امير كبير، چاپخانه سپهر، چاپ پنجم، تهران 1376، ص 372.

كما أن شمس الدين كان يرتدي لبدة سوداء دائمًا، واللبدة معناها كل شعر أو صوف متلبد(41) وهي بهذا المعنى تشبه خرقة القلندرية المسماة بالجولق إلى حد كبير، وذلك

لأن الجولق مصنوع من شعر الماشية. ويعد ارتداء الجولق من آداب الطريقة القلندرية(42)، وقد ارتدى قلندرية الشام الجوالق البيضاء والسوداء(43).

(41) almaany.com

(42) الطريقة القلندرية: تأسست الطريقة القلندرية في أواخر القرن الرابع الهجري، والمرجح أنها نشأت في خراسان في منتصف القرن الرابع الهجري، وقد تمذهب القلندرية في خراسان بمذهب الملامتية، حتى إن البعض عدهم طائفة من الملامتية، وعدهم البعض الآخر أتباعًا لها؛ وذلك لأن القلندرية تبرأوا من العادات والمألوفات، وفعلوا أفعالًا جلبت عليهم سخط الخلق ولومهم غير مبالين بسوء ظن الخلق بهم، مادام الحق تعالى راضيًا عنهم، وبذلوا غاية جهدهم في رعاية الإخلاص في الطاعة مثلهم في ذلك مثل الملامتية. وعمل القلندرية في سرية طوال القرون الهجرية الرابع والخامس والسادس، وظهروا إلى العلن بعد هجمات المغول، وانتشروا في شرق العالم الإسلامي

وغربه، ويعد قطب الدين حيدر بن تيمور بن أبي بكر الساوي م613 أو 617 مؤسس القلندرية في خراسان. وقد نشر أتباعه طريقته في آسيا الصغرى والعراق والشام ومصر وشمال إفريقيا. واشتهر مسعود بن محمد الدلال م 567 شيخًا للقلندرية قبل قطب الدين حيدر بأربعين سنة.

انظر: قاسم غنى، بحث در آثار وافكار واحوال حافظ، جلد دوم تاريخ تصوف در اسلام وتطورات وتحولات مختلفهٔ آن از صدر اسلام تا عصر حافظ، انتشارات هرمس، چاپ اول، تهران 1386، ص 998. د. عبد الحسين زرين كوب: جستجو در تصوف ايران، ص 359. عز الدين محمود بن على كاشانى: مصباح الهداية ومفتاح الكفاية، مقدمه، تصحيح، توضيح، جلال الدين همايى، انتشارات سخن، مؤسسهٔ نشر هما، تهران چاپ دوازدهم 1394، ص 115. د. محمد رضا شفيعى كدكنى: قلندريه در تاريخ دگرديسيهاى يك ايدئولوژى انتشارات سخن، تهران، چاپ سوم 1387، ص 62 - 64. سعيد نفيسى: سرچشمهٔ تصوف در ايران، كتابفروشى فروغى، مهرماه 1343 ، ص 171، 212. أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردى: عوارف المعارف، مكتبة القاهرة مصر 1393 هـ - 1973 م، ص 76. د. مهدى حسن زاده، پيمان ابو البشرى: بررسى ريشه هاى تاريخ چهار ضرب قلندران، مطالعات اسلامى تاريخ وفرهنگ، سال چهل وچهارم، شمارهٔ پياپى 89، پاييز وزمستان 1391، ص 79.

(43) انظر: د. منال اليمني عبد العزيز، القلندرية الصوفية، ص 21.

وكان شمس الدين يبالغ في الرياضة والمجاهدة -كما سبق ذكره- والرياضة تروض النفس عند القلندرية، وتقوي الروح، وتحض المرء على البحث عن المعبود وطلبه(44).

(44) انظر: السابق، ص 12.

وكذلك لما كان شمس الدين يحل غريبًا على بلد، عاري الرأس حافي القدم؛ كان يبدو في نظر أهلها متسكعًا متشردًا، والدليل على ذلك قصته مع مؤذن المسجد التي سبق ذكرها. والتسكع والتشرد من سمات القلندرية(45).

(45) انظر: السابق، ص 7.

ومشايخ القلندرية لا يحبون الشهرة، وإذا ما عُرفوا في بلد، سارعوا وتركوها، كما فعل شيخهم جمال الدين الساوي الذي ذاع صيته في دمشق في سنة 620 هـ، وأقبل عليه الناس من كل حدب وصوب، لكنه أراد العزلة والخلوة، فغادر دمشق، وتوجه إلى دمياط حيث توفي في سنة 643 هـ (46). وقد كان شمس الدين من الأولياء المستورين أيضًا:

(46) انظر: السابق، ص 12.

ذلك الذي كان من المستورين المخفيين

وكان سيد الواصلين جميعهم(47)

(47) الأصل الفارسي للبيت:

آنكه از مخفيان نهان بود او

خسرو جملۀ واصلان بود او

سلطان ولد: ولد نامه، ص 34.

ولما كان شمس الدين من الأولياء المستورين، فقد بدا رجلًا مجهولًا في نظر تلاميذ جلال الدين ومريديه، وقالوا عنه:

لا يبدو له أصل ولا نسب

ونحن لا نعلم أيضًا من أين هو؟(48)

(48) الأصل الفارسي للبيت:

نى ورا اصل ونى نسب پيداست

مى ندانيم هم كه او زكجاست

سلطان ولد: ولد نامه، ص 35.

وقيل: إن شمس الدين كان يفقد عنان الاختيار في مقام الوجد والشوق، ويجترئ على معتقدات العامة القشرية(49). والمعروف أن القلندر هو «الشخص الذي يخالف القوانين»(50). كما أن التحرر من عادات المجتمع وتقاليده سمة القلندرية؛ لأنهم في الغالب غرباء عنه. وقد قال تلاميذ جلال الدين عن عدم اكتراث شمس الدين بالعادات والتقاليد:

(49) انظر: د. رضا زاده شفق، تاريخ ادبيات در ايران، قسمت دوم، ص18.

(50) انظر: محمود كوير، نگاهى به تاريخ انديشه در ايران، ص 245. booksgoogle.com.eg.

وا أسفاه أي شق هذا الذي

هدم بسببه هذا الدين(51)

(51) الأصل الفارسي للبيت:

اى دريغا دگر چه زخم است اين

كه ازو شد خراب اين آئين

سلطان ولد: ولد نامه، ص 35.

والقلندرية يعدون أنفسهم عشاق الذات الإلهية، وقد أقام شيخهم جلال الدين الدرجزيني في دمشق ثلاثين سنة من أجل العشق، وكانت له زاوية فيها تعرف بالزاوية القلندرية الدركزينية(52). والقلندرية يعتقدون أن ذوق العشق يتجلى في دمشق:

(52) انظر: د. منال اليمني عبد العزيز، القلندرية الصوفية، ص 11، ص 22.

لما تجلى ذوق العشق في ذلك المكان

اعتكف فيه ثلاثين سنةً(53)

(53) الأصل الفارسي للبيت:

چو ذوق عشق آنجا منكشف بود

بسى سال اندرآنجا معتكف بود

خطيب الفارسى: قلندرنامهٔ خطيب فارسى يا سيرت جمال الدين ساوجى، تصحيح وتوضيح د. حميد زرين كوب، چاپخانه خواجه، انتشارات توس، بهار 1362، ص 56.

وقد ذهب شمس الدين التبريزي إلى دمشق؛ ليجدّ في الطلب، ويستغرق في العشق:

ذهب شمس الدين التبريزي إلى دمشق

ما دامت دمشق والشام ملآنة بالعشق(54)

(54) الأصل الفارسي للبيت:

شمس تبريز رفت سوى دمشق

تا شود پر دمشق وشام زعشق

سلطان ولد: ولد نامه، ص 37.

وكان شمس الدين يعقد مجالس السماع والرقص في قونية على الرغم من اعتراض فقهائها وأهلها على ذلك(55). والمعروف أن القلندرية كانوا أهل سماع(56). وهناك حكاية تتعلق بقلندري كان يرقص في مجلس سماع، وكانت خرقته تحف شمس الدين التبريزي. فطلب منه المريدون أن يبتعد، فقال: الميدان واسع. ولما خرج شمس الدين من المجلس، سقط القلندري في الحال، وأسلم الروح(57).

(55) انظر: بديع الزمان فروزانفر، مولانا جلال الدين ص 127، 128.

(56) انظر: شفيعى كدكنى، قلندريه در تاريخ، ص 194.

(57) انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، جلد دوم، ص 631.

وكذلك لما سافر أبو علي قلندر م 724 هـ -من قلندرية الهند- إلى قونية، التحق بخدمة شمس الدين التبريزي وجلال الدين الرومي، وأفاد منهما(58).

(58) انظر: آيا شمس تبريزي هندى بود؟ قند پارسى، ص157. Dhaka.icro.ir.

وقد صرح شمس الدين التبريزي في مقالاته(59) بأن أصحابه اتهموا بتناول الحشيش معللًا ذلك بأن حال الذوق يعتريهم في بعض الأحيان، فيفقدون صوابهم. و«الذوق عند الصوفية عبارة

عن السكر من تذوق شراب العشق للعاشق، كذلك الشوق الذي يحصل من استماع كلام المحبوب. ومن مشاهدته ورؤيته... وهو أول درجات شهود الحق بأقل وقت كالبرق، وإذا بقي ساعة وصل لمقام الشهود»(60). ودلل شمس الدين على عدم تناول أصحابه للحشيش بأن مريده بهاء الدين لا يتناول الحشيش(61). والمعروف أن تناول الحشيش تهمة من التهم الموجهة إلى القلندرية؛ وذلك لأنهم كانوا يقتاتون حشائش الصحراء، ويعدون ذلك نوعًا من أنواع الزهد والتقشف، ولونًا من ألوان الرياضة والمجاهدة(62).

(59) انظر: شمس الدين تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح ومقدمه احمد خوشنويس عماد، ص 21.

(60) محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة د. رفيق العجم، تحقيق د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية د.جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، الجزء الأول أ – ش، ص 834.

(61) انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، جلد دوم، 633.

(62) انظر: د. منال اليمني عبد العزيز، القلندرية الصوفية، ص 22.

وتعرض شمس الدين كذلك لكثير من الأذى من تلاميذ جلال الدين وغيرهم. لكنه كان يعفو عمَّن يسيء إليه، ويدفع الغضب

بالحلم، ويعامل الناس بالشفقة والرحمة؛ حتى إنه كان يدعو لمَن يسيء إليه بأن يمنحه الله العمر الطويل والمال الوفير(63). والرحمة سمة من سمات

القلندرية، وهم يعدون إلحاق الضرر بالخلق وإيذاءهم ذنبًا عظيمًا، وكانوا يُنعتون بالشفقاء(64).

(63) انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، جلد دوم، 633.

(64) انظر: د. منال اليمني عبد العزيز، القلندرية الصوفية، ص 20.

وكان شمس الدين يحث أصحابه على الإكثار من الطاعات والعبادات(65). وقد اشتهر القلندرية بالمواظبة على أداء الطاعات والعبادات(66). وهكذا تفيد هذه الدلائل بما لا يدع مجالًا لشك أن شمس الدين كان صوفيًّا قلندريًّا.

(65) انظر: شمس الدين تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح ومقدمۀ احمد خوشنويس عماد، ص 68.

(66) انظر: د. منال اليمني عبد العزيز، القلندرية الصوفية، ص 20.

مقالات شمس الدين التبريزي:

المقالات هي مجموع ما قاله شمس الدين التبريزي، وهي الأثر الوحيد القيم الذي بقي عنه، وتشتمل على الكثير من الاستفسارات

والمناقشات والمحاورات والمجادلات التي دارت بين شمس الدين وجلال الدين والمريدين وغيرهم، في مناسبات عديدة، في المجالس والمحافل المختلفة أثناء إقامة شمس الدين في قونية في الفترة من 642 هـ إلى 645هـ.

وقد جمع المريدون هذه المقالات من دون ترتيب كما يتضح من تفسخ عباراتها، وعدم ترابط موضوعاتها(67). ويمكن أن تدرج ضمن: الأمالي أو الملفوظات أو المجالس(68). و توجد عشرون نسخة خطية تقريبًا لهذه المقالات(69). وعُرفت هذه المقالات بأسماء عديدة منها: كلمات، معارف، أسرار شمس الدين التبريزي، و«خرقهٔ شمس تبريزي» أي خرقة شمس التبريزي(70). والمقصود

تعاليم شمس الدين التبريزي.

(67) انظر: شمس الدين تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح ومقدمهٔ احمد خوشنويس عماد، مقدمة فروزانفر.

(68) انظر: مهدى سالارى نسب، مجملات مقالات شمس واهميت آثار سلطان ولد در تبيين آنها، تاريخ دريافت: 18 / 6 / 1397، تاريخ پذيرش: 24 / 9 / 1397، ص 59، ensani.ir.

(69) انظر: د. محمد خدادادى، د. مهدي ملك ثابت، جبر واختيار وحدوث وقدم از ديدگاه شمس تبريزي وبررسى بازتاب آنها در مثنوى مولوى، فصلنامهٔ پـژوهشهاى ادبى سال 9،

شماره 36، 37، تابستان وپاييز 1391، ص93، .www.sid.ir

(70) انظر: شمس الدين تبريزي: مقالات شمس، تصحيح محمد على موحد، ص 39، 40.

وتحظى مقالات شمس بأهمية كبيرة؛ لأنها تشتمل على معلومات عن حياته، وثقافته، والأحداث التي حدثت له، والوقائع التي عاينها. وتبين أفكاره ومعتقداته، وتعبر عن تجربته الروحية، والأسس التي قامت عليها طريقته. وتوضح طبيعة العلاقة بينه وجلال الدين الرومي. و تعرب عن وجهة نظره في بعض المشايخ الصوفية والفقهاء والعلماء. كما أنها تعد من كنوز الأدب الفارسي واللغة الفارسية من حيث لطف العبارة وجاذبيتها(71).

(71) انظر: بديع الزمان فروزانفر: مولانا جلال الدين ص 140.

وقد أفاد شمس الدين في مقالاته من لغة الحوار، ولم يتقيد بقواعد اللغة، واستخدم بعض الألفاظ الآذرية(72). وهو ما شكل صعوبة في ترجمة هذه المقالات إلى العربية.

(72) انظر: مهر انگيز نو بهار: عناصر سبكى مقالات شمس تبريزي بر اساس موازين زبان شناختى ، مجموعۀ مقالات همايش بزرگداشت شمس تبريزي، گردآورندۀ وحيد آخرت دوست، ويراستار دكتر فاطمه مدرسى، انجمن آثار ومفاخر فرهنگى، چاپ اول 1378، ص 991 ، 992.

آراء شمس الدين كما تبدو في هذه المجموعة من المقالات:

إدراك القديم بالقديم:

يقصد شمس الدين بالقديم الحق تعالى، ويرى كذلك أن الجسد حادث والروح قديم؛ لأن أرواح الناس سبقت صورهم، وأنه يمكن إدراك الذات الإلهية بواسطة الروح عن طريق العشق(73)، وذلك عندما يفنى الإنسان عن نفسه وعن صفاته الذميمة وأفعاله الخسيسة، وعن ما حوله.

(73) انظر: شمس الدين تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح ومقدمۀ احمد خوشنويس عماد، ص 17، 85.

السماع فرض عين:

عدّ شمس الدين السماع فرض عين مثل الصلوات الخمس وصوم رمضان، والسماع في رأيه يحلق بالعارف إلى عوالم أخرى بعيدة عن عالم وجوده(74). وهو حلال للخاصة؛ لأنهم يملكون قلوبًا سليمة(75).

(74) انظر: شمس الدين تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح ومقدمۀ احمد خوشنويس عماد. ص 20.

(75) انظر: السابق، ص 22.

الصحبة والعزلة:

ينبغي على العارف الذي يصحب شمس الدين أن يعتزل الآخرين(76). وربما يفسر هذا اعتزال جلال الدين تلاميذه ومريديه، واختلائه بشمس الدين.

(76) انظر: السابق، ص 20.

سلوك الطريق:

يرى شمس الدين أن السالك الذي يرغب في سلوك الطريق، ينبغي عليه أن يدرك الروح، وذلك باجتناب شهوات الجسد ورغباته، وتصفية القلب. ولَمَّا يدرك الروح، ويسلك الطريق، يشاهد الله تعالى عيانًا(77). وكأن المشاهدة هي غاية من غايات سلوك الطريق عند شمس الدين التبريزي.

(77) انظر: السابق، ص 26.

الولاية:

عَرَّف شمس الدين الولاية بأن: يكون المرء وليًّا على نفسه، متحكمًا في صفاته، قادرًا على الكلام في موضع الكلام، والسكوت في موضع السكوت، وعلى القهر في محل القهر، واللطف في محل اللطف(78).

(78) انظر: شمس الدين تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح ومقدمۀ احمد خوشنويس عماد، ص 27، 28.

الموت:

يحث شمس الدين كل شخص على أن يكون مستعدًّا للموت منتظرًا له، بل ويتمناه؛ لأنه ينقله من هذا العالم إلى عالم أرحب وأنقى. ويرى أن عذاب القبر إنما يشعر به مَن عكف على اللذات والشهوات في الدنيا(79).

(79) انظر: السابق، ص 29.

المعشوق:

المعشوق عند شمس الدين التبريزي هو: الله الأزلي الأبدي القدوس المنزه(80).

(80) انظر: السابق، ص 30.

حجاب المشايخ الكاملين:

حجاب المشايخ الكاملين في نظر شمس الدين هو أنهم يبوحون بأسرارهم مع الله تعالى؛ حتى لا يهلكون(81). أي أنهم لا يطيقون الحفاظ على هذه الأسرار؛ لأنهم إذا ما احتفظوا بها، سوف يهلكون، فيفشونها. ولما يفشونها، يهلكون أيضًا؛ لأنهم يتعرضون لانتقاد الخاصة، وسخرية العامة، وقد ينتهي بهم الأمر إلى القتل مثلما حدث مع الحلاج م 309 هـ.

(81) انظر: السابق، ص 34.

الصبر:

الصبر عند شمس الدين يعني: النظر إلى عاقبة الأمور،

ونفاد الصبر هو عدم النظر إلى عاقبة الأمور(82).

(82) انظر: شمس الدين تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح ومقدمۀ احمد خوشنويس عماد، ص 44.

قراءة القرآن:

قراءة القرآن تصفي القلب وتطهره في نظر شمس الدين؛ لأنها تذكر بالأنبياء وأحوالهم، فتلتقي روح القارئ بأرواحهم، و تأنس بها(83).

(83) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

قصور الاستعداد:

يعد شمس الدين قصور الاستعداد هو الحائل الذي يمنع المرء عن الالتحاق بخدمة المشايخ، وحضور مجالسهم، وهو يعني بالاستعداد الفراغ من مشاغل الدنيا، وعدم الاكتراث بها(84).

(84) انظر: السابق، ص 45.

دنس الباطن:

يقول شمس الدين: إن ذرة من نجس الباطن تفعل ما لا تفعله مائة ألف ذرة من دنس الظاهر؛ لذا ينبغي على المرء أن يطهر باطنه

بماء الدمع، والصلاة(85).

(85) انظر: السابق، ص 55، 56.

الصلاة:

انتقد شمس الدين القوم الذين امتنعوا عن أداء الصلاة؛ متعللين في ذلك بأنهم بلغوا مرتبة الولاية، وحظوا بحضور القلب، وبلغوا المقصود، وقالوا: إن طلب الوسيلة قبيح بعد حصول المقصود. وعَدَّ ترك الصلاة نقصًا فيهم؛ لأنهم لم يتبعوا سنة الرسول ﷺ(86).

(86) انظر: شمس الدين تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح ومقدمهٔ احمد خوشنويس عماد، ص 61.

الفراق:

فرض شمس الدين السفر على نفسه، وفارق جلال الدين مرتين؛ لأنه يرى أن الفراق يصنع إنسانًا مجربًا مهذبًا(87).

(87) انظر: السابق، ص 78.

الميت الحي:

يقول شمس الدين: إن عبارة سبحان الحيّ الذي لا يموت، يخاطبون بها الميت، والمقصود بها: أنك حييت، فلا تمت مرة أخرى. أى أن في الموت حياة له(88).

(88) انظر: السابق، ص 82.

النوم يقظة:

يرى شمس الدين أن منام العارفين يقظة؛ لأن في منامهم تعرض عليهم أشياء لا يطيقونها في يقظتهم . ولما يبلغ العارف الكمال تعرض عليه هذه الأشياء من دون حجاب(89).

(89) انظر: شمس الدين تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح ومقدمةُ احمد خوشنويس عماد، ص 87.

الله هو الله:

تعجب شمس الدين ممن يقول أنا الله، وقد ولدته أمه بالأمس القريب. والله لم يلد ولم يولد. وعَدَّ الشطح حجابًا بين العبد وربه(90).

(90) انظر: السابق، ص 40، 93.

وعلى هذا النحو يتضح من آراء شمس الدين السابقة أنه كان صوفيًّا معتدلًا، مواظبًا على أداء الصلاة والعبادات، ينأى عن الشطح، و يخلو إلى نفسه كثيرًا، ويعكف في خلوته على الرياضات والمجاهدات.

أما بعد فقد اعتمدت في هذه الترجمة على نسخة المقالات التي صححها أحمد خوشنويس عماد، ونشرت في طهران في سنة 1349 هـ.ش، وأفدت كذلك من النسخة التي صححها الدكتور

محمد علي موحد، ونشرت في طهران في سنة 1391 هـ.ش. وشرحت بعض المفاهيم

الواردة في النص، ووضحت بعض المسائل التي تحتاج إلى إيضاح، وبذلت أقصى جهد لإيصال المعنى إلى المتلقي، نظرًا لما ينطوي عليه النص -بإجماع آراء الباحثين- من صعوبات تتعلق بالصياغة واللغة. كما وضعت عناوينَ توضح مضامين الفقرات؛ ليسهل على القارئ الإلمام بها. وأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت في ذلك، وأسأله العون في ترجمة المزيد من هذه المقالات، وإتاحتها للقارئ . والله ولي التوفيق.

15 / 10 / 2020 م

منال اليمني عبد العزيز

* * *

من مقالات سلطان المعشوقين مولانا شمس الدين التبريزي لا أخلى الله بركته كيف يُدرَك القديم بالقديم

إذا تجاوزت الجسد، وأدركت الروح، ربما بلغت الحدوث. الحق قديم، فكيف يُدرك الحادث القديم(91)؟ ما للتراب ورب الأرباب؟ ذلك الشيء الذي تفارقه وتنفصل عنه هو الروح، وإذا غامرت بالروح، فماذا عساك أن تفعل؟

(91) الحادث والقديم:

القديم لفظ يُطلق على الموجود الذي لا يستمد وجوده من غيره، وهو القديم بالذات. ويُطلق أيضًا على الموجود الذي ليس وجوده مسبوقًا بالعدم، وهو القديم بالزمان، وكل قديم بالذات قديم بالزمان، وليس هذا سوى الله تعالى. أما الحادث في الاصطلاح الفلسفي هو المسبوق في وجوده بالعدم كالإنسان، والمفتقر إلى الوجود في ذاته. وقد ذهب المتكلمون إلى أن كل ما سوى الله حادث. وخالفهم الفلاسفة بأن مقتضى كونه تعالى علة للكون منذ الأزل، هو قدمية الكون وأزليته أيضًا. والتعدد في القدماء يكون محذورًا؛ إذا كان كل قديم غنيًّا بذاته، واجب الوجود. ولا وجود

للمعلول من دون العلة التي تفيض عليه بالوجود، ولا يكون واجبًا حتى إذا كان قديمًا وأزليًّا في وجوده.

انظر: د. عبد المنعم الحفني: معجم المصطلحات الصوفية، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية، 1407 هـ- 1987 م، ص 214، 215، صادق الساعدي: نافذة على الفلسفة، المركز العالمي للعلوم الإسلامية، طبعة توحيد، ص 130، 131.

والمقصود بالحادث في هذا النص هو الجسد، والمقصود بالقديم الروح، ويمكن إدراك القديم بالقديم أي يمكن إدراك الذات الإلهية بالروح عن طريق الفناء عن الجسد وشهواته ورغباته.

لو يهديك عشاقك الروح حبًّا فيك

فكأنهم يحملون الكمون إلى كرمان جميعًا

ما قيمة أن تحمل الكمون إلى كرمان وما الفائدة أو المنفعة؟ وما دامت الحضرة على هذا النحو، فإنه مستغنٍ؛ تضرع أنت إليه. فالمستغني يحتاج إلى الحبيب، وبواسطة

تلك الحاجة تتحرر من هذه الحوادث بغتة. إن شيئًا من القديم يعلق بك ألا وهو العشق. اهتز شرك العشق وانطوى، لأن يحبونه تأثير يحبهم(92). إنك تدرك القديم بذلك القديم ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾(93). هذه هي تتمة هذا الكلام الذي لا تتمة له، ولن يتم إلى يوم القيامة.

(92) يحبونه تأثير يحبهم: إشارة إلى الآية 54، سورة المائدة.

(93) ﴿وهو يدرك الأبصار﴾: سورة الأنعام، جزء من الآية 103.

* * *

المرآة مجلى الحق

إن المرآة(94) لا تميل إليك، ولو تسجد لها مائة سجدة، وهذا عيب فيها، فاستره عنها. إنها (مجلى) محبوبي، وهي تقول بلسان الحال: لا يمكن أبدًا.

(94) المرآة: يبدو شمس الدين التبريزي في هذا النص متأثرًا بأقوال المفكرين القدماء والفلاسفة عن المرآة. فقد تكلم زوزيما SoSime –وهو من المشتغلين بالسيمياء- في القرن الرابع الهجري عن مرآة مصنوعة من معدن لامع يُسمَّى «الإلكتروم» وهو خليط من الذهب والفضة، وقال: لقد صنع الإسكندر المقدوني م 323 ق. م تلك المرآة من أجل حماية الجنس البشري من صاعقة مدمرة، وكان يستخدمها في السحر والتنجيم كذلك. وكانت هذه المرآة تجسد الروح الإلهي، وتطهر الناظر فيها من الرذائل والأدران، فيصبح روحًا. وبناء على هذا فإن هذه المرآة تجمع بين المادة والروح معًا، وتعكس العالم المرئي والعالم اللا مرئي على حد سواء. وهذه المرآة تمثل الروح الإلهي في الحقيقة، ولما تنظر فيها النفس إلى نفسها، وترى نقائصها وعيوبها، تتخلص منها، وتتطهر وتصفو، وتحاكي الروح القدس، وتتحول إلى روح، وتسمو نحو الله تعالى، ويرى الناظر الله تعالى في نفسه عن طريق توسط هذا الروح القدس.

والمرآة في التصوف الإسلامي هي نفْس الصوفي الباطنة التي يحدث لها وبها ومن أجلها تجلي الله وظهوره. وهي المرآة التي ينعكس فيها الحق، ولما كانت النفس الشاهدة مشهودة، والرائية مرئية؛ فإن الحق يكون مرآة للإنسان.

والصوفية يرون الأشياء مرايا ظهورات الحق تعالى وتقدس، ويظنونها مجالي أسمائه وصفاته... فتكون الأشياء من الحق لا الحق جل شأنه.

وقد عبر محيي الدين بن عربي م 638 هـ عن نظريته في معرفة الله قائلًا: فإذن المتجلي له ما رأى سوى صورته في مرآة الحق، وما رأى الحق، ولا يمكن أن يراه، مع علمه أنه ما رأى صورته إلا فيه، فهو مرآتك في رؤية نفسك، وأنت مرآته في رؤيته أسماءه وظهور أحكامها، وليست سوى عينه.

انظر: د. محمود رجب، فلسفة المرآة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى 1994 م، ص 51، 53، 57، 99، 246، 247، أحمد بن عبد الأحد السرهندي الفاروقي النقشبندي: المكتوبات الربانية، جمعها يار محمد الجديد البدخشي الطالقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الجزء الثاني، (ص 421).

قلتُ: فلترجُ المحبوب إذَنْ أن يعطني المرآة في يدي،

حتى أشاهده فيها. قال: إنني لا أستطيع أن أتعلل ولا يمكنني نقض قولك كذلك. وهو يضمر في نفسه: أتعلل بلا شك، ولا أمنحه المرآة؛ لأنني لو أقول له: العيب فيك، فإنه لا يحتمل. ولو أقول:

العيب في المرآة، فهذا أسوأ. ولا تدعه المحبة يتعلل أيضًا. فيقول: أمنحك المرآة في يدك إذَنْ بشرط إذا رأيت عيبًا فيها، لا تعدَّه عيب المرآة، وعدَّه عارضًا فيها، واعتبره صورتك، اجعل العيب فيك لا في المرآة، وإذا لم تجعله فيك، اجعله فيَّ أنا؛ فأنا صاحب المرآة. ولا تعب المرآة. قال: قبلتُ، وأقسمتُ على ذلك. وقلت: أحضر المرآة، فقد نفد صبري. لم يأذن له قلبه مرة أخرى، وقال له: أيها السيد، فلتتعلل مرة أخرى؛ ربما يتخلى عن هذا الشرط، ويعدل عن أمر المرآة. ولم تأذن له المحبة أيضًا. فقال: اشترط شرطًا جديدًا إذَنْ، ثم قال: الشرط والعهد هو: ألا تلقي المرآة على الأرض بسبب أي عيب تراه فيها، وألا تحطم جوهرها، ولو أن جوهرها غير قابل للكسر. قال: حاشا وكلا، إنني لا أقصد هذا أبدًا، ولا أفكر فيه، ولا أتصور أي عيب في المرآة. من ثم امنحني المرآة، حتى ترى أدبي، وتدرك وفائي. قال: لو تكسرها، فإن قيمة جوهرها باهظة. وأخذ المواثيق على هذا. ومع هذا كله لما منحه المرآة في يده، فرّ. فكان يقول في نفسه: لو أن المرآة جيدة، فلماذا فرّ؟ وها هي المرآة أخذت تتهشم. الخلاصة أنه لما وضعها أمام وجهه، رأى فيها صورة قبيحة للغاية؛ فأراد أن يلقيها على الأرض؛ لأنها أدمت كبده. فتذكر هذه الدية والغرامة والفضة والمواثيق، وكان يقول: ليت تلك الشروط والمواثيق والفضة لم تكن؛ حتى كنتُ أسعد قلبي، وأشرح له ماذا ينبغي عليه فعله. كان يقول هذا. وكانت المرآة تعاتب ذلك الشخص بلسان الحال قائلة: أرأيت ما فعلته بك، وما فعلته أنت بي! إنه يحب نفسه إذَنْ، وقد تعلل بالمرآة، لأنه لو يحب نفسه، يغضب من أجل نفسه، ولو أنه يحب المرآة، فإنه يغضب من أجل الاثنين.

هذه المرآة هي الحق بعينه. وهو يظن أنها غير الحق،

مع هذا كله كما أنه يميل إلى المرآة، فالمرآة تميل له. أو العكس. إنك لو تكسر المرآة، ربما حطمتني، فأنا عند المنكسرة(95).

(95) أنا عند المنكسرة: قال شيخ الإسلام: أطلق الله سبحانه في القرآن اسم الوجود على نفسه صريحًا في مواضع... ومنه الأثر الإسرائيلي: أن موسى قال: يا رب أين أجدك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم من أجلي.

عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين﴾، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة 1423 هـ -2003 م، الجزء الثالث، ص 378، 379.

الخلاصة: محال أن تميل المرآة وتحتاط –وعلى هذا النحو فالمحك والأساس أن ميله إلى الحق. إنك لو تقول ألف مرة: أيها الميزان، أظهرْ هذا الناقص كاملًا، فإنه لا يميل إلا بالحق- لو تعتني بها مائتي سنة، وتسجد لها.

إنني أتكلم اليوم وأدقق في كلامي. وسنتحدث بهذا الحديث يومًا، ولن ننقضه.

لا أجد ما أقوله لك!

هذا الكلام –ويمكن أن يكون ترديد الكلام الصحيح من دون نفاق أمرًا صعبًا- هو نفسه كلام ذلك المعلم الزنديق الذي أحيل إليه الجنيد(96). فلما وصل الجنيد إليه بعد سفر طويل، قال: يا جنيد، منذ ذلك اليوم الذي قصدتني فيه، وأنا مطلع على حالك في كل منزل، وقد بقيتُ على هذا النحو، ولا أجد شيئًا أقوله لك. كما قال الشيخ لذلك الصوفي أيضًا: إنك لست محرمًا لفأر، فكيف أبوح لك بالسر؟ إنهم يصيحون بصوت عال، والعقل لا يسمع. لما يأذن العقل بأن يتحدثون بصوت منخفض، يسمع. وإلا فإنه يسمع شيئًا آخر غير هذا الكلام. ولو أجاهده، كيف يطيق ذلك؟ الجنيد لم يكن محرمًا، مع أنه كان شيخًا، وقوة المشايخ شيء آخر.

(96) الجنيد البغدادي: هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد الخزاز القواريري. أصله من نهاوند، ومولده ومنشؤه بالعراق. كان فقيهًا على مذهب أبي ثور، وكان يفتي في حلقته. وقد بلغ الجنيد في الشريعة والحقيقة أقصى غاية، وطريقته مبنية على الصحو، وكان مرجع المشايخ في عصره، وله تصانيف في الإشارات والحقائق والمعاني. وصحب المحاسبي م 243 هـ، وكان ابن أخت السري السقطي م 253 هـ. مات ببغداد سنة 297 هـ.

فريد الدين العطار: تذكرة الأولياء، ترجمة وتقديم وتعليق د. منال اليمني عبد العزيز، المجلد الثاني، ص 242.

وللمزيد من المعلومات انظر ترجمته في الكتاب نفسه ص 19 -62.

إنهم يقولون: الكفر والإسلام سواء عندنا. وهما كسوتان. قال: مع كل هذه القدرة، لا يمكن الحديث معك مطلقًا؛ فقد صرتَ المشار إليه بالبنان والمشهور في العالم. مع هذا كله ربما تناول هذا الجنيد في وقت ما عنبًا كثيرًا وأطعمة مسببة للانتفاخ، وجلس لقضاء الحاجة، وأحدث حدثًا. إنني لا أقول إلا أن ذلك العنب، وتلك الريح التي تصحبه، وتنتشر في هذه الناحية وتلك الناحية، أفضل من مائة ألف مثل فلان.



أحاديث الحق

هل هذه هي صفة القدوس ذي الجلال، وكلامه المبارك. مَن أنت؟ وماذا تملك؟ هذه هي أحاديث الحق والحَكَم. وهذا الذكر هو إشارات المشايخ حقًّا ماذا تملك أنت؟ إنني أتحدث عن حالي، ولا أرتبط بأي علاقة بهؤلاء الناس. تحدث إليَّ أنت أيضًا، إذا كان لديك حديث، واستفسر –لما يكون الكلام دقيقًا- على سبيل الاستشهاد. هكذا يقول مولانا: إنه يستند إلى القرآن والأحاديث حتى يكون كلامه واضحًا ومفهومًا.



* * *

السماع فرض عين(97)

(97) السماع: السماع في اللغة بمعنى الاستماع، وجاء في بعض الرسائل أن السماع هو مجالس الأنس والطرب، وبمعنى ذكر الأمور الماضية، والسماع في العرف هو الرقص.

وفي السماع حرام وحلال وشبهة، فمَن سمعه بنفس مشاهدة شهوة وهوى فهو حرام، ومَن سمعه بمعقوله على صفة مباح من جارية أو زوجة كان شبهة لدخول اللهو فيه، ومَن سمعه بقلب يشاهد معاني تدله على الدليل، ويشهده طرفات الجليل فهو مباح، وهذا قول الشيخ أبي طالب المكي.

والسماع استجمام من تعب الوقت، وتنفس لأرباب الأحوال، واستحضار الأسرار لذوي الأشغال.

يقول أبو القاسم البغدادي: السماع على ضربين: فطائفة سمعت الكلام فاستخرجت منه عبرة، وهذا لا يُسمع إلا بالتمييز وحضور القلب. وطائفة سمعت النغمة، وهي قوت الروح، فإذا ظفرت الروح بقوته، أشرف على مقامه، وأعرض عن تدبير الجسم، فظهر عند ذلك من المستمع الاضطراب والحركة.

وقال الجنيد: الرحمة تنزل على الفقير في ثلاثة مواضع: عند الأكل، فإنه لا يأكل إلا عند الحاجة. وعند الكلام، فإنه لا يتكلم إلا عند الضرورة. وعند السماع، فإنه لا يسمع إلا عند الوجد.

وقال أبو عبد الله النباجي: السماع ما أثار فكرة، واكتسب عبرة، وما سواه فتنة.

انظر: محمد علي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، الجزء الأول أ- ش، ص 971، السهروردي، عوارف المعارف، الباب الثاني والعشرون في القول في السماع قبولًا وإيثارًا، ص 161، 162، د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، مراجعة د. جورج متري عبد المسيح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1993م، ص 100، 101.

يزداد هذا التجلي وتلك المشاهدة للعارفين في وقت السماع. إنهم قد فارقوا عالم وجودهم. ويحلق بهم السماع إلى عوالم أخرى. الجماعة التي لا يعتريها ذلك الحال، فلتحرق أياديها وأقدامها في الجحيم والجماعة التي يعتريها ذلك الحال، تدخل الجنة بلا شك.

والسماع المباح، هو سماع أهل الرياضة والزهد الذين يذرفون دمع العين، ويتسمون بالرقة. والسماع الذي هو فريضة، هو سماع أهل الحال، وهو فرض عين مثل

الصلوات الخمس وصوم رمضان. كما أن شرب الماء وتناول الطعام في وقت الضرورة فرض عين على أصحاب الحال؛ لأنها

تعينهم على الحياة. ولو أن لأهل سماع سماعًا في المشرق، يكون لأصحاب سماع سماع آخر في المغرب، وهم يعلمون أحوال بعضهم بعضًا.



اللطف والقهر

قال رجل: إن مولانا (جلال الدين) يتسم باللطف كله. ومولانا شمس الدين يتصف باللطف وبالقهر(98) أيضًا. وقال فلان ذلك: إنهم جميعًا على هذا النحو. ثم جاء في ذلك الوقت يبرر، ويعتذر. إن غرضي هو الرد على كلامه لا التقليل من شأنكم. أيها الأبله، كيف تؤوِّلُ كلامي لَمَّا يذكر؟ وأي عذر يمكنك الاعتذار به. إنه كان يصفني بأوصاف الله الذي يتصف بالقهر وباللطف أيضًا. لم يكن ذلك الكلام كلامه، ولم يكن أحاديثَ. إنه كلامي الذي كان يرد على لسانه. ولما يبلغك، تقول: إنه للجميع. القهر واللطف الذي يصفوني به، كيف يكون للجميع؟

(98) اللطف والقهر: اللطف هو الفعل الذي يقرب العبد إلى الطاعة ويبعده عن المعصية. واللطف في اصطلاح الصوفية معناه: تربية المعشوق لعاشقه بالرفق والمواساة، حتى يصل إلى درجة الكمال والقوة في احتمال جماله.

والمراد من اللطف: تأييد الحق ببقاء السر، ودوام المشاهدة، وقرار الحال في درجة الاستقامة، إلى حد أن قالت طائفة: إن الكرامة من الحق حصول المراد، وهؤلاء أهل اللطف.

وورد في كتاب فيه ما فيه: أن للحق تعالى صفتين: ألا وهما القهر واللطف. الأنبياء مظهر للصفتين كليهما، والمؤمنون مظهر لطف الحق، والكافرون مظهر قهر الحق.

انظر: محمد على التهانوي وآخرون: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، جـ 2، ص 1406، 1407، د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص 151، شمس الدين محمد تبريزي، مقالات شمس تبريز، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، ص394.

عندئذ يجب على هؤلاء العقلاء المؤدبين أن يلحقوا بأبي يزيد والجنيد والشبلي(99) في يومين، وأن يصبحوا ندماء لهم. ولو أنهم يتصفون بصفات معاملة أولئك المشايخ له من دون أن يعملوا بها. وإن الرجل ليذهل عقله بسبب السماع. ومع هذا كله فإنه يموت محجوبًا عن الله تعالى. وقد ذهب درويش إلى قبره؛ وقال: لقد بقي حجاب بين هذا الرجل والله تعالى. ذلك هو كرم ذلك الدرويش. فلتسل درويشًا آخر.

(99) أبو يزيد والشبلي: أبو يزيد هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي، كان جده مجوسيًّا يُدعى سروشان، وأسلم. وكانوا ثلاثة إخوة: آدم وطيفور وعلي، وكانوا جميعًا زهادًا وعبادًا. قيل إنه مات 261 هـ وقيل 234 هـ.

وأبو بكر الشبلي: هو دلف بن جعفر، وقيل: دلف بن جحدر، وقيل: جحدر بن دلف، وقيل: دلف بن جعبرة، وقيل دلف بن جبعوية، وقيل اسمه جعفر بن يونس. وهو خراساني الأصل،

بغدادي المنشأ والمولد. كان أوحد زمانه حالًا وظرفًا وعلمًا. تفقه على مذهب الإمام مالك، وتاب في مجلس خير النساج، وكتب الحديث ورواه، وتوفي ببغداد سنة 334هـ.

فريد الدين العطار النيسابوري، تذكرة الأولياء، ترجمة وتقديم وتعليق د. منال اليمني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006 م المجلد الأول، ص 641، المجلد الثاني، ص558.



جمال وقبح

إن مولانا له جمال حسن، ولي جمال وقبح. كان مولانا قد شاهد جمالي، ولم يكن قد رأى قبحي. إنني لا أنافق هذه المرة، وأفعل السوء؛ حتى يرى جمالي وقبحي بوضوح تام.



الصحبة والعزلة

علامة ذلك الشخص الذي سلك الطريق بصحبتي هي: أن تسوءه صحبة الآخرين، وتثقل عليه. ولا يعني ذلك أنها تسوءه، ومع ذلك يصحبهم، بل إنه لا يستطيع صحبتهم.

الحشيش حرام!

يشتهر أصحابنا بتناول الحشيش. إنه خيال الشيطان. وخيال الملاك لا قيمة له هنا، فما بالك بخيال الشيطان! إننا لا نرضى عن الملاك نفسه، فما بالك بخيال الملاك! ماذا يكون الشيطان نفسه حتى يكون خياله؟ لماذا لا يعتري أصحابنا الذوق في عالمنا الذي بلا نهاية؟ هكذا يفعل ذلك (الحشيش) بالإنسان ما لا يفهمه أبدًا، وهو غافل.

ثم تحدث عن مسألة التحريم قائلًا: ورد تحريم الخمر في القرآن، ولم يرد تحريم الحشيش. فقلتُ: لكل آية سبب للنزول. ولم يكن الصحابة يتناولون هذا الحشيش في عهد الرسول ﷺ، وإلا لكان الرسول ﷺ يأمر بالقصاص منهم. وكانت كل آية تنزل على قدر الحاجة، وبسبب للنزول. فلما قرأ الصحابة القرآن بصوت عالٍ عند الرسول ﷺ؛ شوش خاطره المبارك، ونزلت الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾(100).

(100) ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾: سورة الحجرات، جزء من الآية 2.

هذا شأن القلب لا شأن الجبهة!

الأنبياء جميعهم يُعرِّف بعضهم بعضًا. يقول عيسي: أيها النصراني، إنك لم تعرف موسى جيدًا، فتعال وشاهدني؛ حتى تعرف موسى. ويقول محمد: أيها النصراني، أيها اليهودي، إنكما لا تعرفان موسى وعيسى جيدًا، فتعالا، وشاهداني، حتى تعرفاهما. الأنبياء جميعهم يُعرِّف بعضهم بعضًا. وكلام الأنبياء يشرح بعضه بعضًا ويبينه. من ثم قال الأصحاب: يا رسول الله، إن كل نبي مُعرِّف من قبله، وأنت خاتم النبيين، فمَن يُعرِّف بك إذَنْ؟ قال: مَن عرف نفسه فقد عرف ربه(101). يعني: مَن عرف نفسي فقد عرف ربي. كل مَن ازداد علمًا، ازداد بُعدًا عن المقصود، وكلما ازداد فكره غموضًا، ازداد بُعدًا. هذا شأن القلب لا شأن الجبهة.

(101) «مَن عرف نفسه، فقد عرف ربه»:

حديث باطل لا أصل له. قال ابن تيمية: وبعض الناس يروي هذا عن النبي ﷺ، وليس هذا من كلام النبي ﷺ، ولا هو في شيء من كتب الحديث، ولا يعرف له إسناد. وسُئِلَ ابن حجر الهيثمي عنه، فقال: لا أصل له، وإنما يُحكى من كلام يحيى بن معاذ الرازي الصوفي، ومعناه: مَن عرف نفسه بالعجز والافتقار والتقصير

والذلة والانكسار، عرف ربه بصفات الجلالة والجمالة على ما ينبغي لهما.

ملتقى أهل الحديث، سلسلة أحاديث لا تصح.www.ahlalhdeeth.com.

خريطة الكنز

قصة مَن وجد خريطة الكنز وفحواها(102): فلتخرج إلى البوابة الفلانية، توجد هناك قبة. تدير ظهرك إلى تلك القبة، وتتجه نحو القبلة، وتطلق السهام. كل مكان يسقط فيه السهم، يوجد فيه كنز.

(102) قصة الكنز: لقد نظم مولانا هذه القصة كاملة في الدفتر السادس للمثنوي، وقال: إن درويشًا كان يدعو الله أن يرزقه من دون كسب وسعي. فرأى خريطة كنز في المنام، مكتوبٌ عليها: هناك قبة خارج المدينة. تدير ظهرك إلى تلك القبة، وتتوجه نحو القبلة؛ وتضع السهم في القوس. هناك كنز مخفي. أعد الدرويش الفأس والمعول والقوس، وذهب إلى ذلك المكان، وألقى السهام، وحفر المكان الذي كان السهم قد سقط فيه، لكنه لم يجد أثرًا للكنز... كان يكرر هذا العمل كل يوم حتى بلغت القصة الملك. فقبضوا على الدرويش المسكين؛ واستولوا على خريطة الكنز. بعد ذلك انشغل رماة الملك الماهرين بإطلاق السهام في المكان ذاته مدة ستة أشهر، وحفروا أطراف القبة كلها وجوانبها؛ لكنهم لم يجدوا كنزًا في النهاية يئس الملك، وأعاد خريطة الكنز إلى الدرويش. فهتف هاتف بالدرويش المحروم: إننا قلنا ضع السهم في القوس، ولم نقل اجذب وتر القوس.

انظر: مقالات شمس تبريز، تصحيح: محمد علي موحد، ص 396، 397.

أتعرف ما السمك؟

يعظ الواعظ ليبين علامة المقصود ودليل الطريق. ويُعَرِّف بالسالك والشيخ غير الكامل. وينشد الشاعر شِعرًا من أجل البيان والتدليل. فيصير متهمًا أمام العالِم. مثل رجل كان يتحدث عن السمكة. فقال له رجل آخر: اسكت، أتعلم ما السمك؟ الشيء الذي لا تعرفه، لماذا تتحدث عنه؟ قال: هل أنا لا أعرف ما السمك؟ قال: نعم، لو أنك تعرف السمك قل ما علامته؟ قال: علامة السمك هي أن له قرنين مثل الجمل! قال: حسنًا، أنا نفسي لم أكن أعلم أنك لا تعرف السمك. الآن وقد شرحت شيئًا آخر، اتضح لي أنك لا تميز بين الثور والجمل.

إذا لم تضحك الشقائق من دون سبب

فكيف كان شخص يرى سواد قلبهـــــا

ولو أنها مخضبـــــة بدمائهـــــا

فذلك هو جزاء أصحاب القلوب السوداء

حقًّا هذا هو الأمر برمته، كلموا الناس على قدر عقولهم(103). ومن ثم قدر العقول ذلك هو آفتهم.

(103) كلموا الناس على قدر عقولهم: جاء في كشف الخفا للعجلوني: أُمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم. رواه الديلمي بسند ضعيف عن ابن عباس مرفوعًا، وفي اللآلئ بعد عزوه لمسند الفردوس عن ابن عباس مرفوعًا. قال: وفي إسناده ضعيف ومجهول.

ملتقى أهل الحديث.www.ahlalhdeeth.com.

العقل عقيلة الرجال

والعشق محلل العقال

العقل يقول: لا تبالغ

والعشق يقول: لا تبالِ

الدجاجة وبيض البط

كانت واقعة عجيبة قد حدثت لهذا الداعي في الصغر، ولم يطلع أحد على حاله. ولم يعلم أبي بحالي، وكان يقول: إنك لست أحمق. وأنا لا أعلم أي سلوك تسلكه؟ ليست هناك تربية ولا رياضة ولا أستاذ. فقلت له: اسمع قولًا مني: إن حالك معي مثل بيض بط وُضع تحت دجاجة، فرقدت عليه، وفقس بطًّا صغيرًا، كبر البط الصغير، وجاء إلى شاطئ البحر مع الأم، ونزل في الماء. أمه هي الدجاجة، وقد كانت تسير على شاطئ البحر، ولم تستطع النزول في الماء. إنني أرى البحر الآن يا أبي، وقد صار مركبي، وهذا هو ظني وحالي. فلو أنك مني أو أنني منك، انزلْ في ماء البحر هذا، وإلا فاذهبْ مع الدجاج، وهذا جزاؤك. قال: هكذا تفعل مع الحبيب، فماذا تفعل مع العدو؟

الشك واليقين

حقًّا لقد بقي قومٌ في الشك، وبقي قومٌ في اليقين. إنك تقول: هذه هي مرتبة قوم. وقد سلك الحلاج مسلك الشك. وتأرجح قوم بين الشك واليقين. أرواح الشهداء في حواصل طير خضر، وأرواح الشهداء في حواصل طير خضر، وأرواح المؤمنين في حواصل طير بيض، وأرواح الأطفال في حواصل عصافير، وأرواح الكفار في حواصل طير سود(104).

(104) أرواح الشهداء في حواصل طير خضر: إشارة إلى الحديث: أخرج ابن منده، عن أم كبشة بنت المعرور، قالت: دخل علينا النبي ﷺ، فسألناه عن هذه الأرواح، فوصفها صفة، لكنه أبكى أهل البيت، فقال: إن أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر ترعى في الجنة، وتأكل من ثمارها، وتشرب من مياهها، وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش، يقولون: ربنا الحق بنا إخواننا، وآتنا ما وعدتنا، وأن أرواح الكفار في حواصل طير سود، تأكل من النار، يقولون لا تلحق بنا إخواننا، ولا تؤتنا ما وعدتنا.

وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي من طريق ابن عباس، عن كعب قال: جنة المأوى فيها طير خضر، ترتقي فيها أرواح الشهداء،

تسرح في الجنة، وأرواح آل فرعون في طير سود، تغدو على النار وتروح، وأن أرواح أطفال المسلمين في عصافير في الجنة.

وأخرج عبد الرزاق، عن قتادة، قال: بلغنا أن أرواح الشهداء في صور طير بيض تأوي إلى قناديل تحت العرش.

الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة 911 هـ: شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، 1372 هـ - 1952 م، ص 234، 235.

صاحب القلب السليم

السماع حلال للخواص؛ لأنهم يملكون قلوبًا سليمة. الحب في الله والبغض في الله(105). ولو يُلعن الكافر مائة سنة من صاحب القلب السليم، يؤمن. ولو يُلام المؤمن، يصير وليًّا، ويدخل الجنة في العاقبة. ولقد رأيت أنت واقعة(106) في منامك. وقلتُ أنا: إنه بلغ هذا المقام لما انتقل ما في قلبي إلى قلبه، وسوف تصادفه أحداث كثيرة، وفي النهاية يُسلم ويَسلم.

(105) الحب في الله والبغض في الله: إشارة إلى الحديث النبوي: حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الوهاب الثقفي، قال: حدثنا أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: ثلاث مَن كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يقذف في النار.

صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، حديث رقم 16. جامع السنة وشروحها. hadithportal.com.

(106) الواقعة:

الواقعة: هو ما يرد على القلب من ذلك العلم بأي طريق كان من خطاب أو مثال.

والواقعة: الذي يراه السالك الواقع أثناء الذكر واستغراق حاله مع الله، بحيث يغيب عنه المحسوسات، وهو بين النوم واليقظة. وما يراه في حال اليقظة والحضور يسمى مكاشفة.

د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص 182.

مصارع الأسود

إذا لم يتحقق معنى اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون(107)؛ لكان أبو جهل يضع السقط على قفا المصطفى(108) ﷺ، ولَمَا تيبست يده، ولما كانت تتورم. في النهاية مَن كان فارسًا في طريقهم يعمد شخص غير مؤدب الإساءة إليه في الحال. من ثم الرجل الذي يبجله الناس والملائكة بسبب عظمته، كيف يندهشون من كلامه؟ مثل رجل يلعب بالحبل، فيتعجب الخلق من طول الحبل ومن شجاعة الرجل وإقدامه. وتخفق قلوب المتفرجين وتضطرب، خاصة مَن يرى أنه قد اعتلى أسدًا أسود، وأنه يضرب الأسد على رأسه في جسارة كأنه حمار ضعيف.

(107) اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون:

إشارة إلى الحديث: روى أن النبي ﷺ لما كُسرت رباعيته، وشُج وجهه يوم أحد. شق ذلك على أصحابه شديدًا، وقالوا: لو دعوت عليهم! فقال: إني لم أبعث لعانًا، ولكني بعثت داعيًا ورحمة. اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون. رواه مسلم.

القاضي عياض (أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي 476 هـ -544 هـ): الشفا بتعريف حقوق المصطفى

ﷺ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه حسين عبد الحميد نيل، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 95.

(108) وردت هذه الحكاية في الصحيحين من حديث ابن مسعود، قال رضي الله عنه: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، إذ قال أبو جهل: مَن يأخذ سلا جزور بني فلان –وكان جزور ذبح بالأمس، والسلا هي: كرشة الجزور أي الجمل- فيضعه على ظهر محمد وهو ساجد. فانبعث أشقاها وهو عقبة ابن أبي معياط، أخذ سلا الجزور، ووضعه على ظهر النبي ﷺ. وجعلوا يستضحكون، ويميل بعضهم على بعض، قال ابن مسعود: لو كانت لي منعة –أي لو كانت لي عشيرة تحميني من بطش هؤلاء- لرفعت هذا السلا من على ظهره ﷺ والنبي ﷺ ظل ساجدًا كما هو لم يتحرك حتى قضى سجوده، وأخبر إنسان فاطمة رضي الله عنها، فجاءت وهي جارية تسعى، حتى طرحت هذا السلا من ظهره ﷺ، وأقبلت على هؤلاء الصناديد تسبهم، فلما قضي رسول الله ﷺ، دعا عليهم.

ملتقى أهل الحديث. ahlalhdeeth.com.

مرتبة مولانا

هذا النسيان على نوعين: أحدهما: يكون بسبب الدنيا كما قيل:

الدنيا تُنسي ذكر الآخرة. والسبب الآخر للنسيان هو: الانشغال بالآخرة، الذي ينسيه نفسه، فتصير الدنيا في يده مثل الفأر في مخلب القط. وربما تحقق له في صحبة عبد الله ما لا يتحقق لذلك الشيخ الذي جلس على السجادة ثلاثين سنة. أما السبب الثالث للنسيان فهو محبة الله التي تنسيه الدنيا والآخرة.

هذا هو معنى: الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، والدنيا والآخرة حرامان على أهل الله(109)، لكن لي سُكر في المحبة وصحو. أي أنه ينساها لأن السُّكر يكون في المحبة، أما الصحو فلا يكون في المحبة. ولا يعتريني ذلك النسيان في السُّكر. فأي جرأة للدنيا حتى تحجبني أو تُحجب عني؟

(109) الدنيا حرام على أهل الآخرة:

حديث موضوع.

الدرر السنية. dorar.net.

ما أعجبها من مؤاخذة!

أنتم مجرمون جميعًا؛ لقد قلتم عني إنه فارغ من أمر الدنيا، وهو يجتمع بمولانا شمس الدين التبريزي. فما أعجبها من مؤاخذة! وما أطيبه من حرمان! إذا لم يتحلل هذا الشخص، أسأل الله، فينبئني قال أو لم يقل. بعد ذلك يقول: تتحلل أم أوبخك؟ وأقول: كيف تريد المزج بين إرادتي وإرادتك؟ فيتحدث هو، وأسهب أنا في الحديث. الخلاصة تطول المناظرة. وإذا تم العفو عنه هذه المرة، فكيف لا يكررها مرة أخرى؟ إنه لن يرضى أبدًا، ولن يراني يوم القيامة في الجنة. من ثم إذا لم تتوفر تلك الدراهم المعدودة، لكنت أخرج من هذا المكان. فكيف يكون حالكم حينئذ؟ ولن أعود مرة أخرى.

عقدة السماع

قال الشيخ: لقد منع الخليفة السماع؛ فانعقدت عقدة في باطن الدرويش، وتألم. أحضروا طبيبًا حاذقًا، فجس نبضه، ولم يجد هذه العلل والأسباب التي كان قد قرأ عنها. توفي الدرويش، فنبش الطبيب قبره، وشق صدره، وأخرج العقدة. كانت العقدة مثل العقيق. باعها في وقت حاجة، وانتقلت من يد إلى يد حتى وصلت إلى الخليفة. جعلها الخليفة فص خاتمه، وكان يحتفظ بها في الخاتم. استهان الخليفة بالسماع يومًا، فوجد ثيابه مخضبة بالدم. لما أمعن النظر، لم يَرَ أي جرح، فرفع يده بالخاتم، فوجد الفص منصهرًا. طلب الخليفة الخصوم الذين كانوا قد باعوه، حتى وصل إلى الطبيب، فشرح له الطبيب الحال.

ما دام الدم قد سال ملونًا ولا ترى موضعًا

فاقطع الوريد؛ لأنه يجلب الاحمرار إلى عيني

مَن يجعل السماع لذة جسدية، فسماعه غذاء، تشتهيه النفس، وربما صار طعامًا كله ﴿يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾ (110).

(110) ﴿يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾: سورة محمد، جزء من الآية 12.

هذه هي المشكلة

قال: ألا تناجي الله تعالى، قط؟ قال: بلى. قلتُ: يبدو كذبك في اللحظة نفسها، وفي اللحظة التي سوف يظهر الكذب فيها أدحضه. وقلتُ: وهل يجيب عليك؟ قال: هذه هي المشكلة. قلت: كانت هناك مشكلة في البداية أيضًا؛ واستهنتَ أنت بها. ينبغي عليك أولًا القول: إن هناك مشكلة. مثلما عجز ذلك الفقيه أمام الحجاج في النهاية، فقال له الحجاج: لماذا لم تكن تظهر هذا العجز في البداية ﴿حتى إذا أدركه الغرق قال آمنتُ﴾(111).

(111) ﴿حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت﴾: سورة يونس، جزء من الآية 90.

يتقدم الصف ذلك الشخص الذي

يعلم عاقبة الأمـــور جيدًا

بمجرد أن تغير وجه الشيخ، واستاء. لم يبقَ له سوى التضرع والعمل الصالح والأنين في منتصف الليل خفية عن الخلق. وقال: يا إلهي، ادفع هذا الحال عنا، واكشف هذا الحجاب عن أعيننا. في

النهاية أدركتَ ذلك الحال، وظهر لك ذلك النور. كان هناك حجاب، وانكشف.

لكل متغير مغيـــــــر

في رأي كل عاقل عالم

من ثم ما دام هذا الحجاب قد أسدل الآن، تلزم نار الحاجة لتحرق ذلك الحجاب، ما دام لا يستفيد أي شخص أي فائدة منا، لا دينية ولا دنياوية، لا حساب ولا كتاب.

الشيخ الضرير

يمكنك الإجابة عليه بكلامه، لما تقول: إن لمولانا جاهًا ونورًا ومهابة. وذلك الشخص الذي يعتقد فيه، ويقتدي به، ويتبعه باطلًا في النهاية. فكيف يكون له جاه ونور؟ إنك تقول: يجب أن يسير خمسون وليًّا مفردين(112) في ركاب مولانا. فكيف يقتدون بضرير في النهاية؟ إنك تقول: إن للأولياء سمات. فلتفتش عن الأولياء، حتى تعرف سماتهم فهم لما يعجزون، إما أن يظهر نور بسبب ذلك العجز أو ظلمة؛ لأن إبليس عبس بسبب العجز، واطمأنت الملائكة بسبب العجز. هكذا يفعل المعجزات، وهكذا تكون آيات الحق. ولما يعجزون، يسجدون.

(112) المُفرَّدون: ذكر عن رسول الله ﷺ، فيما روى عنه: سبق المفردون. قيل: يا رسول الله، ومَن المفردون؟ قال: الحامدون في السراء والضراء.

أبو نصر السراج الطوسي: اللمع، حققه وقدم له وخرج أحاديثه د. عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد 1380 هـ -1960 م، ص 463.

النظرة الأولى

ذلك الذي يقول: إنني أعرف الرجل من أول نظرة ألقيها عليه. قد أخطأ خطأً جسيمًا هو ومَن على شاكلته فيما أدركوه واطمأنوا إليه وسروا به ومالوا إليه. فتلك النظرة نار. إنها نار بداخلك، يجب أن تمضي وتتجاوزها كأنها هواء.

العامة والخاصة

لا شأن لي في هذا العالم بهؤلاء العوام مطلقًا، ولم أجئ من أجلهم. لكنني ألوم هؤلاء الأشخاص الذين هم هداة العالم إلى الحق.

فتوى العقل

كان شهاب هريوه(113) مقبولًا في دمشق عند المنطقيين. وكان يعزي الانشغال بالمرأة والشهوة إلى الضعف بلا شك. ويقول: هذه هي فتوى العقل. وكان محمد الجوياني قد قال له: ألا يخطئ العقل في الفتوى أبدًا؟ قال: لا، العقل لا يخطئ في الفتوى ذلك الشيء الآخر هو الذي يخطئ.

(113) شهاب هريوه: فيلسوف دهري، كان وثيق الصلة بشمس التبريزي، وكان يعتقد أن العقل دليل الإنسان الذي لا يخطئ، وأن الموت يخلص الإنسان من محنة الدنيا، وأن مجالسة الناس ومصاحبتهم تبعث على الملل. كانت زوجته وابنه من أهالي هراة، لكنه كان يعيش في نيسابور قبل سفره إلى دمشق لملاقاة شمس. وكان شمس يذكره دائمًا بألفاظ تفيض بالمحبة.

انظر: fa.m.wikipedia.org.

حلاوة الإيمان

قلتُ: إن حلاوة الإيمان ليست تلك التي تأتي وتنصرف.

رأيتُ زين صدقة(114) هائمًا مثل جواد جامح تتركه يهيم على وجهه في الصحراء، فيضل الطريق.

(114) الشيخ زين الدين صدقة: رجل حاد الطبع، كثير الادعاء، كان من مريدي أوحد الدين الكرماني، وتولى الإرشاد في قونية.

انظر: مقالات شمس تبريز، تصحيح محمد على موحد، ص 408.

وعماد الباري(115) هذا أفضل منه؛ لأنه يفرق بين النحو واللغة.

(115) الشيخ عماد الدين الباري:

من مريدي أوحد الدين الكرماني، وكان يصحب الشيخ زين الدين صدقة إلى الحمام والبستان.

انظر: السابق، الصفحة نفسها.

التردد تودد

كان حفيد شهاب السهروردي يقول لي: التردد تودد. قلتُ: إنه ليس من سماتك أيها الفاسق عماد الباري.

من الولي؟

يُسمَّى يحيى عليه السلام في القرآن «الولي». وكان شديد البكاء. ولو كنت معه، لكنت أزكيه. لأنه معصوم، والإثم هو الذي يوجب البكاء. فمَن هذا الولي؟ تعالَ، وقلْ. ولم يطلق على أحد من الأنبياء في القرآن وليّ أبدًا. والله أعلم.

الجوهر المحجوب

هؤلاء الذين لا يعلمون بحالي. كانوا يقولون: انتظر حتى تأتي القافلة من دمشق، وترد أخبار الطريق، عندئذ سافر. إنه لو يريد الاستماع إلى كلامي عن طريق المناظرة والبحث في كلام المشايخ أو في الحديث أو في القرآن، فإنه لا يستطيع سماعه، ولا يرضى عني. ولو أنه يريد المجيء والسماع على سبيل الحاجة والإفادة التي هي أساس الحاجة، فإنه يفيد منه. وإلا فإنه لا يتحدث يومًا أو عشرة أيام بل مائة سنة، هو يتحدث ونحن نطرق، ونصغي.

ربما وضعوا جوهرًا في صندوق متين، ولفوه في منديل أسود، وأخفوه في عشر لفافات، ووضعوه في كم الثوب أو في الثوب، فلا تروه. إن هذا ليس عجيبًا.

جمال الروح

مثل ذلك السيد الذي كان قد أدرك أريج الروح وجمالها، لا مَن كان قد أدرك الروح نفسها. وهناك فرق كبير بين إدراك حلاوة الروح وإدراك الروح. وبعد أن أدرك الروح، يجب عليه سلوك الطريق إلى الله، حتى يشاهد الله عيانًا في هذه الحياة أيضًا. إنني لا أتحدث في هذه الدنيا. فالجوهر مع أنه محجوب خلف تلك الحجب، فإن له شعاعًا ينبعث إلى الخارج. ذلك الشخص الصحيح النظر يدرك المستور. وليس عجيبًا ألا يدرك المستور. إنما العجب هو أنهم يخرجونه، ويضعونه على كف يده، ولا يراه، وإلا فمَن يردد كلام سقراط وبقراط وإخوان الصفا واليونانيين في حضور محمد وآل محمد وذرية روح محمد وقلبه لا ذرية الماء والطين. والله تعالى موجود أيضًا.

عمر والتوراة

كان عمر رضي الله عنه يقرأ جزءًا من التوراة، فأخذ المصطفى ﷺ الجزء من يده. يعني إذ كان ذلك الشخص الذي نزلت عليه التوراة حيًّا، لكان يتبعني(116).

(116) إشارة إلى الحديث الصحيح: حديث أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب فقرأه، فغضب النبي ﷺ، فقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء، فيخبروكم بحق، فتكذبوا به أو بباطل، فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى عليه السلام كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني.

رواه أحمد عن جابر بن عبد الله، وحسنه الألباني في الإرواء.

.ahlalhdeeth.com

قرع الطبول

كان إبراهيم بن أدهم(117) يبذل الأموال في سبيل هذا الهوس قبل أن يترك ملك بلخ، وكان يعكف على الطاعات، ويقول: ماذا أفعل؟ وكيف لا يتحقق لي الفتح؟ وكان قد استلقى على السرير ذات ليلة وهو بين النوم واليقظة. وكان الحرس يضربون الطبول، وينفخون في الأبواق، ويعزفون الألحان. فكان يقول في نفسه: أي عدو تصدونه وقد نام العدو بجواري! إننا محتاجون إلى نظرة رحمة الله تعالى. أي أمن يأتي منكم؟ فلا أمان إلا في كنف لطفه. كاد أن يصيبه هوس شديد بسبب هذه الأفكار، فكان يرفع رأسه عن الوسادة، ويضعها مرة أخرى. عجبًا للمحب كيف ينام. فجأة سمع جلبة ووقع أقدام مسرعة فوق سطح القصر. كأن جمعًا يأتون ويروحون، وينبعث صوت أقدامهم من القصر. فيقول الملك في نفسه: ماذا حدث لهؤلاء الحرس؟ ألا يرون هؤلاء الذين يهرولون فوق هذا السطح؟ كان يتعجب من وقع الأقدام ذلك، ويصاب بالحيرة والدهشة. حتى إنه كاد أن ينسى نفسه والقصر أيضًا، ولم يكن يستطيع أن ينادي على الحرس، ويخبرهم بذلك. وفي تلك الأثناء أطل رجل برأسه من فوق سطح القصر، وقال: مَن أنت أيها المستلقي على السرير؟ قال: أنا الملك. ومَن أنت أيها القابع فوق هذا السطح؟ قال: لقد فقدنا قطارين من الإبل أو ثلاثة، ونبحث عنهم فوق سطح القصر هذا. قال له إبراهيم بن أدهم: إنك

أحمق. فقال: أنت الأحمق. قال: فقدت الإبل فوق سطح القصر؟! أيبحثون عن إبل في هذا المكان؟! فقال له: أيطلبون الله تعالى فوق عرش الملك؟! أتطلب الله تعالى في هذا المكان؟! وحدث أن شخصًا لم يره مرة أخرى؛ فقد مضى، ومضى الأحباب في إثره.

(117) إبراهيم بن أدهم: هو أبو إسحق إبراهيم بن أدهم، من أهل بلخ، كان من أبناء الملوك، وخرج متصيدًا فهتف به هاتف أيقظه من غفلته، وجعله يسلك طريق الزهد والورع. صحب

سفيان الثوري والفضيل بن عياض، ودخل الشام، ومات بها سنة 161 أو 162 هـ.

فريد الدين العطار: تذكرة الأولياء، ترجمة وتقديم وتعليق د. منال اليمني، المجلد الأول، ص 636.

الإخلاص في العمل

ما دمت لم تخلص في أداء عمل إخلاصًا تامًّا، يبدو لك ذلك العمل صعبًا عسيرًا. وما دمت قد أخلصت في أدائه، لا يبقى عسيرًا مرة أخرى.

* * *

الولاية

ما معنى الولاية(118)؟ مَن يمتلك الجند والمدن والقرى؟ لا، بل إن الولاية لمن تكون له ولاية على نفسه، وعلى كلامه وسكوته. وعلى القهر في محل القهر، واللطف في محل اللطف. وألا يفعل مثل العارفين الذين يقولون: نحن عاجزون، وهو قادر.

(118) الولاية هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وذلك يتولى الحق إياه حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكين. والولاية عبارة عن تولي الحق سبحانه وتعالى بظهور أسمائه وصفاته عليه علمًا وعينًا وحالًا وأثر لذة وتصرفًا.

والولي الذي بعد عن الدنيا وقرب إلى المولى. وقيل الذي فرغ نفسه لله، وأقبل بوجهه على الله. قال ذو النون: لا تجالسوا أهل الولاية والصفاء إلا على الطهارة والنقاء فإنهم جواسيس القلوب.

د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص 188، محمد على التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، جـ 2، ص 1807.

والأصل العربي للحكاية:

إيش معنى الولاية؟ أن يكون له عساكر وبلدان وضياع؟ لا، بل الولاية أن يكون له ولاية على نفسه، وعلى أحواله وصفاته وكلامه، وقهره في محل القهر. قلت: الله على تغيير حالي إلى ما تصفه قادر، قال: نحن ما نريد منك هذا، إيش ينفعنا هو قادر تعالى وتقدس، ينبغي أن تكون أنت قادرًا على السكوت في موضع السكوت، وعلى الجواب في محل الجواب، واللطف في محل اللطف، وعلى القهر في محل القهر. إيش ما تقول له؟ أنت ما تستحي مني، تقول في وجهي وتأمرني، فإيش يكون لك حظ من وعظي؟ تأمرني هكذا، فهذا الجامكية التي كتب لك، صار علينا بلاء وعذابًا.

نقلًا عن: مقالات شمس تبريز، تصحيح محمد على موحد، ص 341.

لا، بل ينبغي عليك أن تكون متحكمًا في صفاتك جميعها، قادرًا على السكوت في موضع السكوت، والإجابة في محل الإجابة، والقهر في محل القهر، واللطف في محل اللطف. وألا تكون صفات المرء وبالًا عليه وعذابًا. وما دام لا يكون محكومًا، يكون حاكمًا.

موت أم حياة؟

كان متفلسف فلسفي يشرح عذاب القبر، ويفسر ما بعد الموت تفسيرًا عقليًّا، ويقول: إن الروح قد هبطت إلى العالم حتى تكمل نفسها، وتحمل بضاعة كمالها من هذا العالم، حتى إذا رحلت عن هذا العالم، لا تتحسر عليه. الآن ينبغي عليها الانصراف عن الصورة إلى المعنى. وكان الجسد يعتاد على الروح. فلما انشغلت الروح بالصورة، واعتادت على الجسد، ابتليت، ولم تبقَ لها فسحة أو سعة. فأدركت المال مثلًا في ذلك الطرف، والحرمة والمرأة. ووجدت الأنيس والرفيق وأنواع اللذات في هذا الطرف. من ثم مالت إلى هذا الطرف. ولو يذكرون اسم الموت أمامها، تموت ألف مرة. إذا كانت تحقق مرادها في هذا العالم، لكانت تشتاق إلى الرحيل إلى ذلك العالم، من ثم لم يكن ذلك موتًا، بل كان حياة. كما يقول المصطفى ﷺ: المؤمنون لا يموتون بل ينقلون(119). من ثم النقل شيء، والموت شيء آخر. مثلًا لو أنك تقيم في بيت مظلم غير نزيه؛ فإنك لا تستطيع رؤية النور فيه، ولا يمكنك أن تمد رجليك فيه. بعد ذلك انتقلت من ذلك البيت إلى بيت أكبر وقصر عظيم فيه بستان وماء جار. إنهم لا يسمون ذلك موتًا.

(119) المؤمنون لا يموتون بل ينقلون: إشارة إلى الحديث: قال ﷺ: المؤمنون لا يموتون بل ينقلون من دار إلى دار.

الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي البكري الرازي الشافعي 544 -606 هـ، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، المجلد الثالث عشر، الجزء 25، 26، (ص 87).

من ثم هذا الكلام مثل مرآة مصقولة، فلو أن لك نورًا وذوقًا، تشتاق إلى الموت. بارك الله فيك، ولا تنسنا من الدعاء، وإذا لم تحظَ بمثل هذا النور والذوق، فتدارك، واطلب، واجتهد. والقرآن يخبرك بأنك لو تَجِدُّ، تجد مثل هذا الحال. من ثم جد في طلبه ﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ (120).

(120) ﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾: سورة الجمعة، جزء من الآية 6.

وكما أن هناك من الرجال صادقين ومؤمنين طالبين للموت، فكذلك هناك مؤمنات وصادقات. هذه هي المرآة المصقولة التي تجد فيها شرح حالك. كل حال وكل عمل يذكرك بالموت، هو عمل حسن. من ثم انظر إلى تلك المرآة حين تتردد بين أمرين؛ لترى أيهما أكثر لياقة بالموت. ويجب أن تبقى نورًا صافيًا مستعدًّا للموت ومنتظرًا له، وتجتهد اجتهادًا لإدراك هذا الحال.

أتظن أن ذلك الشخص الذي يعكف على اللذات، تكون حسرته أقل، في الحقيقة إن حسرته تزداد، لأنه اعتاد على هذا العالم

كثيرًا. وما قالوه في شرح عذاب القبر على سبيل الصورة والمثال، شرحت لك معناه(121).

(121) الأصل العربي للحكاية: المفلسف يفسر العذاب بعد الموت من جهة المعقول، ويقول: إن الروح جاء هنا؛ ليستكمل بضاعته هيهنا، حتى لا يكون له حسرة إذا خرج من هيهنا. وكان ينبغي أن يتوفر المعاني ويتعود البدن بالروح. فلما تعود الروح بالبدن، انغلق الباب العلوي، ولم يبق للروح فسحة من ذلك الطرف، مثلًا رأى المال والحرمة والزوجة والأنيس والرقيب من هذا الطرف وأنواع اللذات، فمال إلى هذا الطرف، فلو ذكر الموت كان ذلك عليه ألف موت، فلو كان رأى من ذلك العالم المرادات، لكان مشتاقًا إلى السير إلى ذلك العالم، فلا يكون موتًا له بل حياة. قال عليه الصلاة والسلام: المؤمنون لا يموتون بل ينقلون. فالنقل غير والموت غير، مثلًا: إذا كنت في بيت مظلم ضيق، لا يقدر يتفرج فيه الضوء، ولا تقدر تمد رجليك، فتقلب إلى دار كبيرة فيها بستان وماء جار، لا يُسمَّى ذلك موتًا. فهذا الكلام كالمرآة المضيء، فإن كان لك نور يشتاق إلى الموت، فبارك الله فيك، ولا تنسنا من الدعاء. وإن لم يكن فتدارك واطلب واجتهد. فإنه يقول: فتمنوا الموت إن كنتم صادقين مؤمنين. وكما يكون من الرجال مؤمنين فكذلك من النساء مؤمنات. هذا واضح مشروح صافٍ؛ فينبغي أن تقعد نورًا صافيًا مستعدًّا منتظرًا للموت، وإلا مجتهدًا لحصول هذا الحال.

إن المستوفي لهذه اللذات أقل حسرة، وهو في الحقيقة أشد حسرة، لأنه أكثر تعودًا بهذا العالم. والذي قالوه في العذاب من حيث الصورة والتمثيل، قد بينت لك من حيث المعنى اللغوي.

نقلًا عن: مقالات شمس تبريز، تصحيح محمد علي موحد، ص 342.

سلطان أم عبد؟

منح السلطان محمود(122) الجوهر إلى الحاجب. والحاجب يقلد الوزير، خاصة أنه سمع عن قُبلة السلطان للوزير واستحسانه له. يقول السلطان للحاجب: هذا الجوهر حسن... حطمه. قال: كيف أحطمه؟ والوزير يقول: إن ملك السلطان كله لا يساوي ربع الجوهرة. إنه يليق بالخزينة. قال له: أحسنت.

(122) السلطان محمود الغزنوي وإياز: السلطان محمود الغزنوي هو: أبو القاسم، الملقب بيمين الدولة م 421 هـ ابن سبكتكين الأكبر، وثالث ملوك الدولة الغزنوية، تولى العرش في سنة 389 هـ بعد هزيمة أخيه إسماعيل، واستولى على خراسان بعد هزيمة عبد الملك بن نوح الساماني. وفي سنة 393 هـ ضم سيستان وقهستان إلى ملكه، وسيطر على خوارزم في سنة 401 هـ. وفي سنة 420 هـ استولى على الري وإصفهان. كما جرد حملاته على بلاد الهند، وفتح مولتان في سنة 396 هـ.

أما إياز فهو: أبو النجم إياز أولماق، من تركمان بلخ، وأحد غلمان السلطان محمود الغزنوي، وخاصته. اتسم إياز بالذكاء والفراسة والوفاء وحفظ الأسرار؛ لذا أحبه السلطان محمود الغزنوي، واهتم به اهتمامًا كبيرًا كان حديث العامة والخاصة.

وقد أفاد الشعراء الصوفية من قصة السلطان محمود وإياز مثل: السنائي الغزنوي م 535 هـ، وفريد الدين العطار م 627 هـ على أرجح الأقوال، وجلال الدين الرومي م 672 هـ، والحافظ الشيرازي م 791 هـ. ووظفوها لبيان الموضوعات العرفانية.

ونظم جلال الدين الرومي في المثنوي أربع عشرة قصة متعلقة بمحمود الغزنوي وإياز، وبين في قصص العشق هذه العلاقة بين العبد والمعبود، وجعل محمودًا رمز الكمال والجمال المطلق، وإيازًا رمز الإنسان الكامل والمحب الصادق.

كما نظم جلال الدين قصة السلطان محمود وإياز وتحطيم الجوهر في المثنوي تحت عنوان «گوهر شكستن او به فرمان سلطان» أي «تحطيمه الجوهر بناء على أمر السلطان»، وكان يرمز بها إلى طاعة المريد التامة للشيخ. وكان إياز في هذه القصة مظهر العارف الكامل الذي ينفذ أمر الشيخ من دون جدال.

أما عن أصل هذه الحكاية فقد ورد في تاريخ كرديزي على النحو الآتي: استولى الأمير محمود على معابد ولاية ماتوره وخزائنها، وذات مرة وجد ياقوتة شديدة الزرقة، تزن أربعمائة وخمسين مثقالًا، ولم يكن أي شخص قد رأى مثل هذه الجوهرة. والأصنام المصنوعة

من الذهب والفضة كانت بلا حد؛ فأمر السلطان محمود بتحطيم صنم ذهبي ووزنه، وكان يزن 1098 مثقالًا من الذهب.

انظر: د. محمد معين، فرهنگ فارسي، تهران 1375 هـ. ش، جلد ششم اعلام غ –ي، ص 1926، سيد على كرامتي مقدم: قصهٔ محمود واوصاف اياز، فصل نامهٔ تخصصى ادبيات فارسي دانشكاه آزاد اسلامي مشهد، ص 151- 153، 159- 161. SiD.ir.

ومنحه خلعة، وزاده خلعة أخرى على تلك الخلعة وصلة. هذا امتحان أيضًا. حتى إذا كان هناك شخص، يعثر عليه. وينتقل الجوهر من يد إلى يد أخرى حتى يصل إلى إياز. فيقول السلطان في نفسه: إيازي، ويخفق قلبه له، ويقول: لا كان مَن يقول هذا. ثم يقول: لو يقول، فإنه المحبوب، وليقل كل ما يريد. يحرض السلطان إيازًا على أن يأخذ الجوهر؛ خشية من أنه لا ينبغي على إياز أن يردد قول الوزير نفسه. نظر إياز إلى السلطان، وقال: لماذا ترتعد خوفًا عليَّ؟ أإياز من يرتعدون خوفًا عليه، وباطنه ربيب قلبه المكمل وحقيقته المودة!

قال السلطان لإياز: خذ الجوهر أيها السلطان، ولم يقل: خذ الجوهر أيها العبد. وينطوي قول العبد ذلك على أكثر من ألف سلطان. ويطيب له ألف مرة أن يكون مستترًا. ولو يقول له: السلطان؛ يتأذى. اذهب، واتركني لمَن يزيد. أخذ إياز الجوهر. قال له السلطان: أهو حسن؟ قال: إنه حسن، ولم يزد على ذلك مطلقًا. فقال له: أهو لطيف؟ قال: إنه لطيف، ولم يزد على ذلك مطلقًا.

كان إياز نفسه قد رأى منامًا من قبل. فأحضر حجرين، وأخفاهما في كم الرداء، وخبَّط عليهما، وأحدث رنينًا. فضج الجميع وتأوه.

قال: ماذا حدث؟ ما هذا الضجيج؟ قالوا: هكذا حطمت الجوهر الثمين**!** قال: أأمر السلطان أكثر أهمية أم هذا الجوهر؟ فطأطأ الجميع رؤوسهم، وهم يتأوهون مائة ألف آهة من قلوبهم هذه المرة، وقالوا: ماذا فعل؟

أمر السلطان قادة الجلادين بأن ينتحوا جانبًا، ويخلوا سبيل هؤلاء الحمقى.

قال إياز: أيها السلطان

خيالك في الكرى يومًا أتانـــا

ومن سلسال وصلك قد سقانـا

وبات معانقـــــي ليلًا طويلًا

فلما بان وجه الصبــــح بانـا

كلي بكلك مبذول، كلي بكلك مشغول(123).

(123) كلي بكلك مبذول، كلي بكلك مشغول:

ورد في شرح التعرف نقلًا عن الأصمعي: رأيت امرأة حسناء، فاشتغل قلبي بها، فقلت لها: كلي بكلك مشغول. فقالت: لو كان كلك بكلي مشغولًا، فكلي بكلك مبذول. ولكن لي أخت لو رأيت حسنها وجمالها لم تذكر حسني وجمالي. فقلت: أين هي؟ فقالت:

وراءك. فالتفت؛ فلطمتني لطمة، وقالت: يا بطال، لو كان كلك بكلي مشغولًا، لم تلتفت إلى غيري!

انظر: مقالات شمس تبريزي، تصحيح محمد علي موحد، ص 414.

عندئذ أخذ الإقبال على الله تعالى في الزيادة. ذلك الإله الذي خلق هذه السماء التي يضل فيها الوهم والعقل. لم يستطع حكماؤهم ولا منجموهم ولا الطبيعيون منهم إدراك كوكب منها. وكل ما قالوه لا يعبر عن ذلك الكوكب. من ثم ذلك العالم، كيف يكون عالمًا، وقد ظهر هذا من ذاك؟ إن الدودة الصغيرة التي تتحرك في البعر، تريد أن تشاهد هذا الإله، وتعرفه. في ذلك الوقت ازدادت معاناتهم، حتى اهترأت أكبادهم، وسقطت منهم، وكانوا ينظرون إليها كذلك.

وبعد أن كانوا قد أشرفوا على الموت، وهبهم الله تعالى الحياة؛ فتخلوا عن الملك والمال والجاه والروح، مثلما سلك إبراهيم بن أدهم –ملك المدينة- الطريق إلى الله تعالى.

في النهاية من رغب في امرأة وعشقها أو أمرد، فإنه لا يبالي بدكان أو شغل أو عمل. يقولون له: إنهم سوف يشنقوك، فيقول: أنا نفسي أريد أن يشنقوني. فلا خطر على الروح عنده، ولا قيمة للمال. مع أن ذلك المعشوق

ليس له بقاء، وكلاهما (العاشق والمعشوق) يموت، ويُوارى التراب. من ثم المعشوق هو الله الأزلي الأبدي القدوس المنزه.

من ثم يزداد الإقبال على الله تعالى.

متى يتحقق الفتح؟

كان إبراهيم بن أدهم يبذل المال الوفير في سبيل هذا الطلب، وحيثما كان يرى درويشًا، كان يفتديه بروحه. وكان يرتدي الخرقة تحت الثياب، ويصوم أيامًا خفية، وكان يختلي بنفسه سرًّا. بعد ذلك حزن لأن فتحًا لم يحدث له. فما ضرر الدرويش من غلظة الخلق؟ وما ضرر الخلق لو يُغرِق البحر العالم بأسره، وما خسارة البط؟

لماذا قال الأولياء: ارزقنا ووفقنا؟

ولماذا قال الأنبياء: آمنا وصدقنا؟

هذا معنى لطيف. لم يطلب الأنبياء شيئًا، وقالو: آمنا. وسأله الأولياء. وقالوا: ارزقنا ووفقنا. لكن هذا ليس شأنهم. وكلام المرء يتضح بالقرائن، فإنه لو كان يعلم بهذا، لما كان كلامه متلونًا، وقد كان كذلك من أجل النظم والقافية وغيرها فكيف أدرك حال الأنبياء؟ وقد قال الأولياء: بلى، ارزقنا ووفقنا.

ما أنصع بياض أسنانها!

هناك عيب في الإنسان يخفي ألف فضل، وفضل يخفي ألف عيب، ولا تجتمع العيوب كلها في أحد إلا الحقود. وقد أخفت العيوب فضائله، فما نهايته؟ عليه اللعنة. إن الإنسان الطيب لا ينظر إلى العيب.

مر الشيخ على جيفة. كان الجميع قد اشمأز منها، وأشاحوا بوجوههم عنها، وكانوا يمرون عليها في عجلة. لم يسد الشيخ أنفه، ولم يشح بوجهه، ولم يتعجل. قالوا له: إلى ماذا تنظر؟ قال: ما أنصع بياض أسنانها تلك وما أحسنها! وكانت تلك الجيفة تجيبه بلسان الحال قائلة: وأنتم كذلك(124).

(124) وردت قصة كهذه في الإنجيل. راجع. (المحرر).

* * *

التلوين

إن سجل أعمالك متلون. هذا التلون(125) بسبب الجبر، فلا تكتب سجلًا متلونًا. من ثم تعد هذه الطائفة هذا الجبر أمرًا سيئًا. ولو تتعامل أنت بهذا الجبر، تعجز من كثرة الفوائد، فإنها ليست بالقدر الذي يمكنك الحديث عنه. فلنذهب، وننام، حتى يأذن الله.

(125) التلوين: التلوين معناه تلون العبد في أحواله. والتلوين صفة أرباب الأحوال. فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين؛ لأنه يرتقي من حال إلى حال، ومن وصف إلى وصف... فإذا وصل تمكن. وصاحب التلوين أبدًا في الزيادة. والأولى أن يقال ما دام في الترقي فصاحب تلوين يصح في نعمة الزيادة في الأحوال والنقصان منها.

أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص 62.

لا يشكو الرجل الطيب من أحد، ولا ينظر إلى العيب. كل من شكا، هو رجل سيئ. اخنقه، فيتضح بلا شك أن العيب منه. إنه يشكو من هذا الطرف، وذاك يشكو من ذلك الطرف. كلاهما متلون من ناحيته الجبرية(126) من ناحية محبوبه، والقدرية(127) من ناحيته. تعرف هذه الطائفة الجبر، ماذا

يعلمون عن الجبر؟ في النهاية للجبر تحقيق وتقليد. لماذا تنظر إلى التقليد؟ ولا تنظر إلى التحقيق؟ أكثِرْ أنت من الخدمة، حتى نكثر نحن من الدعاء. ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾(128).

(126) الجبرية: حركة فلسفية تعتقد أن أفعال الإنسان خيرها وشرها من الله تعالى، وأنها تنسب إلى العبد على سبيل المجاز، وتنفي صفات الله تعالى وأسمائه.

أسس هذه الحركة الجعد بن درهم، وقال بخلق القرآن، وتعطيل الله عن صفاته وعرفت هذه الفرقة بالجهمية نسبة إلى جهم بن صفوان.

انظر: موسوعة الفرق، الدرر السنية، المبحث السادس بين المعتزلة والقدرية والجهمية. مشرف عام عبد القادر السقاف. dorar.net.

(127) القدرية: حركة فلسفية يعتقد أصحابها أن الإنسان صانع أفعاله وخالقها خيرها وشرها، ولا دخل لقدرة الله فيها. ابتدع هذه الحركة نصراني من العراق، وأخذها عنه معبد الجهني،

وأخذها غيلان الدمشقي عن معبد.

انظر: السابق، المبحث السادس بين المعتزلة والقدرية والجهمية.

(128) ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾: سورة المؤمنون، جزء من الآية 102.

مذ فارقني جسمك أظلم بصري

وانهل سحاب مقلتي كالمطر

من يعلمني العقل؟

لكلام العشاق فضيلة؛ ولقد أقسم الله تعالى بالنفس اللوامة(129)، ولا يهب النفس المطمئنة إلى مَن يزيد، أو يظهرها له. وأنا أسمي ذلك العشق، العشق الحقيقي. وذلك الطلب الذي يكون حقيقيًّا، هو نكر الطلب والتمني. يعني أين التمني؟

(129) إشارة إلى الآيتين 1، 2 من سورة القيامة: ﴿لا أقسم بيوم القيامة* ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾: والنفس ما كان معلومًا من أوصاف العبد، ومذمومًا من أخلاقه وأفعاله. والنفس ثلاثة: النفس الأمارة والنفس اللوامة والنفس المطمئنة. النفس الأمارة: «هي التي تأمر باللذات والشهوات، وهي مأوى الشر، ومنبع الأخلاق الذميمة، والأفعال السيئة». والنفس اللوامة: «هي التي كلما صدرت منها سيئة، تلوم نفسها، وتنوب عنها مستغفرة راجعة إلى باب الكريم». وسميت النفس المطمئنة بالمطمئنة لسكونها إلى الحق واطمئنانها به. وهي تتحلى بالصفات الحميدة، وتواظب على الطاعات.

انظر: عبد الكريم بن هوازن القشيري: الرسالة القشيرية في علم التصوف، وعليها هوامش من شرح زكريا الأنصاري، مكتبة

ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ص 75، د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص 174.

إنني لا أنثر تراب نعل عاشق صادق على رؤوس العاشقين ومشايخ الزمان الذين يشبهون خيال الظل الذي يبرز الأخيلة من خلف ستار. وشخوص الخيال أفضل منهم؛ لأنهم يقرون جميعًا بأنهم يلهون، ويعترفون بأنهم على باطل، وأنهم يضطرون إلى ذلك من أجل العيش. وإقرارهم هذا نتيجة التمني. وقد ارتفع الخيال وهوى وانطوى طية فوق طية. في ذلك الوقت يؤثر فيه ذلك الشخص أو كلام ذلك الشخص الذي علق في الهواء، وقد كشف الهواء عن جزء منه. بلغه هذا الكلام، فاستحسنه. ثم هبط ذلك الهواء، واختطفه، فسر بذلك الكلام، وذهب إلى عمله. تكون نفسه حجة عليه. ينبغي له أن يحقق الهوى والمراد، ويلهو مع كل شخص ويمزح، ويتسافه مع البعض، ولا يحفظ حرمة الدراويش. مَن يكون أعقل مني حتى يعلمني العقل؟ ويكون طفيليًّا في طلب الله تعالى. وقد أدرك كثيرًا من الأشخاص. أولئك المشايخ الذين طووا المقامات طبقات، وهم يلحقون بنا. ينبغي استئناف العمل. ذلك الذي علق في الهواء، لا يمكن أن يقال له متلون. ويستحيل أن يكون السنائي متلونًا، والسيد متلونًا، ويكون هو متلونًا. لا يقول مجنون هذا، ولا يتحدث عن هذا مجنون أحمق أيضًا.

* * *

لا تضيع الوقت!

في النهاية اجتنب هذه الخصال سنة. وارتدِ الخرقة في تضرع وخشوع، أطلق تلك الشهوة في الهواء، إنك لم تخلق من أجل الهوى، احفظ هذه النصيحة، لا تضيع الوقت في أن تقول: هذا عاجز مضطر، وأن تشيع الخلاف بين الخلق. العاشق الذي يدرك المعشوق، يتدلل. والدلال لا يكون حسنًا قبل أن يدرك العاشق المعشوق.

حتى الرمق الأخير

قلت: الانفعال(130) نوعان: يؤذون شخصًا، فينفعل ويضطرب بسبب ضرب العصا. وينفعل آخر فيركض في رياض الشقائق والرياحين والنسرين. من ثم لا تقتفي أثر كل انفعال.

(130) الانفعال: الانفعال عند الحكماء هو التأثر... والانفعالات هي الكيفيات المحسوسة غير الراسخة كصفرة الوجل. سُميت تلك الكيفيات بها لوجهين: الأول: أنها محسوسة والإحساس انفعال للحاسة؛ فهي سبب الانفعال ومتبوعة. والثاني: أنها تابعة للمزاج التابع للانفعال إما بشخصها كحلاوة العسل فإنها تكونت فيه بسبب مزاجه الذي حدث بانفعال وقع في مادته. وإما بنوعها كحرارة النار... فقد توجد الحرارة نوعها في بعض المركبات تابعة للمزاج كالعسل.

محمد علي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، جـ 1، ص 284.

هكذا حدث لفراشة الشمـــع

اقتفت أثر النور، فسقطت في النار

من ثم ما دام هو نار، وانفعاله بسبب النار، فإنه كان يظن الظن نفسه في حق عباد الله.

تنظر إلى كل شخص بعين السوء

لأنك تنظر من حلقة وجـــودك

كانت الفراشة تعلم أن الأمر مختلف، فذهبت في أثر النار، وسقطت في النور. فلا تنظر إليها تلك النظرة التي تذكرها.

لا أضعـــك فــي القلـــب، فتحـــزن

ولا أحفظك في العين، فتذل للغاية

إنني أضعك في الروح، لا في سويداء القلب

حتى ترافقني إلى الرمق الأخيـــر

أنت صفة قهره، وأنا صفة لطفه

ينظر القهر إلى اللطف بعينه، فيراه قهرًا كله. في النهاية يقول عبد الله هذا للكافر: أنت ملكه وأنا ملكه، لكنك صفة قهره، وأنا صفة لطفه. وللطف سبق. دعك من هذا؛ فالقهر مرتبط باللطف، ويتسم بسمات أفضل منه. أي أن هذا النبي ﷺ لم يشرع شيئًا معدومًا في أمته، لكن ذلك الشيء موجود، ومحجوب بحجاب، فيحتال ويجتهد حتى يكشف ذلك الحجاب. وخلاصة كلام الأنبياء كله هي: احصل على المرآة.

متحيز في حيزين

من ثم لو تجيب، أجب إجابة مطابقة، أي أن السؤال والجواب كلاهما متطابق، لا يقل ذلك التطابق ولا يزيد، مثل مصراعي الباب.

قال ذلك الملك: أريد أن يأتي شخص إليَّ، ولا يتحدث حتى أتحدث، وإذا تحدثت، يجيب إجابة مطابقة من دون أي زيادة. لما جاء الشخص، قال له الملك: ألديك زوجة؟ قال: لديَّ زوجة وطفلان. فلم يهتم به الملك مطلقًا. وقال: لا تخلوا سبيله. فكتب رقعة إلى الملك فحواها: إنه سأل موسى: ﴿ وما تِلْكَ بيمينِكَ﴾ (131)؟ فأجاب: ﴿هي عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عليها وأهشُّ بها﴾(132). كتب الملك الجواب: إن هناك حكمة أخرى، لكن العاقل هو مَن يجيب إجابة مطابقة. إننا نسأل رجلًا: أين أنت؟ فيقول: في الأرحام. هذه إجابة كاذبة وغير مطابقة. لأنه لا يوجد في أكثر من رحم واحد. ويستحيل أن يوجد متحيز واحد في حيزين.

(131) ﴿وما تلك بيمينك﴾: سورة طه، جزء من الآية 17.

(132) ﴿هي عصايَ أتوكأُ عليها وأهش بها﴾: سورة طه، جزء من الآية 18.

حجاب المشايخ

لهؤلاء المشايخ والكاملين –الذين خلق الله تعالى العالم من أجلهم- حجاب أيضًا. وهو أنهم يبوحون أحيانًا بأسرارهم مع الله؛ حتى لا يهلكوا. وينكشف هذا الحجاب في وقت آخر. وأنا أبوح بالأسرار، ولا أقول كلامًا. عجبًا لهؤلاء المشايخ ما دام الكلام قد خطر على أذهانهم. لم يكن أبو يزيد من هذا القبيل، ربما ذهل الأنبياء والرسل عن الكلام، ولم يستطيعوا كتابته، فاكتبوه. لا يفعل مائة ألف دن خمر ما يفعله كلام رب العالمين.

تلاوة القرآن

العارفون بالقرآن أنفسهم في معاناة شديدة. ذلك الشخص الذي عرف الكلام في البداية، ولم يكن يعلم أن هناك قرآنًا موجودًا في العالم. بعد أن عرف الكلام، وقرأ القرآن، لم يكن في ضيقٍ؛ لأنه وجد السعة قبل أن يجد القرآن. وهو يعلم شرح القرآن. قوله «فقلت لليلي طُلْ فقد رقد القمر»، يعني الحجاب الذي بينهما وبين غيرهما؛ أو الحجاب الذي بيني وبين المحبوب إن كان بينهما حجاب.

كلمة الحق

قال قائل: يا رسول الله، إنني لم أستطع وصف نبوتك بسبب ظلم ذلك العربي المنافق وفتوره. فقال: ينبغي ألا يصير الأعراب جميعهم حجابًا لك، ويصير عربي حجابًا لك! قال: يا رسول الله، إنه منكر وحقود. قال: ماذا يفيده ذمك هذا؟ إلا أن ترفع رأسه بكلمة الحق، وتجعلها في الهواء. فيفيده ذلك. وترى العرصة. فقلت لليلى طل. ما دام ذلك العمل الناقص حجاب ذلك المريد، وليله. على رغم الغيور بيننا. أستغفر الله. إننا نزجره، ومهما تزجره، يحتمل.

خصمك لا ينتظر منك خصومة!

ما دمت تستطيع، انظر إلى الخصم بمحبة خالصة. ما دمت تعامل شخص بمحبة، يطيب له ذلك، مهما يكون حقودًا، لأنه يتوقع منك البغضاء والضغينة، فحين يرى منك المحبة، يسعد.

مائدة المضيف

قال: يا رسول الله، إنك تحيل الجميع إليَّ، لماذا تقدم مصلحة الصحابة في هذا الأمر؟ لأنك أمين وأمانتك واضحة. إننا نتعهد هؤلاء الناس يوم القيامة، وقد حفظتم التقليد وعاينتموه. وأمر العاقبة والقيامة شيء معلوم لكم، ووقفتم عليه. ولا يعلمه الآخرون، لا عن طريق السماع أو الرواية. لأنك لست ذلك الرجل الذي يحترز منك ذلك الواحد -الذي إذا صفا لك من زمانك واحد(133)– في إفشاء الأسرار، ويقول ما يقول من المغالطات والمتشابهات. لكن ذلك الفرد الواحد يرغب في الخلوة معك. بسط المضيف مائدة عامة ﴿رحمةً للعالمين﴾(134). لكنه حفظ الطعام الشهي للغاية للضيف اللطيف للغاية. ﴿ارجعي إلى ربك﴾(135). ولست أنت من يجوز إخفاء هذا الطعام عنه.

(133) قال السهروردي في حقيقة الصحبة وما فيها من الخير والشر: قال الله تعالى مخبرًا عمن لا صديق له: فما لنا من شافعين، ولا صديق حميم. وقال عمر: إذا رأى أحدكم ودًّا من أخيه، فليتمسك به، فقلما يصيب ذلك. وقد قال القائل:

وإذ صفا لك من زمانك واحد فهو المراد وأين ذاك الواحد

انظر: مقالات شمس تبريز، تصحيح محمد على موحد، ص 424. السهروردي: عوارف المعارف، الباب الثالث والخمسون، ص 384.

(134) ﴿رحمةً للعالمين﴾: سورة الأنبياء، جزء من الآية 107.

(135) ﴿ارجعي إلى ربك﴾: سورة الفجر، جزء من الآية 28.

عرصة الكلام وعرصة المعنى

قال الشيخ: إن عرصة الكلام ممتدة للغاية ومتسعة. كل من يريد أن يتحدث، يتحدث كما يريد. فقلت: إن عرصة الكلام ضيقة للغاية، وعرصة المعنى واسعة. أكثر من الكلام حتى ترى السعة وتدرك العرصة. انظر، إنك بعيد قريب أو قريب بعيد**!** قال: أنتم تعلمون. قال: لا شأن لنا بذلك. ذلك الشيء الموجود موجود. اقترب أكثر من الصورة، فالجماعة رحمة(136). وإذا لم يتحدث معك، فلا تجزع ولا تهرب. فإنه يتحدث معي من خلف الصورة عن سر الطريق، لأن جماعة الأغيار موجودون خارج وجودك وداخله أيضًا، حتى في الوقت الذي تختلي فيه بنفسك.

(136) الجماعة رحمة:

إشارة إلى حديث رسول الله ﷺ: الجماعة رحمة والفرقة عذاب.

موسوعة الفرق، الدرر السنية، المبحث الخامس: الفرقة والاختلاف عذاب وعقوبة.

.dorar.net

مع أن لك أخلاقًا حسنة، ومنزه عن الحقد والخيانة والسرقة، ولكن الخيانة والسرقة خفية في طبعك هذا. مثل جنزير امتد إلى السماء في عهد داود بسبب سرقة خفية لم يطَّلع عليها أي شخص. لكن لما نظروا إلى امتداد الجنزير، علم الجميع يقينًا أن هناك حجة. من ثم منح الجنزير قلبًا صافيًا وذوقًا وصفاء. وحين يعصاه طالب من دون عذر تزول هذه السمات. ﴿ بأن الله لَمْ يَكُ مُغيِّرًا نعمةً أنعمَهَا على قومٍ حتى يُغَيِّروا ما بأنفسهم ﴾(137). إذا لم تنشغل بمشاهدة صفائك وجمالك، وتتطهر من تلك الخيانات الخفية، يزداد هذا الصفاء والجمال الذي تحظى به.

(137) ﴿بأن الله لم يكُ مغيرًا نعمةً أنعمها على قومٍ﴾ سورة الأنفال، آية 53.

طهر قلبك

أيها الطالب الصديق طهر قلبك، فمطهر القلوب مشغول بأمرك، ﴿ كل يوم هو في شأن﴾(138) إما في شأن الطالب، وإما في شأن المطلوب. كل مَن يقول غير هذا، فإنه يهذي، ويحمق. ولو أنه لا يدرك حماقته. وهذا الذي يحظى بالتمييز الإلهي ينظر بنور الله(139)، وهم يعلمون أن ذلك الشيء البديع الدقيق في نظرهم، هو حماقة وحجاب في النظرة التي بقيت بعد فناء النظرات.

(138) ﴿كل يوم هو في شأن﴾: سورة الرحمن، جزء من الآية 29 .

(139) ينظر بنور الله: إشارة إلى الحديث: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله.

رواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

ورواه الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

إحسان بن محمد العتيبي، التصنيف: الحديث الشريف، تاريخ النشر 27 شوال 1428 هـ، 8/ 11/ 2007 م. مداد .midad.com

خزانة الأسرار

من ثم أيها الصديق، إن الحق تعالى يدبر شؤونك وهو معك في الظاهر وفي الباطن وفي كل الأحوال. لن يضيعك أبدًا. ﴿وما تشاءُونَ إلا أن يشاء الله﴾(140)، يا مصطفى، كل شيء تريده، هو إرادتنا، ولا يكون من النفس أو الهوى. يقول البعض: ما تشاؤون هذه عائدة على الصحابة والأمة. فإنكم لا تشاؤون ولا تطلبون الطريق ما لا أشاء أنا رسول الله.

(140) ﴿وما تشاءُونَ إلا أن يشاء الله﴾: سورة الإنسان، جزء من الآية 30.

إنَّ حلَّ خزانة الأسرار وعقدها

في يد محمد ﷺ وقلبه، ليس إلا

صمت المعاني

والله، أولئك الذين ابتدعوا الخلوة، يندهشون من صورة هذا الكلام، فما بالك بمعناه! مثلًا: ما دام ليس لي شعر أو آية، فلا يكون لي كلام. أنا أشتهر بنفسي وبكلامي.

لا يوجد ذلك الشاعر الحقير نفسه في العالم، من ثم ماذا أكون أنا؟ خلقني الله وحيدًا، أم نشأت في منجم؟ في النهاية، عرصة الكلام متسعة للغاية، يعجز المعنى في سعة عرصته. وليس هناك معنى وراء عرصة هذا المعنى الذي يقلص سعة العبارة، ويوجزها ويمحو حروفها وأصواتها، فلا تبقى أي عبارة. من ثم فإن صمته ليس بسبب ندرة المعاني، بل بسبب غزارتها.

غرارة الصوف

عاب ذلك الشيخ الكث اللحية غرارة الصوف المرصعة بالجوهر في مناظرة قائلًا: أي صوف قذر عفن! إنني لا ألزمه بقولي، ولا أدنس كلامي. بل ألزمه بقوله.

خطوط مبهمة

تكلم عيسى في الحال. وبدأ محمد الكلام بعد أربعين سنة، ليس بسبب النقصان، بل بسبب الكمال، لأنه كان محبوبًا. وهم يقولون للعبد: مَن أنت؟ فيقرأ ذلك الشخص السفيه أوراقه، ولا يقرأ أوراق صاحبه وكفى. إن جميع الخطوط في أوراقه تلك مشوشة مبهمة باطلة، تخيلها في نفسه، وتوهمها. لَمَّا صنع صنمه، صار عبدًا له عاجزًا أمامه. المختار في هذه الأيام مثل تلك الأصنام، التي تقول: أيها الجهلاء بأنفسكم، تتبركون بنا، ونحن نتمنى أن تتدبروا حتى لا يبقى يوم لليوم ولا ساعة للساعة ولا جمود للجماد.

مطرب لا يطرب

المطرب الذي لا يكون عاشقًا، والنائح الذي لا يكون متألمًا، يصيب الآخرين بالفتور، مع أن مهمته هي إثارة عواطفهم.

الاتحاد قوة

إن الخلل يقع بين الأصحاب والجماعات؛ لأنهم لا يحفظ بعضُهم بعضًا، وعلى هذا النحو يجب أن يعيشوا متحدين.

لا يعرفهم غيري

لا يعرفهم غيري(141) لها معنيان: معنى مباشر، والمعنى الآخر: أنه يريد الغريب من هذا الغير.

(141) لا يعرفهم غيري:

إشارة إلى الحديث القدسي: أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري.

وعلى هذا النحو فإن غيرة الله تعالى على أوليائه تأبى إلا إخفاءهم. بينما يطلبهم المغرورون تحت المرقعات والطيالسة، وبين المشهورين بالعلم والورع والرياسة.

انظر: محمد بن محمد الغزالي (أبو حامد)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، حـ 4، ص 357.

. www.islamport.com

مقالات شمس تبريز، تصحيح محمد علي موحد، ص 428.

ألف المعنى

فصلت الألف عن عالم المعنى. كل مَن فهم تلك الألف، فهم كل شيء. كل مَن لم يفهم هذه الألف، لم يفهم شيئًا. يرتجف الطالبون مثل الصفصاف من أجل فهم تلك الألف. لكنهم أسهبوا في الحديث عنها من أجل الطالبين.

الوجود حجاب

إن شرح الحجب السبعمائة لم يهدهم إلى الحقيقة بسبب الظلمة، فقطعوا الطريق على قوم، وأحبطوهم قائلين: كيف نتجاوز هذه الحجب؟ إن الحجب جميعها حجاب واحد، وليس هناك حجاب سوى ذلك الحجاب ألا وهو هذا الوجود(142).

(142) الأصل العربي للحكاية:

قد طولوا شرح الحجب كذا سبعمائة حجاب من نور، وكذا سبعمائة حجاب من ظلمة. قطعوا الطريق على قوم يرجون أن يصلوا، وأيسوا وقنطوا. الحجب كلها حجاب واحد، لا حجاب إلا هذا، وهو هذا الوجود.

نقلًا عن: مقالات شمس تبريز، تصحيح محمد علي موحد، ص 344.

الحديث إلى النفس

أستطيع الحديث إلى نفسي، أو أستطيع الحديث إلى كل مَن رأيت فيه نفسي. أنت مَن يظهر الحاجة. ولستَ مَن كان يظهر الاستغناء والجفاء. إنه عدوك، لذلك فإنني أعاديه. لم تكن أنت فكيف ألومك في النهاية؟ ولو أقبل قدمك، أخشى أن تؤلم أهدابي قدمك في الخلد.

تقصي العيوب

قالوا: إن مولانا (جلال الدين) فارغ من أمر الدنيا، ومولانا شمس الدين التبريزي ليس فارغًا من أمر الدنيا. ربما قال مولانا: هذا بسبب أنكم لا تحبون مولانا شمس الدين التبريزي، ولو تحبونه، فإنه لا يرغب فيكم ولا يكرهكم.

وعين الرضى عن كلِّ عيبٍ كليلـــةٌ

سوى أنَّ عينَ السخط تبدي المساويا

حبك الشيء يعمي ويصم. يعني عن عيوب المحبوب. اعلم أن تقصي العيوب دليل على أن المحبة قلَّت، ألا ترى أن الأم لما تحب طفلها، فإنه لو يحدث حدثًا، لا تشمئز مع لطفها وجمالها في ذلك كله، وتقول له: بالهناء والعافية.

تلبية حاجة المحتاجين

هذا الكلام ضعيف: يقول مولانا شمس الدين التبريزي: قال مولانا جلال الدين: استمع إليّ الآن: يقيد هذا الرجل حمارًا أعرج، ويعلفه ليلًا ونهارًا، ويطعمه العشب. وها هو الرجل الآخر قد امتطى ذلك الجواد العربي. وأنقذه ذلك الجواد من مائة ألف خطر وآفة وقاطع طريق ونجّاه. مع أن ذلك كان سر التأييد، فقد ثبت حق المركب عليه في النهاية. لا مجال عندنا لأي طمع إلا تلبية حاجة المحتاجين. ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء ﴾(143) ليست الحاجة إلى الصورة فحسب، بل إلى الصورة والمعنى.

(143) ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾:سورة التوبة، جزء من الآية 60.

عبس وتولى

إن الرجاء هو ألا يعبس أو يقطب جبينه أمام الشيخ. أتعاقبنا أيها العبوس، وتعادينا؟ قال: لا. من ثم يعبس الإنسان في وجه ذلك الشخص الذي تأذى منه. ويضحك مع هذا الشخص الآخر، ويسُر. فيراه ذلك وهو يعبس، ويراه هذا وهو يضحك. ما دام لا يشعر بالأذى، فإنه يسر. ولو يتألم، فذلك هو صراعه مع النفس أيضًا. يتجه إلى نفسه ويعبس، ويتجه إلى هذا الرفيق ويضحك.

وقد علم أن معرفة هذا كمال، والجهل به كمال الكمال. أريد مناظرة شخص من أجل بيان المعني، وأريد المعنى لمناظرة شخص.

الراكب والمترجل

قالوا: أيها السيد، أيركب المترجل جوادك؟ قال: ينبغي أن يجلس المترجل فوق رأسي في ذلك الوقت الذي ركبت الجواد فيه، وما دمت قد نزلت، فقل له: اركب. فإنه يعلم أنه سرعان ما يمضي في النهاية. ومن ثم ما دمت قد طلقت الزوجة، فإنه يعلم.

كن مستعدًّا

قال: قصرنا في الخدمة؛ لأننا لم نستعد للالتحاق بخدمتكم. هذه الجماعة التي تذهب إلى حضرة المشايخ غافلة، ولا خبر لهم عن حقيقة حالهم، ذلك لأنهم يذهبون من دون استعداد.

سبب المحنة

بلغ شخص جدولًا. في الماء تيزاب عميق، لو ينزل فيه يغرق، ولو يقفز فوقه، يسقط في الماء. ذلك الشيء هو سبب محنته، وينبغي دفعه. ﴿ فاقتلوا أنفسكم﴾(144). مثلما ذبح الخليل تلك الطيور الأربعة. فحيت. لكن الطيور الأربعة نفسها لا تحيا هنا، إنها تحيا بوجه آخر؛ لأن سير الأولياء مع هذه الطيور الأربعة، وقد ذبحت هذه الطيور الأربعة، وعادت إلى الحياة. على وجه آخر(145) شتان بين مَن يعيش بنفسه وبين مَن يعيش بقلبه وبين مَن يعيش بربه. ليست هناك حيلة. الطريق بلا شك هو: ﴿وأقرضوا الله﴾(146). وأي حاجة لله تعالى للقرض؟

(144) ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾: سورة البقرة، جزء من الآية 54.

(145) إشارة إلى قصة سيدنا إبراهيم، وقوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أوَلَم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبلٍ منهن جزءًا ثم ادعهن يأتينك سعيًا واعلم أن الله عزيز حكيم﴾. سورة البقرة، آية 260.

وقد قيل في تفسيرها: طلب إبراهيم زيادة اليقين، وأراد أن يقرن حق اليقين بما كان له من عين اليقين.

وقيل: إن الحق أراد أن يظهر معجزة إحياء الموتى على يد الخليل، حين التبس على نمرود قول إبراهيم عليه السلام: ﴿ربي الذي يحيي ويُميت قال أنا أحيي وأميت﴾. فأراد إبراهيم أن يريَه الله سبحانه إحياء الموتى.

وفيه إشارة أيضًا إلى أن الله تعالى أمر إبراهيم بأن يقطع هذه الطيور، ويفرق أجزاءها، ثم يناديها، فيستجيب كل جزء متفرق. كذلك من فرقه الحق وشتته، يستجيب له إذا ناداه.

ولو أن فوقي تربة ودعوتني

لأجبت صوتك والعظام رفات

انظر: الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي م 465 هـ، تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، وضع حواشيه وعلق عليه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، جـ 1، أول سورة الفاتحة –آخر سورة التوبة. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 121، 122.

(146)﴿وأقرضوا الله﴾: سورة المزمل، جزء من الآية 20.

جعت فلم تطعمني

يا موسى جعت فلم تطعمني(147)، يا موسى إذا جئت على بابك كيف تصنع؟ قال: ربِّي، أنت منزه عن ذلك. قال: يا موسى، لو جئت. كلما كان يقول: كيف يكون هذا؟ كان يجيب: ماذا تفعل لو يحدث هذا؟ ثم قال في النهاية: إنني جائع للغاية، دعك من الجدال، واذهب، وأعد الطعام. فإنني سوف أجيء غدًا. أعد موسى الأطعمة مبكرًا، وانتظر. كان كل شيء جاهزًا إلا أن الماء كان قليلًا. اقترب منه ذلك المسكين وقال: شيء لله، أعطني رغيفًا. قال موسى: مرحبًا بك، وأعطاه قدرين في يده قائلًا: أحضر الماء. قال المسكين: سمعًا وطاعة، وأحضر الماء. فأعطاه موسى الرغيف في يده. أدى المسكين الخدمة، وذهب. من ثم تكلف المسكين الأمر، فكيف يكون حال موسى مع الله؟ كان موسى يعرف الكيمياء جيدًا، فصدر له الأمر بأن اكتب التوراة بالذهب. طال اليوم، وموسى ينتظر، وزع موسى الطعام على الجيران. وكان قد بقي في هذه المشكلة، وتساءل: ما السر في هذا؟ لعل السر هو التوسعة على هذه الجماعة أو الطاعة. لقد فعلتُ ما قاله. ولما اعتراه حال البسط، سأله قائلًا: إنك وعدت ولم تأتِ. فقال: بل جئت، لكنك كيف تمنحنا رغيفًا ما لا تأمر يجلب قدرين من الماء؟

(147) يا موسى، جعت فلم تطعمني...

إشارة إلى الحديث: حدثني محمد بن حاتم بن ميمون، حدثنا بهز، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي رافع، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان، فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني؟ قال: يا رب كيف أسقيك، وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي.

صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فصل عيادة المريض،

حديث رقم 4789.

جامع السنة وشروحها. hadithportal.com.

الشطح حجاب

كان عارفان يتفاخران ويتناظران معًا في أسرار المعرفة ومقامات العارفين، وكان أحدهما يقول: ذلك الشخص الذي قد ركب الحمار، وقدم، هو الإله في نظري. ويقول الآخر: حماره هو الإله في رأيي. الخلاصة: استغرقا في الجبر غالبًا. لم يَبْدُ مثل ذلك الشطح في كلام أبي يزيد وغيره. والانشغال بذلك الكلام هو حجاب هذه الطريقة، وهو شيء آخر. قال: كيف يكون ذلك الشيء؟ قلتُ: مثلًا سمعت كلامنا هذا، ولم تستحسنه، يكون ذلك حجاب مثل هذا الشيء. هم أقرب إلى الحلول، وكلام العارفين: حللنا بدنًا(148). متى تدرك أنك تتبع الهوى، إننا لا نريد من هذا هوى الشهوة. في النهاية لقد بدّلتُ الهوى قبل هذا. فالهوى قاطع الشهوة، الهوى هو الشيء الذي حين يتحرك، لو يزينون لك مائة حورية هكذا تبدو لك كأنها طوب الجدار. ذلك الوقت الذي تستمع فيه إلى الحكمة أو تطالعها، يتحرك ذلك الهوى. في النهاية الهوى هو شعاع نور الحجب. ولله تعالى سبعون حجابًا من نور. الآن استغرقت أنت في الهوى، فكيف تبحث عن شعاع النور؟ ولو تبحث عنه، يكون ذلك كله هوى.

(148) حللنا بدنًا:

إشارة إلى شعر منسوب إلى الحلاج وإلى سمنون المحب ألا وهو:

أنا مَن أهوى ومَن أهوى أنا

نحن روحان حللنا بدنَا

فإذا أبصرتني أبصرتـــــــه

وإذا أبصرته أبصرتنـــا

وقد عده مصطفى كامل الشيبي من غزل الحلاج الحسي –مستندًا إلى ما قاله أبو نصر السراج الطوسي في كتابه اللمع- وقال: إنه عبر عنه تعبيرًا جعل النقاد يضيفونه إلى التصوف والحب الإلهي.

انظر: شرح ديوان الحلاج، منشورات الجمل، ص 151، 342، 343.

الدرهم والدينار

يثمل ذلك الصوفي عماد، ويحرك رأسه، تكون تلك الحركة هوى. أين الهوى؟ وأين شعاع نور الله؟ حين يتصدق عباد الله بالمال، تتحرك المحبة، فينفرج أمرهم بسبب تلك المحبة. لكن الدرهم الذي يتصدق به الصديق، يساوي مائة ألف دينار من الغير. لذلك كل مَن يحظى بالقبول، يتِّبعه. لأن الباب المغلق تفتحه صدقة الصديق. احذروا ولا ترضوا من الشيخ بالصورة الحسنة، والكلام الطيب، والأفعال الحميدة والأخلاق الحسنة؛ لأن وراء ذلك شيئًا، فاطلبوه.

الصدق والنفاق

إن له قولين: أحدهما ينطوي على نفاق، والآخر قول صادق. أما النفاق فهو أن أرواح الأولياء جميعهم وأنفسهم تتمنى إدراك مولانا شمس الدين التبريزي، والجلوس إليه. والقول الصواب الذي بمنأى عن النفاق هو أن أرواح الأنبياء تتمنى وتدعو قائلة: ليتنا كنا في زمانه، حتى كنا نصحبه، ونستمع إلى كلامه. من ثم لا تضيعوا الفرصة، ولا تنظروا إليه هذه النظرة. انظروا تلك النظرة التي تنظرها أرواح الأنبياء المفعمة بالأسف والحسرة.

إنك لست المجنون!

مثلما قال هارون الرشيد: أحضروا ليلى هذه حتى أراها؛ فقد أثار المجنون الفتنة في الدنيا بسبب عشقها كذلك، وجعل العشاق من المشرق إلى المغرب قصة عشقه نبراسًا لهم. أنفقوا الأموال بسخاء، ودبروا حيلًا كثيرة، وأحضروا ليلى. ودخلت ليلى الخلوة. أضاء الخليفة الشموع ليلًا، وكان ينظر إليها في وقت، ويطل برأسه في وقت آخر. ثم قال في نفسه: أتحدث إليها، ربما يبدو ذلك الشيء أكثر وضوحًا على وجهها بواسطة الكلام. اتجه إلى ليلى، وقال: أنتِ ليلى؟ قالت: بلى، أنا ليلى. لكنك لست المجنون، فتلك العين الموجودة في رأس المجنون ليست موجودة في رأسك.

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها

سواها وما طهَّرْتَها بالمدامعِ(149)

(149) شعر حسي ليزيد بن معاوية قال فيه:

تقول نساء الحي: تطمع أن ترى

محاسن ليلى؟ مُت بداء المطامع!

وكيف ترى ليلى بعين ترى بهــا

سواها وما طَهَّرْتَها بالمدامـــــــعِ

وتلتذُّ منها بالحديث، وقد جرى

حديث سواها في خروت المسامعِ

د. كامل مصطفى الشيبي: ديوان الحلاج، ص 323.

انظر إليَّ نظرة المجنون، فإنهم ينظرون إلى المحبوب نظرة المحب، لأنه يحبهم. وقد يحدث الخلل؛ لأنهم لا ينظرون إلى الله نظرة محبة. بل ينظرون إليه بعين العلم والمعرفة والفلسفة ونظرة المحبة شيء آخر.

إفشاء الأسرار

جاء رجل شديد الغرور، وقال: افش لي سرًا. فقلت: إنني لا أستطيع البوح لك بسر، إنني أستطيع البوح بالسر إلى ذلك الشخص الذي لا أرى وجوده فيه، وأرى نفسي فيه، فأبوح بسري إلى نفسي، إنني لا أرى نفسي فيك، وأرى فيك شيئًا آخر.

مريد أم مرشد!

يقبل شخص على آخر، فلا يخرج عن ثلاثة أقسام: إما أن يكون مريدًا، أو على سبيل الصحبة، أو الإرشاد. فإلي أي قسم تنتمي أنت من هذه الأقسام الثلاثة؟ من ثم ألا تمثل أمام فلان؟ قال: معلوم أنني أراه فيك، ما دام هو يتجلى فيك، فأنا لا أتجلى فيك، لأنني لستُ هو.

لا تفعل ذلك مرة أخرى

قال: الرجل هو مَن يبدو ظاهره مثلما يكون باطنه. وإن باطني صافٍ، لو يظهر. ولي ولاية وحكم. استقر العالم بأسره، ولم يبقَ فيه سيف ولا قهر. وهذه ليست سنة الله: أن يكون هذا العالم على هذا النحو.

أختصر الكلام الطويل ليعبر عن المعنى. وظاهري هو الذي يعرب عما بداخلي. من ثم لم يكن هذا العالم، بل كان عالمًا آخر. لما كان يحكي حكاية أبي يزيد البارحة، وأنه اختلى. قلتُ: هذه بدعة في دين محمد. دعك من كلام المبتدعين. فكان يحضر القاضي، ويسرد تلك الأحكام والشواهد الكثيرة العلل، ولم يكن هناك أي انتقام. قلتُ: انهض، واذهب، ولا تفعل ذلك مرة أخرى. إنك تستمع إلى كلام الآخرين، وتذكر حديث الرواة المعلولين في حق عباد الله.

النية مقدمة على العمل

يتخلف البعض بنية أن يتقدموا، ويقفزون فوق النهر. فلو أنهم يتخلفون بتلك النية، فهذا حسن، ولو أنهم يتخلفون بنية أخرى، فهذا خذلان. ولا شك أن عبور النهر يليق بالكافر والمسلم. لو تتخلف عن هذا، يأسرك لص. لكن لا يستطيع أي لص التنازع معك في تلك الناحية. فناحية النهر تلك تكون دعمًا لك، وتصل القوى أيضًا والإمدادات. من ثم لو أنك تتخلف كثيرًا لكي تقفز ناحية النهر، فلا ينبغي أن تؤلم كثرة السبل عضوًا إلا بالقدر الذي تخطو به قدماك إلى شاطئ النهر، ولو تسقط قدم واحدة في الماء؛ فالماء جارف، يجرف تلك القدم.

البيت مملوء

يقول: إنك لو تصبر، لا تتحدث عن الجفاء. كيف يسع بيت قلبي تلك الفكرة؟ فالبيت مملوء وليس فيه موضع لإبرة. ولقد أحضر أتونًا مملوءًا وقال: ضعه هنا. أين أضعه؟ ولم يبقَ مكان!

الجوهر والصدف

قال: بالله، كيف يمكن الإغواء بالدنيا وهي شيء خسيس؟! نعم، ربما ملَّ عبد الله الشيء النفيس!

كان هناك جوهر في صدف. وكان يطوف حول العالم، ويرى الأصداف من دون جواهر. كانوا يحكون حكاية الصدف والجوهر، وكان هو أيضًا يحكي لهم حكاية الصدف. كانت تلك الأصداف تقول له: فلنسمع حكاية الجوهر منك هل تعرفها؟ قال: والله، إنني أسمع كما تسمعون. أيها اللص المكار، إنك تحفظها، وتغالطني. قال: لا والله لا أحفظها. كان هذا الصدف يمضي في العالم على هذا النحو، حتى وجد جوهرة ثمينة ذات يوم، فقال ما قال. ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾(150). لو تسمي ذاك صدفًا، فلا تسمي هذا صدفًا. صدفٌ انصهرت فيه أسرار الحق كيف تسميه وقطع الفخار تلك اسمًا واحدًا؟

(150) ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾: سورة النجم، آية 10.

الحسن والسيئ

كل شخص يحسنون القول عنه أمامك، أو يسألونك عن إحسانه. فإنهم يريدون منك الإحسان إليه. وكذلك الحال حين يسيئون القول عن شخص. وعلى هذا النحو اعلم أن الحق يحاسبك على السيئ والحسن حتى تتعفف.

التربية والتهذيب

مثلما أرادوا تربية صبي في نيسابور؛ فيقولون لذلك الصبي: ماذا تقول في حق الصبي فلان؟ هل يتوافق معنا؟ أهو حسن الطبع؟ فلو يقول: إنه حسن الطبع، وليس منحرفًا، يكون مطيعًا. ولو يقول: إنه لا يتصف بذلك. يقولون له ومن ثم كيف حالك؟

أثر الوعظ

هناك بعض الناس يخشعون عند سماع الوعظ، ولما يخرجون، يتخثرون كما يتخثر القصدير لما يخرج من النار. وهناك بعض الناس الذين لا ترق قلوبهم بالوعظ، ويمكن أن ترق في الشدائد، والبعض ترق قلوبهم بشيء آخر كما يرقق أي شيء في العالم الحسي بآلة.

الخرقة ذات الجوهر

في نظرنا الخرقة التي طرحت في وقت السماع(151)، لا يرجُع إليها، ولو تساوي ألف جوهرة. وإلا فإنه كان مغبونًا في ذلك السماع وذلك الحال. هكذا حدث أنني اعتقدت أن ذلك الذوق كان يعادل هذه الخرقة؛ فمنحتها، من ثم لما أمعنت النظر، وجدت أنها لا تساوي شيئًا، وأنا مجنون.

(151) من آداب الصوفية في السماع:

لو أن أحدهم تحرك في السماع فوقعت خرقته أو نازله وجد، ورمى عمامته إلى الحادي، يوافقه الحاضرون إذا كان شيخًا. وإذا كان شابًّا، لا يوافقه الشيوخ. فإذا سكتوا عن السماع، يرد الواجد إلى خرقته، ويرفع الحاضرون العمائم، ثم يردوها على رؤوسهم في الحال للموافقة.

انظر: السهروردي، عوارف المعارف، الباب الخامس والعشرون في القول في السماع تأدبًا واعتناء، ص 186.

والأصل العربي للحكاية:

كلامي إن الخرقة لا ترد ولو أنها ألف جوهر، وإلا يكون مغبونًا، كان عن أصل فشق عليهم، فتركت ذلك.

نقلًا عن: مقالات شمس تبريز تصحيح: محمد على موحد، ص 346.

النظر إلى العاقبة

يبدو هذا الكلام مُرًّا لقوم، ولو أنهم يعضون بأسنانهم على تلك المرارة، ينتج عنها شرابٌ حلوٌ. من ثم كل مَن يضحك أثناء الحزن، فالسبب في ذلك أنه ينظر إلى حسن العاقبة. من ثم معنى الصبر هو النظر إلى عاقبة الأمر، ومعنى نفاد الصبر عدم النظر إلى عاقبة الأمر.

يتقدم الصف ذلك الشخص الذي

يعلم عاقبة الأمـــــور جيدًا

سأل بغل جملًا: كيف أسبق أنا كثيرًا، وقلما تسبق أنت؟ أجاب الجمل: لأنني حين أواجه عقبة، أنظر، حتى أرى عاقبتها. فأنا مرفوع الرأس، عالي الهمة، صحيح البصر أنظر نظرة إلى عاقبة الأمر، ونظرة إلى القدم. والمراد بالجمل الشيخ الكامل النظر وكل شخص يقترب منه أكثر ويتحلى بأخلاقه. لا شك أنك تكتسب طبع كل مَن تجلس معه، وكل ما توجد معه. وكل شيء تنظر إليه، تكتسب منه خبرة، تنظر إلى الخضرة والورد، فترق مشاعرك؛ لأن الجليس يجذبك إلى عالمه.

وعلى هذا النحو، فإن قراءة القرآن تصفي القلب؛ لأنك تتذكر الأنبياء وأحوالهم، فتلتقي صور الأنبياء بروحك، وتأنس بها.

الشدة واللين

إنني تعاملت مع ذلك الجوهر الثمين الأبدي الأزلي بقسوة وشدة، وصرت فظًّا حاد الطبع. رق ذلك الجوهر ولان وقال: هكذا فعلتُ ما تريدَ، ولما صرتُ قادرًا قلت: يلزمني جوهر فلان، وأريد أن تقبله، ولا تطرده. فسلك مسلك الغلظة والشدة، وسلكت أنا مسلك الحلم والرقة. حين يقسو هو عليَّ، يجنح نحو الحلم. وأنا أيضًا أقابل غلظته بالحلم. قلتُ: دعك من هذا، وتركته. إنني لا أريد شيئًا قط، والحكم لك. فاستطرد قائلًا: ماذا يلزمك؟ قلت: إنك تعلم. قال: لا أعلم، قل. قلت: إذا جنحتُ إلى السلم، جنحتُ أنا للسبب نفسه. قال: لا قل مَن المعين؟ قلت: المعاملة أقوى من القول. قلتُ وكان يرفض. وقال: إن قولك أفضل من معاملتك لنا، فتحدث. قلتُ: لا، كما تعلم، إنه لا يفيده ما دام لا يسعى. وقد أسلم لك.

قهر القهر رحمة

يقولون لك: إن صحبة أهل الدنيا نار، يلزمها إبراهيم الذي لا تحرقه النار. وقد أشعل النمرود نارًا أيضًا؛ حتى ترى مَن ستحرق النار؟ أيها النمرود، أنت نتيجة القهر، وأنا نتيجة الرحمة لأرى مَن يحترق في النهاية؟ قال: سبقت رحمتي غضبي. قال إبراهيم: ما دام السبق معلومًا، فما الحاجة إلى البرهان؟ قال: لا، المعاملة بلا شك. قال: بسم الله. قال: هكذا تسبق الرحمة، وتقهر القهر. من ثم بدت الرحمة قهر القهر.

هكذا تسبق الرحمة. نعم، إنها امتحانات للأحبة هكذا تفعل مع الحبيب، فماذا تفعل مع العدو؟ آلم الحبيب؛ فكيف يكون حاله إذا طُرد؟ يعلم حاله ذلك الشخص الذي آلمه.

الطريق هبة الدراويش

قالوا للمطرب: أي دلال تتدلله؟ إنك سوف تأخذ نصيبك. كنت أذكر حاجة فلان، ولم يكن هو يظهر مثل تلك الحاجة. أي افعلوا أنتم أيضًا كذلك. وذلك الشخص كان ينكر بداخله. ما معنى أن يفتخر شخص بأنه التحق بخدمة الشخص الفلاني وأطاعه؟ إنني لا أتفاخر إنني أرشد إلى الطريق، فالطريق هبة الدراويش، والملك كثير الهبات.

مائة من القثاء بدانق!

ذلك الذي قال: سمع عارف في بغداد نداء فحواه: مائة من القثاء بدانق، فطرح الرداء، وفقد صوابه، وحزن. الطالب واحد، فمن أين جاءت المائة من القثاء؟ وكيف تقول لطالب واحد إن مائة من القثاء بدانق، ألا يكون ذلك كفرًا؟ يقيدون البائع، ويسألونه: لماذا قلتَ هذا؟ لماذا لا يقيدون أنفسهم. هكذا يحررونه. وتتحدث أنت على هذا النحو!

على سبيل المثال: هناك دوامة في البحر، الدوامة مهيبة خاصة أنها في البحر، من ثم يفر منها الجميع. لكن هذا الرجل لا يحترز، ويقول: أعبرها بلا شك.

تحدث حتى أعرفك

إنني أتحدث بحديث الجمادات وعن أفعال الجمادات، وينكر الحكماء كلامي. من ثم ماذا أفعل ببصيرتي هذه؟أين حديث عمود حنَّانة(152)؟ أين المَرء مخفي في طي لسانه(153)؟ وقوله: لو يتحدث الرجل، أعرفه في اللحظة نفسها. وإذا لم يتحدث، أعرفه في ثلاثة أيام. ولكن ربما لم يكن ذلك حاله، وربما قال ما يليق بقدر المستمعين ويناسب فهمهم. لأنه قال أيضًا (يعني عليًّا رضي الله عنه): لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا. ولو يكون ذلك حاله، من ثم فهذا القول الآخر لا يعبر عن حاله(154).

(152) عمود حنَّانة: هو عمود مسجد الرسول الأكرم الخشبي الذي كان يستند إليه أثناء الوعظ، وقد بكى ذلك العمود حزنًا على الرسول بعد وفاته.

انظر: مقالات شمس تبريز، تصحيح محمد علي موحد، ص 441.

(153) المرء مخفي في طي لسانه: من أقوال علي بن أبي طالب. فقد قال عليه السلام: تكلموا تُعرفوا؛ فإن المرء مخبوء تحت لسانه.

كتاب بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ص 606.

alseraj.net.

(154) الأصل العربي للحكاية:

المرء مخفي في طي لسانه، وقول علي: إذا تكلم المرء عرفته من ساعته، وإذا لم يتكلم عرفته في ثلاثة أيام، ولكن ربما لا يكون هذا حاله، فإنها على فهم المستمعين. إنه قد قال: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا، ولو كان هذا الأول حاله، كان الكلام الثاني كلامًا لا يكون حاله.

نقلًا عن: مقالات شمس تبريز، تصحيح محمد علي موحد، ص 346.

حين لا ينفع الندم

قصور الاستعداد هو المانع عن الالتحاق بخدمة المشايخ وحضور مجالسهم. ويلزم الاستعداد والقابلية والفراغ من المشاغل حتى تثمر الزيارة. وأولئك الذين يزورون المشايخ لحاجة، لا تكون زيارتهم عديمة الجدوى، مع أنهم مقصرون. لكن ينبغي عليهم السعي إلى الأفضل. إنني لا أرى البعض يسعون إلى الأفضل، وهم ينتبهون حين لا ينفع الندم.

اغضب من أجل الحق

كان ذلك البقال -الذي كان قد مكس دانقًا في البيع- قد انفعل على مشترٍ. فكان يضرب الطبول، وينثر الدراهم. فجاء الناس، وأخذوها. وكان البقال قد خسر حوالي خمسين درهمًا. من ثم يحزن حزنًا شديدًا في النهاية. لكن الغضب كان قد استولى عليه في تلك اللحظة -كما استولى عليك في هذه اللحظة- وكان يقول: إنني لا أخشى مناظرة أحد. لكن تظهر نار، وتشتعل بداخلي لو أتناظر مع البعض وبداخلهم نار. في تلك اللحظة كانت النار قد اشتعلت فيك، أو أوشكت على الاشتعال. كل مرة لا تغضب فيها من أجل الحق، اعلم أن تلك النار أوشكت على الاشتعال. يقول الكريم المطلق تعالي: لم يبقَ شيء قط من الجفاء عندك إلا أصلحته لكِ. ينبغي أداء الطاعة التي تُنسى، نسيان العفو لا نسيان الغفلة. وأنت تعمل عملًا يُذكِّر بذلك الجفاء.

الدوامة

مثل هذه الدوامة التي يفر منها الجميع إلا سبَّاح واحد، وهو لا يرضى أن يعبر هذه الدوامة من دون أن يتخذ رفيقًا آخر. ويقول: لنعبر. يدور حول الدوامة، فيظن الرفيق أن الدوامة تجعله يدور. هناك قناة في البحر ودوامة وممر ضيق. يتجاوزها؛ لأن الممر يؤدي إلى هذه الدوامة بلا شك.

الآن كيف قلتَ ولماذا قلتَ غاضبًا: إن تفوق الخصم لا يمنعني عن المناظرة؟ بل إنه يطيب لي، ولا أجزع. كيف لا تجزع؟ وتقول: إنني قلتُ أهل الدنيا. كيف تذكر أهل الدنيا في حديثي الذي لا يستوعبه أهل الدين؟ من ثم كيف لا تجزع؟

العفو عند المقدرة

يقولون: كان هناك بقال ضعيف مواجه لإسكافي، وكان الإسكافي رجلًا متمكنًا. كان هذا البقال يتناول التمر كل يوم، ويلقي النوى على الإسكافي. وكان الإسكافي يحفظ نوى التمر هذا، حتى جمع ما يعادل وزن الأزميل. وقال في نفسه في ذلك اليوم: ﴿وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلُهَا﴾(155) ومع هذا كله إذا لم يُلْقِ البقال النوى عليَّ اليوم، أعفو عنه. في ذلك اليوم أخذ ذلك العاجز في تناول التمر وإلقاء النوى على الإسكافي. وعلم السوق كله بهذه القضية. وقد قالوا: لو يسلك هذا السلوك، نذهب لنخبر الملك عنه. من ثم أخبروا الملك. أخذ الإسكافي الأزميل، وضربه على جبهته، فلم ينطق مرة أخرى. قال الملك للوزير: فلنذهب لزيارة الإسكافي. فقال: أيها الملك: أولًا: لا تتكلف السلام عليه. تعالَ، واجلس في زاوية دكانه، ولا تطمع في أن يرحب بك. وليس ذلك الإهمال بسبب الامتناع أو أنه ليس هناك سبيل إلى ذلك. فجميع الناس يلجأون إليه، وباب الكرم مفتوح. لما جاء الملك للزيارة، حدث ما كان الوزير قد تحدث عنه. ولم يتمكن إلا من الزيارة. تجرأ مرة أخرى. وقَبَّل يده، ثم اعتلى جواده وعاد بتلك الجلبة. من ثم لم تذع هذه الحكاية في العالم، أذيعت أو لم تذع فالمقصود هو النصح. وينبغي تدارك ذلك الجفاء. وقد تداركناه، وتعلمنا سلوك الطريق. ذلك الطريق هو إيثار الدنيا.﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نفسِهِ فأولئك

هُمُ المُفلِحُونَ﴾(156) يقول: اجتهد في السعي كذلك، حتى أظهر ذلك الجفاء الذي حفظته بسبب الفراق؛ فيزول.

(155) ﴿وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلُها﴾: سورة الشورى، جزء من الآية 40.

(156) ﴿ومن يوق شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون﴾: سورة الحشر، جزء من الآية 9.

المر الحلو

وهذا الذي يعرض عن الحق في وقت المحنة، ويطيعه في وقت النعمة. إن المعشوق يقول: أرضى فترضى، أستاء فتستاء. الخلاصة، في ذلك المر، يوجد هذا المر الحلو، وقد تحدثت عن التناقض في هذا الطريق وقلت: إن هذا الغضب هو الحلم.

كنت راضيًا في إلحادي، ولم أحظ بذلك القدر من الرضى في زندقتي أو إسلامي. ذلك الكلام الذي قلته، وذلك الجفاء الذي وقع في وقت الفراق، أجده أمامي حين أنظر إلى المرآة. وقد قبلته أنت، ودونته، وأعربت عنه. من ثم أدركت أن الكلام من أجل الغير؛ لأن العمل بذلك الكلام وتلك النصيحة معناه ألا يحدث شيء من المخالفة بعد تلك النصيحة، وقد حدث.

الغواص والجوهر

لقد ذاعت حكاية التاجر، وذاع الحديث عنه كذلك، وكان لديه خمسون مسافرًا، أي أن خمسين مضاربًا كانوا يذهبون إلى كل ناحية برًّا وبحرًا، وكانوا يتاجرون بالمال. وكان هو قد ذهب لطلب الجوهر. وتجاوز سبَّاحًا ماهرًا في السباحة وتعقبه السبَّاح. كانت أحوال الجوهر مستورة بين التاجر والسباح. كان التاجر قد رأى منامًا متعلقًا بالجوهر، وصدقه. مثل يوسف صلوات الله عليه الذي طاب له البئر والسجن وليله كذلك بسبب تصديقه لرؤية سجود الشمس والقمر والنجوم له، ومعرفته تأويلها.

اليوم الغواص هو مولانا، والتاجر أنا شمس الدين التبريزي (خلد الله بركته) والجوهر بيننا. يقولون: إن الطريق إلى الجوهر بينكما، هل نسلك نحن ذلك الطريق؟ قلت: نعم، ولكن هذا هو الطريق. إنني لا أقول: أعطوني شيئًا، إنكم تأتون متضرعين، وتسألونني ذلك السؤال بلسان الحال؛ ما الطريق إلى الله؟ قل. فأقول: الطريق إلى الله هو عبور آقسرا. وذلك العبور بلا شك على جسر جاهدوا بأموالهم وأنفسهم. في البداية الإيثار بالمال، وهناك أمور كثيرة بعد ذلك. لكن المرور بآقسرا أولًا، وليس هناك طريق إلا آقسرا. بمجرد أن رأى الغول والذئب في البيداء، حاد عن الطريق. جاء مثل السهم المنطلق، وصار رفيقًا وأنيسًا.

أطعمك لقمة، واختفى الآن ماذا سوف تفعل؟ وماذا سوف تمنح؟ ماذا تُكِنَّ في قلبك؟ قل. ولو أن هناك مانعًا فلتحدثني عنه. إنني أرشدك إلى الطريق؛ ليسهل عليك طيه، إنني أعرف الطريق أفضل منك، إنني أتحدث بالجوهر، وأنت لا تنتبه بسبب المال!

هل تدرك الشمس القمر؟

هل أنا أنافق أم أتحدث من دون نفاق؟ مولانا هذا ضوء القمر. لا تبصر العين شمس وجودي، ولكنها تبصر القمر. لا تطيق العين الشمس بسبب شدة النور والضياء. ولا يدرك ذلك القمر الشمس، فلعل الشمس تدرك القمر. ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾(157).

(157) ﴿لا تدركه الأبصار وهو يُدرك الأبصار﴾: سورة الأنعام، جزء من الآية 103.

السهام والجعبة

أي سهم هذا؟ وأي جعبة لهذا الكلام؟ ما كمال عالم الحق؟ إنه قدرة الحق. لا غاية لهذا السهم. ﴿قُلْ لو كان البحر مِدَادًا﴾(158). الزاوية التي ينطلق إليها هذا السهم، يصيبها. هذا السهم موجود في جعبة السهام في عالم الحق، ولا يمكنني إطلاقه. وتلك السهام التي أطلقتها وأطلقها تعود إلى الجعبة.

(158) ﴿قُل لو كان البحرُ مِدَادًا﴾: سورة الكهف، جزء من الآية 109.

سداد الدين

هل أنت مشغول بشيء آخر؟ لا تعرض عنا على أي حال تكون، ولا تتركنا. امنح ما تملكه على أي حال تكون فيه، وإذا لم تملك شيئًا، اجتهد في أن تحصل عليه. احفظ لنا قليلًا مما تعده لدعوة الأصحاب الآخرين. ادخر دانقًا أو دانقين لسداد ذلك الدين الذي منحناه لك. العدة دين. ﴿إِنَّ العَهْدَ كَانَ مسئُولًا﴾(159). كيف يكون العهد الذي يبرمونه مع الله تعالى؟ خبئ نصيبًا من كل شيء من أجل سداد ديننا كذلك. إذا كان مقداره دانقًا، فأنا لا أغتني به أو أفتقر من دونه. لكنه يفتح عليك فتوحات. وحتى ذلك الوقت الذي يحل فيه فتح من الغيب على حين غرة. فلتفرغ منها جميعًا. ولا تهملني تمامًا على هذا النحو.

(159) ﴿إن العهد كان مسئولًا﴾: سورة الإسراء، جزء من الآية 34.

الموافقة لا المخالفة

على سبيل المثال يأمر العقل بشيء، فيأمر الهوى بخلافه. مثلما يقول السيد: أحضِر المخلل. فيقول الغلام: لا. يقول الشيخ: أحضِر الحلوى إذَنْ. فيقول الغلام: الحلوى مضرة. هذا لا يليق. ينبغي أن يقول: أحضِر أولًا ما يأمر به السيد. يقول السيد: إنني سوف أذهب إلى فلان. فيقول الغلام: الله معك، إنني لن أجيء معك. يقول السيد: ولماذا لا تأتي؟ فيجيب: أجيء في وقت المجيء. هناك عذر في هذه اللحظة. ذلك لا يليق. ويناقض التربية. إذ ينبغي تعلم الموافقة في هذا الطريق لا المخالفة. لا تعلمني أنت المخالفة وأعلمك أنا الموافقة. يعني علمني أنت الدلال، فأعلمك التضرع. مثلما قال ذلك الفقيه: ذلك العناء الذي تواجهه في البحث إما بسبب أنك ملول وإما لأنك لا تملك سر البحث، فأيهما أنت؟ وقد أذعن الشيخ محمد، ولم يبحث، إذا كان يبحث، لكان يفيد فائدة كبيرة، لأنه ينبغي أن يتوفر لي ما يبحث عنه.

الفائدة المعنوية

نعم إذا كان الصحابة يتدارسون مع الرسول ﷺ، لكانوا يفيدون منه فائدة كبيرة. تكون تلك الفائدة فائدة معنوية. لكن ذلك الشيء الذي يستوجب الدراسة، إذا تمت دراسته، تفيدون منه. إنني أعتقد أنكم هكذا تفعلون معي. أنت ملول، يلزمك التجديد. ولو أنك شيخ، ينبغي أن تصير شابًّا. ويجب أن تحظى بنصيب من انفتاح الذهن والأذن والعقل، وتستمع إلى المعنى أيضًا وتضطلع به. تقول: إنني مشغول الآن بأمر آخر. فكيف ينجزون أمرين معًا؟ هل ينبغي أداء عملين معًا؟

الشدة واللين

لقد وفقني الله تعالى إلى عدم مخالفة الفريضة إلا مرة واحدة في سبعة أو ثمانية أعمال. والله غالب على كل شيء. يتشدد بعض الأولياء، ليغلبوك. ولكنهم لا يغلبونك. ويترفق بعض الأولياء بك، لكنهم يكونوا حازمين ومؤثرين للغاية. وذلك هو ما يريدونه. يلزم زمنًا طويلًا حتى يفرغ المدعي من الدعوى. وعلامته هي ألا تبقى له معرفة، ولا يستطيع الحديث عن معرفة، وذلك الذي يُؤَوِّل حديثنا مثله شرف لها وريٌّ. فذلك هو الغوص في دوامة.

ما شأنك؟

مثلما رأى في المنام أنه كان يغوص في دوامة كبيرة، وكان يحرك إصبعيه خائفًا ويقول: خذ بيدي يا مولانا شمس الدين. لم تبقَ له حيلة، فأخذ يشرح الفرق بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء في حضوري. وإن الأنبياء يأتون بالمعجزات في أي وقت يريدون. أين أنت والحديث عن الأولياء؟

وانطلق قائلًا: للبعض فيضان مستمر، وللبعض فيضان غير مستمر، للبعض فيضان بإرادتهم، وللبعض فيضان من دون إرادتهم. وقد تخيل الولي وحاله بخياله! ولما تعرض عن كلامه من أجل مصلحته. يقول: إنه يحسدني ويحقد عليَّ. إنني اعتددت أن أدعو لليهودي وأقول: ليهده الله. وأدعو لمَن يسبني قائلًا: إلهي، اشغله بأمر أفضل وأحسن من هذا السَّب؛ فيسبح ويهلل بدلًا من هذا السب، وينشغل بعالم الحق. ما شأنهم بي؟ وليّ أم غير وليّ! ما شأنك بي إذا كنت وليًّا أو لم أكن؟ مثلما قالوا لجحا: انظر إلى هذه الناحية، فإنهم يحملون الموائد. قال جحا: وما شأني؟ قالوا: إنهم يحملونها إلى بيتك. قال: وما شأنكم؟ لهذا السبب أجتنبُ الخلق.

قول الصدق

إنني أكِن المحبة لكثير من المشايخ، والحب موجود، لكن لا أظهره. وقد أظهرته مرة أو مرتين، وبدا مني شيء في المعاشرة؛ فعقدت العزم على ألا يفتر ذلك الحب. إنهم لا يعلمون حق تلك الصحبة، ولا يعرفوه. وقد أظهرته لمولانا، فازداد ولم ينقص. إنني لا أستطيع قول الصدق؛ فما إن شرعت في قول الصدق حتى كانوا يطردونني، فإذا أتممته؛ لكانت المدينة بأسرها تطردني.

القليل يدل على الكثير

القليل يدل على الكثير، يعني الألفاظ قليلة، والمعاني غزيرة. على سبيل المثال: لقد وضعوا جوال سكر في ذلك المكان، وأحضروا قدرًا منه. فذلك القليل يدل على الكثير. صدق الرجل القليل يدل على كثرته، وانحراف الرجل القليل ونفاقه يدلان على كثرتهما.

اللعنة عليكِ وعلى الخصم!

كان هناك رجل في عهد الرسول ﷺ شغوفًا بقول الصدق. وكان الصحابة رضي الله عنهم يستاءون من إخلاصه وصدقه، لأن الرسول ﷺ كان مهتمًّا به لصدقه. لكنهم لم يستطيعوا أن يقولوا له شيئًا، واغتاظوا منه. وكانوا يعقدون العزم على الانتقام منه إذا مات الرسول ﷺ. وهكذا كان الرجل يداوم على قول الصدق بعد وفاة الرسول ﷺ. فلم يتراجعوا، وقالوا: نؤذيه، ونطرده من المدينة. بينما كانوا يطردونه، سمعت امرأة ذلك الصوت، فهرولت إلى السطح، وكانت تتشاجر مع الصحابة قائلة: كان هذا الرجل عزيزًا مكرمًا عند الرسول ﷺ. ألا تخجلون من روح الرسول ﷺ، وتطردونه! كانت تصيح وتتشاجر. فالتفت إليها رجل وقال: أيتها المرأة، لو أنكِ تقترفين هذه الوقاحة ابتغاء إحسان الخصم، فاللعنة عليك وعليه. نعم إن أصحاب الرسول ﷺ لا يفعلون شيئًا جزافًا، ولا يطردون من لا يستحق الطرد. لا تجتمع أمتي على الضلالة(160) وإن أحسنتم نصركم الله. قال الرجل: إنهم يحسنون، فلا تسيء أنتِ.

(160) لا تجتمع أمتي على الضلالة:

إشارة إلى الحديث: إن الله لا يجمع أمتي –أو قال: أمة محمد ﷺ- على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومَن شذ، شذ إلى النار.

الراوي: عبد الله بن عمر. المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الترمذي.

خلاصة حكم المحدث: صحيح.

الموسوعة الحديثية، الدرر السنية،

.daorar.net

زنديق أم صِدِّيق؟

ومثل ذلك الحديث عن أحمد الزنديق الذي أحيل إليه الجنيد من بغداد، وقيل له: إن أحمد الزنديق موجود في المدينة الفلانية. وهو مريد لنا. ولن تحل مشكلتك هذه من دونه وإن أديت مائة أربعينية. نهض الجنيد، وقصد تلك المدينة، وقال في نفسه: ليس من الأدب أن أسأل: أين بيت أحمد الزنديق؟ فأوّل الكلام، وكان يسأل عن أحمد الصديق. وقد حالت كثرة معرفته بينه ومقصوده. فقد قالوا له كلامًا من دون تأويل في الواقعة، وسمعه بالتأويل. كان يطوف في تلك المدينة ستين يومًا، ويسأل: أين وثاق أحمد الصديق؟ بسبب أنهم قالوا له كلامًا من دون تأويل، وكان هو يؤَوِّله. حتى جال بخاطره: أمرُ بباب ذلك المسجد الخرب. لما ذهب إلى تلك الناحية، سمع تلاوة قصة يوسف من القرآن، فخفق قلبه. كان شاب يخرج من ذلك المسجد الخرب. فقال الجنيد: أسأل هذا الشاب من دون تأويل. سأله عن أحمد الزنديق، فقال ذلك الشاب: ألا تسمع تلاوته للقرآن؟ فصاح الجنيد صيحة، وفقد صوابه، وسقط. وجثا ذلك الشاب على قدميه. وعلى هذا النحو بلغ الجنيد مقصوده ببركات قول الصدق، ولما ثاب إلى رشده، ذهب إلى تلك الخرابة، وجلس بعيدًا. لم يجرؤ الجنيد على السلام أو الكلام. ولم يعطه أحمد الزنديق الفرصة. ثم عفا عنه بعد ذلك بوقت طويل، ونظر إليه، وقال: أهلًا بالجنيد. قال الجنيد في نفسه:

يا للعجب! كيف يعرف أنني الجنيد؟ ابتسم أحمد، وقال: كيف لا أعرف وقد كنت أطوف حول نفسي منذ ذلك اليوم الذي انعقدت فيه تلك العقدة، ووقعت تلك المشكلة لك؟ وأقول: ماذا أقول له حين يأتي؟ ولا أجد شيئًا أقوله لك. من ثم هل تعرف أن تقول شيئًا؟ ثق بنفسك، وقل شيئًا. استهل الجنيد الكلام، وكان يقول شيئًا، فنهض أحمد الزنديق ورقص عدة رقصات. فتجلت الأرواح المقدسة، وقالت: لو ترقص رقصة أخرى أو رقصتين، تنفك تكة السروال. فخجل، وجلس.

ماذا أقول؟ ولمن أقول؟

هذه هي القاعدة: حين تُغيِّر الكلام الصحيح وتأوله، يضحك القليل، وتأخذ الشفقة الأغلبية، ويعتريهم الذوق والحال. وحين يُقال من دون تأويل، لا تأخذهم شفقة، ولا يعتريهم حال، سوى مَن اختصه الله تعالى بالقبول، وبلَّغه لذة الصدق. لا ينبغي السؤال في ذلك المقام، وأي سؤال يسأله الخلق، وقد بقي المتحدث حائرًا. ماذا أقول؟ ولمَن أقول؟ إنني لن أتحدث ما داموا لا يفهمون.

عازف الناي

كان شخص يذهب إلى منزل ليلًا ونهارًا، (ويعزف الناي) فقال له رجل: ليس هناك أحد في هذا المنزل. فلمَن تعزف الناي؟ قال: اصمت. إن الناس ينشؤون الخانقاهات ورباطات القوافل من أجل الله. وأنا أيضًا أعزف الناي من أجل الله، وأتحدث من أجل الله أيضًا. كيف تسأل أنت؟ إن مثلي ومثلك مثل عازف الناي ذلك الذي كان يعزف على الناي، فأبعدته عنه ريح في هذه الأثناء، فوضع الناي أسفله، وقال: لو أنكِ تعزفين أفضل مني، اعزفي. ينبغي عليك سلوك الطريق، أي جدال لك مع المرشد؟ اسلك الطريق أيها الحمار. ليس ذلك الحمار الذي يعبر الجسر، ولا ذلك الحمار المصري الذي ينزل في منزل يومًا، ويعود في اليوم نفسه. إنك لا تستطيع طيّ نصف منزل بألف دَفعة. ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾(161). فاشكُ من نفسك، وتأوه منها. ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾(162). قال: إنني أعلم هذا، وكان من الصعب عليَّ تصديقه. قال: ماذا تقول؟ إنني لن أستفيد منك. قلت: من ثم بأي نية تفعل هذا الأمر؟ قال: من دون نية، قلت: انهض، انهض. إنني فعلت كثيرًا من هذه الأفعال السيئة، وبدلت الكلام الصحيح، وأنشدت الشِّعر. فأخذته الشفقة، وبكى. وهو يقول: هذه نفسي الشريرة. فقلتُ: لا تبقى محرومًا. لم يسكن وقال: بلى، كان السيد يقول لي أيضًا: لا تبقى محرومًا.

قلتُ: من ثم اسمع تفسير ذلك، وأنصِت إلى تفسير هذا. فمَن يكون في دار ضيافة الملك، يأخذ لقمة، ويضعها في فمه، فلا يبقى محرومًا. أين ذلك ومَن يلقون بما بقي من فتات الخبز والعظم خارج الباب؛ حتى لا تبقى الكلاب محرومة.

(161) ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾: سورة الرعد، آية 11.

(162) ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾: سورة القصص، جزء من

الآية 56.

* * *

ما وسعني سمائي

فسِّر لا يسعني السماء(163). قال: لها معنى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمانَة على السماوات﴾(164) نفسه. يعني معرفة الله، وهذه المعرفة درجات. يتعلق معنى هذا الحديث بها أيضًا. قال: أليس لديكم تفسير آخر لمعنى هذا الحديث لا يسعني السماء؟ فالسعة الحقيقية غير ممكنة. لم يصمتوا. فقال: هذا هو محل البحث إنهم يهربون من النقاش. ولو يتناقشون، تزداد الفائدة.

(163) لا يسعني السماء:

إشارة إلى الحديث: ما وسعني سمائي ولا أرضي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن.

والحديث لا أصل له.

أحاديث منتشرة لا تصح، حديث رقم 335، الدرر السنية.

.daorar.net

(164) ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات﴾: سورة الأحزاب، جزء من الآية 72.

الذات والصفات

الدنيا قبيحة. لكن في نظر ذلك الشخص الذي لا يعرف ما الدنيا وما دام قد عرفها، لا تكون له دنيا. يسأل: ما الدنيا؟ فيقول: غير الآخرة يقول: وما الآخرة؟ يقول: الغد. يسأل: وما الغد؟ فتضيق العبارة للغاية، ويعجز اللسان. كل هذه المجاهدات من أجل أن يتحرروا من اللغة، لأنها ضيقة. فيذهبون إلى عالم الصفات. عجبًا، ماذا يقولون عن صفات الحق الطاهرة؟

هل الصفات(165) عين الذات أم غير الذات؟ هل اتفقوا على هذا؟ لا، لم يتفقوا. ولأن العالم متلون، فلا يكون للكلام لون واحد.

(165) الذات والصفات:

ذات الله سبحانه وتعالى عبارة عن نفسه التي هو بها موجود؛ لأنه قائم بنفسه. والذات الإلهية عند «ابن عربي» مرتبة من مراتب الوجود. وهي ذات مقدسة، مطلقة، لا تقبل التقييد ولا النسب ولا الأسماء ولا الصفات. وقد بلغت الذات الإلهية الكمال في الصفات كلها، فتجلت بهذه الصفات على الوجود بأسره، وشملت الصفات جميع الموجودات.

وينظر «ابن عربي» إلى الذات الإلهية من ناحيتين: الناحية الأولى: من حيث إنها ذات بسيطة مجردة عن النسب والإضافات إلى الموجودات. ووجودها في هذه الحالة وجود مطلق. والناحية الأخرى: من حيث إنها ذات تتصف بصفات، وتتعين بالصفات في صور أعيان الممكنات، ووجودها في هذه الحالة مقيد أو نسبي. ويعد الموجودات كلها صفات الحق.

انظر: د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص 85، صلاح الدين التيجاني: زبدة الفتوحات المكية، محيي الدين بن عربي، اختصار وتقديم، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2006 م، الجزء الأول، ص 42، محيي الدين بن عربي: فصوص الحكم والتعليقات عليه بقلم أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الجزء الأول، ص 29.

كان يسأل ذلك الدرويش الذي كان قد ذهب لزيارة الحكيم السنائي، وعاد. ماذا قال ذلك المتلون؟ أطرق الدرويش، وقال: يقول أهل العالم: ربما يذهب الشخص الذي يجتنب ذلك التلون متمهلًا إلى منزله، ولا يدخله. ولو

أن العالم شديد التلون فهذا يهودي، وذلك مجوسي، وذاك ملحد.

أداء الحقوق

يقول المعتزلة: يلزم قدم العالم قدم الكلام. ليست عقيدة المعتزلة على هذا النحو. هذه هي طريقة الانهزام والتواضع والمسكنة وترك الحسد والعداوة. ما دام سرّ قد انكشف لك، فيجب عليك أن تؤدي شكره. هل أؤدي معنى الشكر على سبيل النفاق أو الصدق؟ احمد الله، ولا تيأس. الرؤية صفاء ونور ساطع، وأمل في الصحة وروح وراحة. انقضت الآلام، وولّت الأكدار.

اصنع الخير

خير الناس مَن ينفع الناس(166). الشَّخص الذي لا يعلم ما الخير؟ كيف يصنعه؟ وما دام لا يعلم ما العام؟ وما العمر؟ فلماذا يتمنى بعضهم طول العمر للبعض الآخر؟ إن درهمًا ينفق من مال على صاحب قلب أفضل من ألف درهم ينفق على صاحب نفس. إنني لا أستطع شرح هذا لك؛ لأن نفسك متكبرة مضطربة. لو أتحدث، تتحدث أنت أيضًا، وتنقطع عنا.

(166) خير الناس من ينفع الناس: إشارة إلى حديث رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس.

التصنيف: الحديث الشريف.

تاريخ النشر: 21 /11/ 2019 م.

إسلام ويب. islamwab.net.

الطالب والمطلوب

وراء مشايخ الظاهر هؤلاء المشهورين بين الخلق، والذين يتردد ذكرهم على المنابر وفي المحافل، عباد مستورون أكمل من المشهورين، وهم مطلوبون. بعض الخلق مشهورون، منهم مَن يعتقد اعتقاد مولانا بأنني منهم. لكن هذا ليس اعتقادي. فلو أنني لست المطلوب، فأنا الطالب. والغاية أن يتميز الطالب عن المطلوب. من ثم الطالب هو الله بالنسبة لنا. ولكن ما دامت قصة ذلك المطلوب لم ترد في أي كتاب، ولا توجد في شرح الطرق والرسالات. فهذا كله بيان للطريق، نسمعه من شخص واحد فحسب.

وحكيت في ذلك اليوم أن الجنيد قال: عشرة من القثاء بدرهم. فماذا نساوي نحن؟ ونحن غبار فوق هذه الأرض. كذلك لا يدرك هذا الكلام عشرة ضعفاء بسبب ضعفهم. وهذا كفر بالنسبة لنا. والباقي يقاس على هذا. ما دام الأمر كذلك، تصدق قصة الدراويش هذه.

الطاحونة

قلت له: لا تشترِ تلك الطاحونة، ولا تجعلها وقفًا. وامنحني الألفي درهم تلك؛ حتى أديرها لك. وحين أديرها، أمنحك دقيقًا لا يمكن وصفه. وترى ماذا يفعل ضعيف؟ ولا يحبذ مائة رياضة على هذا. قال: أيرتقي درجة بهذا القدر من التواضع؟ قال: لا أسمي ذلك تواضعًا، لكنَّ كافرًا كان يسلك طريقًا بوعاء ماء، وكان هو في حاجة إلى الماء، فتوفر الماء له. لم ينظر إلى الكافر نظرة لطف أبدًا، لكنه قنع بذلك الماء في داخله. إن ذلك الكافر يأخذ بيد مائة ألف مسلم يوم القيامة. والأمر الإلهي بلا علة. هناك شخص ينفق مائتي درهم على درويش، ولا يكون لها أثر دانق واحد.

حلقة الباب

لو يجوز إدراك هذه المعاني بالتعلم والدرس، لكان ينبغي لأبي يزيد والجنيد نثر تراب العالم على رأسيهما حسرة على فخر الرازي(167). ولكان يلزمهما التلمذة على يده مائة سنة. يقولون: إنه صنف ألف ورقة في تفسير القرآن. ويقول البعض: صنف خمسمائة ورقة. ولا يدرك مائة ألف فخر الرازي غبار طريق أبي يزيد، ويكون مثل الحلقة على بابه. ليس على باب البيت الخاص، لكن حلقة بابه الخارجي. والبيت الخاص شيء آخر؛ فقد اختلى فيه السلطان مع خاصته. ليست حلقة ذلك الباب، لكن حلقة الباب الخارجي.

(167) فخر الرازي: هو فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني، ولد في سنة 544 هـ، وكان أبوه الإمام ضياء الدين خطيب الري، وتوفي في سنة 606 هـ. وقال في آخر عمره: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا. ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن.

انظر: سير أعلام النبلاء، الطبقة الثانية والثلاثون، جـ 21، ص 501.

البحث عن الطريق

هذا الاجتهاد في البحث هو نفسه ما تريد أن تتعلمه بالعلم. وينبغي له السير والسعي. على سبيل المثال: إذا بحثت عن طريق دمشق وحلب مائة عام، لا يمكنك أبدًا إحضار متاع حلب إلى هنا ما لا تواجه أخطار الطريق. تقول: إن مالك هذا حرام. فانتظر وتجبر وتبطر، حتى ينقضي ذلك الأمر.

سأل: أينبغي على العالم اتباع العلم في البداية، وعندئذ يصير سلوك الطريق ميسورًا؟ أجاب: قصصنا قصة السير إلى آقسرا(168)، وشرحناها. ولم تذهب أنت أو تسأل عن تلك الناحية. إنني أقول: اذهب إلى هناك، وأنا معك. بعد ذلك انظر بنفسك أي ناحية أكثر أمنًا من خطر اللصوص والذئاب والحرامية وغيرهم، إما طريق ملطية(169) أو طريق أبلستان(170).

(168) آقسرا: هي مدينة آق سراي التركية، تقع في وسط الأناضول، وتشتهر بمعالمها السياحية، وتنتج الحبوب والفواكه والخضار إضافة إلى اللحوم ومنتجات الألبان. تبلغ مساحتها حوالي 4588.87 كم2؛ ويبلغ عدد سكانها حوال 270528 نسمة.

انظر: mawdoo3.com.

(169) ملطية: مدينة ملاطية هي مدينة قديمة في شرق الأناضول، تقع بالقرب من منبع نهر الفرات. يبلغ عدد سكانها 550 ألف نسمة، وهم خليط من الترك والكرد. تشتهر بصناعة النسيج، وبزراعة المشمش.

انظر: marefa.org adwhit.com.

(170) أبلستان: جبل في تركيا.

انظر: مولانا شمس الدين محمد بن ملك داد تبريزي، مقالات شمس تبريزي تصحيح وتعليقات احمد خوشنوس عماد، ص 55.

الروح اللطيفة

تعترضك عقبات، والمال قدر أغلب الخلق. ضحى به السالكون. والدرهم أعز عند محب الدنيا من روحه اللطيفة. كأنه ليست له روح. إذا كانت له روح، لما كان المال أعز إليه منها. والله إن الدرهم هو قبلة محب الدنيا.

سبوح قدوس

ورد الحديث عن ابتلاء إبراهيم بسبب غيرة الملائكة. وهي ليست غيرة الحسد والإنكار، فلو كانت كذلك، لكانوا أبالسة. لكن العجب من أننا جوهر النور، فكيف يرقى بنا القدم الجسماني إلى الخلة؟ قال: ترك هؤلاء الهوى، وقالوا: لقد تحققت له أسباب الهوى من ماشية ومال. قال: إنه بريء منها ومنزه عنها. قالوا: آمنا وصدقنا، ولكن يا للعجب! قال: امتحنوه حتى يتضح الأمر، وينكشف في ذلك الامتحان سر آخر. بماذا يعفو عنكم؟ وقلما ينكشف لكم سر ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾(171). يا جبريل، استتر خلف الأصنام، وقل: سبوح قدوس. سمع الخليل، ونظر، ولم يَرَ وجه شخص. فقال: قل مرة أخرى، وهذه الأغنام كلها لك. فكرر القول، وخرج من خلف الأصنام، وقال: أنا جبريل، ولا حاجة لي بالأغنام. قال: لست أنا ذلك الصوفي الذي يعود إلى ذلك الشيء الذي تخلى عنه. عرف بعض الملائكة حال الخليل بهذا المسلك. وعلموا أن: القليل يدل على الكثير. ومن ثم لم يعلم البعض، وقالوا: إن عملنا سهل. ويجب امتحان أعقابهم(172).

(171) ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾: سورة البقرة، جزء من الآية 30.

(172) وردت هذه القصة في نفايس الفنون لمحمد الآملي على النحو الآتي:

سأل جبريل حضرة العزة قائلًا: يا رب، من أين حصل إبراهيم على خلعة الخلة مع ما له من مال ومكنة؟ فقال الحق تعالى: مع أن له مالًا وفيرًا، لكن قلبه متعلق بنا، لا بالمال. وامتحنه إذا أردت. فجاء جبريل إلى باب إبراهيم على هيئة شيخ، وقال له بصوت عذب: سبوح قدوس رب الملائكة والروح. فطاب الوقت لإبراهيم، وقدم إليه، وقال: إن روحي فداء اسم الحبيب. كرر كلامك مرة أخرى.

انظر: مقالات شمس تبريز، تصحيح محمد علي موحد، ص 457.

صوته لا قوله!

قذف بهلول القارئ بحجر. فقالوا: لماذا تقذفه بالحجر؟ قال: لأن القارئ يكذب. حدثت فتنة في المدينة. واستدعى الخليفة بهلولًا. فقال: إنني أقول: صوته، ولا أقول: قوله. قال: كيف يكون هذا الكلام؟ كيف ينفصل قوله عن صوته؟ قال: لو أنك الخليفة، وتصدر أمرًا فحواه: يجب أن يحضر غلمان البقعة الفلانية بمجرد سماع هذا الأمر على وجه السرعة من دون تمهل. وحمل الرسول هذا الأمر إلى تلك البقعة، وقرأوه، وكانوا يقرأونه كل يوم، ولم يأتوا أبدًا. فهل هم صادقون في تلك القراءة وفي قول سمعًا وطاعة ذلك؟

رموز القرآن

﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾(173). إنك لا تفهم رموز القرآن. لو تنقضي خمسون ألف سنة على هذا الظاهر. سوف تجد رائحة الجنة هناك. لو تضل هنا حيث عالم الأنبياء والأولياء، تهلك. يمر المتوسل على تلك الأماكن –من تقدم إليَّ باعًا-(174) من باع إلى باع، ومن شبر إلى شبر، ومن جانب إلى جانب. خطوتين وقد وصل. إنك لا تملك الخطوة المحمدية. ورفع فرعونك رأسه. جاء موسى؛ فذهب هو. عاد الفرعون؛ فذهب موسى. يدل هذا على التلون، فإلى متى يبقى هذا التلون؟ اختر موسى بنفسك، حتى لا يأتي فرعون آخر. هذا التلون ليس أسلوب العمل.

(173) ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾: سورة المعارج، جزء من الآية 4.

(174) من تقدم إليَّ باعًا:

إشارة إلى الحديث: حدثني محمد بن عبد الرحيم، حدثنا أبو زيد سعيد بن الربيع الهروي، حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، يرويه عن ربه، قال: إذا تقرب العبد إليَّ

شبرًا، تقربت إليه ذراعًا، وإذا تقرب مني ذراعًا، تقربت منه باعًا، وإذا أتاني مشيًا، أتيته هرولة.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه، جزء 13، ص 521. islamwab.net.

موت أم حياة

﴿إن الذين قالوا ربنا اللهُ ثُمَّ استقاموا﴾(175). أولئك الذين قالوا في هذا العالم -ما سيقوله الغافلون هناك - ليس لنا إله إلا الله، وأصروا على ذلك من دون تلون. يأتون بهم يوم القيامة. وبمجرد أن يصلوا إلى حافة القبر، يشاهدون مائة ألف شعلة نور، فيتساءلون: أين ملك الموت؟ فهو ملك الحياة بالنسبة إليهم. أين القبر؟ إنه الخلاص لهم من القبر والسجن. فالدنيا سجن المؤمن(176). يقولون لرجل: بمجرد أن تخرج من هذا السجن، تصير نديم السلطان، وتذهب، وتجلس إلى جواره على العرش. يأتي (ملك الموت عزرائيل)، ويعتصر الحلقوم، ويقبض عليه، فأجد الخلاص. ﴿فتمنوا الموت﴾(177) ما دمتم من الصادقين.

(175) ﴿إن الذين قالوا ربنا اللهُ ثُمَّ استقاموا﴾: سورة فصلت، جزء من الآية 30.

(176) الدنيا سجن المؤمن: إشارة إلى الحديث: قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

الراوي: أبو هريرة. المحدث: مسلم. المصدر: صحيح مسلم.

خلاصة حكم المحدث: صحيح.

الدرر السنية، الموسعة الحديثية، شروح الأحاديث.

.daorar.net

(177) ﴿فتمنوا الموت﴾: سورة الجمعة، جزء من الآية 6.

لو يأتون بهم يوم القيامة، كيف تكون هناك قيامة؟ ذلك اليوم هو يوم كشف السرائر، سرائرهم هي الحق. يتجلى الحق، فكيف تبقى القيامة؟ ربما قيدوهم بجنازير نور حتى يأتون يوم القيامة، ويفعلون بهم ما ينبغي فعله. فيحملون أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار. إنهم يقيدون بالجنازير حتى يأتون يوم القيامة، فيقيدون بجنازير أخرى مجددًا، حتى ذلك الوقت الذي ينقضي فيه الأمر.

من ثم الكلام من أجل المعاملة، وليست المعاملة من أجل الكلام، حتى تعلم أن الطمأنينة في معية الدراويش.

خبث الباطن

الوضوء على الوضوء نور على نور(178). ما دام ذلك الباطن قد بلغ الكمال، أهمل البعض الظاهر. فيتبعهم قوم، ولا يتبعهم قوم آخرون، ويقولون: الوضوء على الوضوء نور على نور. أولئك لا يلزمهم مرشد، وهم سند وملاذ للعالم وللعالمين. لا شك أن نجس الباطن يجب أن يُطهَّر. لأن ذرة من نجس الباطن تفعل ما لا تفعله مائة ألف ذرة من نجس الظاهر. فأي ماء يطهر نجس الباطن ذلك؟ إنها ثلاث حبات مسك أو أربع من الدمع، ليس أي دمع، إنه الدمع الذي يسيل بسبب الصدق. بعد ذلك يشعر بالأمن والنجاة. فقل له: نم مطمئنًا. لكنه كيف ينام؟ فالنوم شيء والسِّنة شيء آخر.

(178) الوضوء على الوضوء نور على نور: حديث ضعيف لا أصل له.

ملتقى أهل الحديث.

ahlalhdeeth.com.

لكن دمع المستغني وصلاته، يصحبه إلى حافة القبر ليس إلا، ثم يعود مع العائدين. ودمع المحتاج وصلاته يدخلان معه القبر، ويصحباه يوم القيامة، ويسبقاه كذلك إلى الجنة وحضرة الحق. لو أنه يملك مثل يقظة القلب هذه، لا ينام. وإذا لم يملكها، فالحذر من النوم في ممر السيل. لو ينام، يكون من السهل أن ينغزوا رجلًا في جانبه، فيستيقظ، ويبدو له السيل من بعيد، فيزول عنه ألم الجرح خوفًا من السيل، ويعجز. لكن ذلك الذي يستغرق في النوم، ربما قطع الخصم نصف حلقومه، ولم يفتح عينيه. ما دام لا يفتح عينيه، ربما قطع الخصم باقي الحلقوم.

إننا نهذي، ومولانا من أهل الحق، ينبغي التفوه بالكلام اللطيف في حضرته.

أنام مطمئنًا الآن

ألا ترى أننا نتحدث عن المحبة حتى الآن، بينما ينبغي الحديث عن الخوف أمام أهل الدنيا. على سبيل المثال: تحكي حكاية شخصين: أحدهما عقد الذهب على وسطه، والآخر كان يتربص به حتى ينام ويطعنه. كان ذلك الشخص يغفو، فلم يستطع الآخر الظفر به. وقد كانت تلك اليقظة طبعه، وإلا لما استطاع الحفاظ عليها من دون تكلف. لما وصلا إلى المنزل الأخير، يئس منه، وقال: إنه رجل يقظ. فإنه لو يقصد إيذاءه أثناء اليقظة. ربما يتدارك الأمر بسبب اليقظة. قال: أتجاهله، ثم احتال عليه، وسأله: لماذا لا تنام أيها السيد؟ فقال: ولماذا أنام؟ قال: حتى أقذفك بحجر، وأهشم رأسك، وأتحمل وزرك. قال: صدقت. الآن أنام مطمئنًا.

لا تزال الآمال معقودة

من ثم غفل رجل في وسط طريق محفوف بالمخاطر، فجاء عبد من عباد الله، وأيقظه. لكن ذلك الغافل كان قد نام في نظره. لو أصف لك حال هذا الغافل، تيئس من نفسك. إنني لن أتحدث؛ حتى لا تيأس. ولا تيأس، فالآمال لا تزال معقودة.

جوهر العشق

قال: حين يشيخ الرجل، يسلك مسلك الأطفال. قلتُ: ليس الرجال جميعهم، فالأنبياء والأولياء ليسوا من هذا القبيل. إنني أزداد كل يوم علمًا ومعرفة، وأرفض هذا الكلام، بل أشرحه. عجبًا للمحب كيف ينام(179)!

(179) عجبًا للمحب كيف ينام!

اشترى أبو عبد الله الساجي جارية سوداء لخدمته... قالت له: هل تقرأ شيئًا من القرآن؟ فقال: نعم. فقالت: اقرأ عليَّ؛ فقرأ عليها: بسم الله الرحمن الرحيم. فشهقت، وقالت: يا مولاي، هذه لذة الخبر، فكيف لذة النظر؟ فلما جن الليل وطَّأَ فراشًا للنوم. فقالت له: أما تستحي من مولاك؟ إنه لا ينام. وأنت تنام.

ثم أنشدت:

عجبًا للمحب كيف ينـــــام

جوف ليل بقلبه المستهام

إن قلبي وقلب مَن كان قبلــي

طائرات إلى مليك الأنـام

فارضِ مولاك إن أردت نجاة

وتجافَ عن اتباع الحـرام

الإمام الحافظ أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلـي:

كتاب التهجد وما ورد في ذلك من الكتب الصحاح وعن العلماء والصلحاء والزهاد رضي الله عنهم، حققه وعلق عليه: مسعد عبد الحميد السعدني أبو عبد الله محمد بن الحسن بن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 204.

.books.google.com

اعلم أن آدم حجاب في نظر الفقير، والفقير جوهر العشق، وجوهر العشق قديم. وقد وُجد آدم البارحـة.

شيخي ومعشوقي

يتحدث كل شخص عن شيخه. وقد منحنا الرسول ﷺ الخرقة في المنام. ليست تلك الخرقة التي تبلى وتهلك بعد يومين، ويُستنجي بها في الحمامات، لكنها خرقة الصحبة، الصحبة التي لا يستوعبها الفهم. الصحبة التي لا شأن لها بالأمس أو اليوم أو الغد.

العاشق المعشوق

لو يقول شخص: إن الرسول ﷺ غفل، فقوله مردود. ولو يقول: إنه لم يكن عاشقًا. فاليهود أنفسهم يجدون النجاة، وتتحقق آمالهم، ولا يتحقق له ذلك! لو يسألوني: هل كان الرسول ﷺ عاشقًا؟ أقول: إنه لم يكن عاشقًا، بل كان معشوقًا ومحبوبًا. لكن العقل يحار في بيان المعشوق؛ من ثم أسميه عاشقًا بمعنى معشوق.

مثلما قال لرجل: هل أنت يهودي أيها السيد؟ فقال: لا، أنا فقيه. قال: ليتك كنت يهوديًّا! قال: لماذا؟ قال: لأنه يلزمني كبريت – وكانت هناك عادة، ألا وهي: أن اليهود لا يخرجون في الصباح الباكر خوفًا من إيذاء المسلمين الذين يثابون على إيذائهم. وكانوا يبيعون الكبريت- قال: تسميني يهوديًّا من أجل هذا، أي بمرور الزمان. وتلك هي الصورة، وتوابعها.

الكمال

قال البعض: الأكابر. وهم يريدون المعنى، أي انتقال الشخص من المقام الذي يوجد فيه. الإناء يترشح بما فيه. من ثم لا يوجه السؤال في خدمة ذلك الشيخ، فكأنه هز شجرة؛ حتى تسقط الفاكهة. وقد يذهب لهزّ الشجرة في وقت ولا يعود. ولا يكون الجميع كذلك. وليست هناك حيلة سوى السكوت والتسليم. كل شجر لا يكون على هذا النحو، فلا يوجد هنا أي طريق آخر سوى السكوت والتسليم. ﴿وإذا قُرِئَ القُرآنُ فاستمعوا له وأنصتوا﴾ (180) على سبيل المثال: استهل متكلم الكلام. ذلك المثال هو المسألة التي يتحدث عنها. ليس هناك أي اعتراض حتى ينتهي من سرد المسألة. بعد أن فهمتها واستوعبتها إلى حد أنه يمكنك إعادتها كلها من أولها إلى آخرها. عندئذ تكمن لك مشكلة في القلب، يجوز لك الحديث عنها، لا تتحدث عن نصفها، وتترك النصف الآخر. ليست هذه هي العادة. إنني أقول: إن تلك العادة منحرفة، وليست صحيحة. كأن هذا هو الكمال، الكمال هو: لو يتحدث الآلاف. لا يصيبه أي خلل. أقول: ذلك هو الكمال في صورة أخرى.

(180) ﴿وإذا قُرِئَ القُرآنُ فاستمعوا له وأنصتوا﴾: سورة الأعراف، جزء من الآية 204.

الكمال هو: أن تفترض النقص في نفسك قائلًا: إنني لم أفهم تمامًا، ولم أستوعب. تنطوي تلك المسألة على فوائد. لكن ذلك الكلام الأول يشبه قول: إذا قيل للفقير، لم ذهبت البركة عن المجلس؟ يعني أن بركة ذلك الكلام الأول ذهبت لمن تضلع به.

قلبي مكتوٍ بنار العشـــــق

ووجهي مخضب بدم الكبـــد

معجون شفتي المحبوب شرابي

فأي مجال للمآخذ واللباب(181)؟

(181) المآخذ واللباب: يقصد بالمآخذ كتاب «مآخذ الخلاف»

للغزالي، ويقصد باللباب كتابه الآخر «لباب النظر».

انظر: مقالات شمس تبريز، تصحيح محمد علي موحد، ص 464.

المنفعة في هذا أنك تناولت لقمة، فاصبر حتى تؤدي تلك اللقمة فائدتها. عندئذ تتناول لقمة أخرى، هذه هي الحكمة، وعلى هذا النحو تكون الحكمة والاستماع. لكن إذا كان هناك شخص، يشعر بتعب وألم، ويلتهم الطعام بسرعة، فذلك أمر آخر يعلمه هو. لكنه لم يذق طعامنا. فلو أن حكيمًا إلهيًا كان يشرع في هذه العلوم الظاهرة، لما استطاع أن يوفي درسًا حقه؛ حتى يشرع في درس آخر. على سبيل المثال: هذا الذي كان يطالع هذه المسألة طوال

الوقت، فإنه لا يستطيع الحديث عن مشكلاتها والإسهاب فيه. وما دامت هذه المسألة لم تختمر بعد، وحتى يمكن مراجعة الفوائد والإشكاليات جميعها، ينبغي عليه ألا يتحدث في مسألة أخرى مطلقًا. بل يطالع المسألة نفسها مرة أخرى. أن يستوعب شخص مسألة على حقيقتها، أفضل من أن يطالع ألف مسألة. يكون الفتح للبعض في الذهاب، ويكون للبعض في المجيء، فانتبه وأمعن النظر، هل الفتح في ذهابك أم مجيئك؟

أدرك أنه لا يمن بوصله على الأحباب

ولا يمنح لبنًا من قدح الشرع للسكارى

ذلك المكان الذي يجلس فيه المجردون معًا

لا يمنحون فيه جرعة للأنانييـــــــــــن

معنى الكلام

في ذلك الوقت الذي كان العماد يبكي فيه، لما طالع رسالة نصير. أردتُ أن تنظر إليَّ، حتى أتحدث أنا أيضًا. يبدو أنه يتحدث بسبب الرحمة والرقة، لكنه كان يتحدث من شدة حب الجاه. إنني حين أنشد الشعر، أصوغ الكلام، وأبوح بأسراره. والبعض يصاب بالخرس بسبب غلبة المعنى. ومولانا لا يصيبه الخرس، ولا يقهره المعنى. يخرس قوم بسبب ندرة المعنى. ولا يصيبني شيء من هذا.

قول الصدق

يحق لهؤلاء الناس ألا يقبلوا كلامي. إن كلامي كله على وجه الكبرياء. والجميع يدَّعي. ولقد جاء القرآن وكلام محمد كله على وجه الحاجة، ولا جرم أنه يشمل المعاني كلها. إنهم لا يستمعون إلى الكلام على سبيل الطلب أو الحاجة. كأنك تنظر من أعلى، فتسقط العمامة. لكن هذا التكبر لا يكون عيبًا في حق الله تعالى. كما يقولون: إن الله متكبر. إنهم يقولون الصدق، وما وجه العجب في هذا؟ الخلاصة: أقول لك قولًا؛ إن هؤلاء الناس يسرون بالنفاق، ويحزنهم الصدق. قلتُ له: إنك رجل عظيم، وفريد في العصر؛ فابتهج، وشدَّ على يدي، وقال: كنت مشتاقًا إليك، ومقصِّرًا في حقك. وفي السنة الماضية قلت له الصدق؛ فصار خصمًا لي وعدوًّا. أليس هذا عجيبًا؟! ينبغي أن تحيا مع الناس بالنفاق، حتى تسعد بينهم. وبمجرد أن تشرع في قول الصدق، ينبغي عليك الرحيل إلى الجبال والفيافي. لو أنك تقبل ذلك الكلام كما أخذتك الشفقة في ذلك اليوم. يمتن عليك بكثير من الفتوحات. لأنك لما تظهر التبجيل، وتستمع على سبيل الحاجة، يطيب لك هذا المجلس. ويحسن الدرويش الظن بهذا المجلس، ويتذكره في كل وقت، فيميل قلبه إليه، ولا ينفر منه. ويثمر ذلك الميل راحة القلب. إن غرضك من السؤال والحديث هو قبول القلوب، فترق

القلوب لك، لما يحدث العكس. وتتغير القلوب، تتألم أنت، ولا يطيق قلبك ذلك.

حضور القلب

قال النبي عليه السلام: لا صلاة إلا بقراءة(182)، وقال: لا صلاة إلا بحضور القلب. وظن قوم أنهم ما داموا قد حظوا بحضور القلب، فقد صاروا في غنى عن ظاهر الصلاة، وقالوا: طلب الوسيلة بعد حصول المقصود قبيح. وقد صدقوا وفقًا لزعمهم؛ لأنهم استغرقوا في الأحوال، وتحققت لهم ولاية القلب وثبتت. مع هذا كله فإن ترك ظاهر الصلاة نقص فيهم. وكمال الحال هذا الذي تحقق لك، ثبت للرسول ﷺ. لو يقول شخص: لم يثبت. يضربون عنقه، ويقتلوه. ولو يقول: نعم، كان قد تحقق. أقول: من ثم لماذا لا تتبع مثل هذا الرسول الكريم البشير النذير عديم النظير السراج المنير؟ لا يوجد هنا ولي من أولياء الله صحت ولايته بالتقدير الذي لم يترك أي شبهة. وفلان الدين هذا الذي لم تظهر ولايته، يواظب على الظاهر. إنني اتبع فلان الدين هذا، ولا أسلم على ذلك. بعد ذلك اتجه إلى مولانا صلاح الدين، وقال: كيف أقول؟ قال مولانا صلاح الدين: الحكم لك. في كل شيء تقوله، ما لنا جواب، ولا حيلة(183).

(182) لا صلاة إلا بقراءة:

إشارة إلى الحديث: حدثنا علي بن عبد الله، قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبواب صفة الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت، جـ 2، ص 282.

islamwab.net.

(183) الأصل العربي للحكاية:

فقوم زعموا أنه حصل له الحال الذي هو حضور القلب، وقد استغنوا عن الظاهر، وقال: وجدنا المقصود، فإيش نشتغل بالوسيلة؟ فعلى زعمهم أنهم صدقوا أن لهم صحة الحال والولاية والحضور، فترك الظاهر نقص لهم، ونقصان لهم البتة. نقول: هذا الحضور الذي حصل لك، وهذا الحال، حصل للنبي ﷺ أم لا؟ فإن قال: لا، يضرب عنقه

ويقتل. وإن قال: حصل له. فنقول له: لم لا تلازم المتابعة، ولم لا تتبع البشير النذير الداعي إلى السراج المنير؟ فلو كان هيهنا ولي من أولياء الله الذي صحت ولايته وثبتت، على تقدير ثبوت ولايته، ورشيد الدين لم تظهر ولايته. وذلك الولي يترك الظاهر. ورشيد الدين يواظب على الظاهر. أنا أتبع هذا، ولا أسلم على ذلك. قال لصالح: كيف أقول؟ قال الحكم لك، إيش ما قلت. ما لنا جواب ولا حيلة.

نقلًا عن: مقالات شمس تبريز، تصحيح محمد علي موحد، ص 348.

الرباط للغريب

كنت أنزل في زاوية الرباط تلك(184). فقال لي فلان ذلك: ألا تأتِ إلى الخانقاه؟ قلت: إنني لا أرى نفسي جديرًا بالخانقاه، ولا أعدها كذلك. فقد جُعلت الخانقاه لأولئك القوم الذين لا يطيقون التجربة والاكتساب. وقتهم عزيز، فلا يدركوه. لست أنا كذلك. قالوا: ألا تأتِ إلى المدرسة؟ قلت: لست أنا ذلك الذي يستطيع الدرس. لو أنني أفهم مغزى اللفظ، فلا يجوز لي الدرس. ولو أتحاور بلغتي، يسخرون مني ويكفرونني. أنا غريب، والرباط للغريب. أتريد المفتاح لتفتح الباب؟ ينبغي منح المفتاح لللصوص. أنت أمين، وصحبة اللصوص حسنة. الأمين يضيع المنزل. واللص يتسم بالشجاعة والذكاء؛ يحفظ المنزل. صحبة الملحدين حسنة ما داموا يعلمون أنني ملحد.

(184) يقول السهروردي: ثم شرط الفقير الصادق إذا سكن الرباط، وأراد أن يأكل من وقفه... أن يكون عنده من الشغل بالله ما لا يسعه الكسب... لأن طعام الرباط لأقوام كمل شغلهم بالله، فخدمتهم الدنيا لشغلهم بخدمة مولاهم، إلا أن يكون تحت سياسة شيخ عالم بالطريق... فيرى أن يطعمه من مال الرباط.

عوارف المعارف، ص 110.

محمد الجوياني مؤمن، وهو شديد الإيمان؛ ولا يفرغ من أمر النفس مثلي. لو يحفظ هذا الكلام، يكفيه العمر كله، ويغنيه يوم القيامة أيضًا وفوق جسر الصراط حتى يحظى بوصال الحق. وإذا لم يحفظه، عاد إلى أصله، وعاد هذا الكلام أيضًا إلى موضعه.

لقد وصلتُ إلى منزلي

مثل ذلك الشخص الذي قبض عليه العسس، فقال: آه، لو يؤذونني، فإنني لا أحتمل، ولو يستولون على متاعي، فهذا أسوأ. ولو يأخذون درهمًا من الدرويش فكأنهم أزهقوا روحه. من ثم قال لهم: أنا أدلكم على المجلس الذي جلس فيه خمسون شخصًا، من أولئك الذين كنتم تطلبون (أي من المتهمين). قال العسس: إنه يقول الصدق، ماذا يعود علينا من هذا الدرويش؟ تعال، وأرشدنا، أين هم؟ من ثم كان هو أسيرًا لهم. وفي هذا الوقت أصبحوا هم أسرى له، ورافقوه وصحبوه. أخذهم إلى الباب، وقال: اجلسوا هنا، حتى أذهب أنا، وأراهم. لكن لا تتحدثوا أبدًا. فجال بخاطرهم: لو أنه لا ينبغي الحديث، فلماذا تحدث هو؟ الخلاصة: أغلق الباب، واعتلى السطح، وجلس، فوجد أنهم لا يرحلون أبدًا. فقال لهم: إنني لم أجدهم. قالوا: أيها العيار، فعلتَ ما فعلت. نحن أيضًا سنفعل ما نستطيع فعله. فقال: اضربوا رؤوسكم في الحائط. لقد وصلت أنا إلى منزلي، سواء ذهبتم إلى هذه الناحية أو تلك.

وكذلك حين لا يجد القائل الكلام، يذهب الكلام إلى منزله، ويطل برأسه من فوق السطح، ويردد القول نفسه. لو يقول القائل ذلك الكلام، فإنه يتحدث بكلام الغير. فكيف يعجز عن الكلام والإجابة؟ قال: لا يعجز. قال: إننا نريد ألا يجيب بسبب العجز. لا يطيب

الكلام عن النجاة للناس، ويطيب لهم كلام أهل جهنم. الكلام الذي يحض على النجاة، كلام صحيح. لا جرم أننا نلهب الجحيم. لم تكن فاطمة رضي الله عنها عارفة، ولم تكن زاهدة، وكانت تسأل الرسول ﷺ دائمًا عن الجحيم.

المصارعة

كان هناك رجل، كل شخص كان يصارعه، كان يطرحه أرضًا. ولو كان يهوديًّا. بسبب تصاريف القدر طرح ذلك المسكين شخصًا، كان قد جاء ووقف في ذلك المكان، ولم يرد أي صراع أبدًا. ولما طرحه، قفز، وأمسك حلقومه قائلًا: سوف أقتل هذا الرجل. في النهاية ماذا فعل هذا لك؟ إنك حيثما كنت تتصارع، كان العالم بأسره يغلبك. وقد هلك هذا المسكين، فلماذا تنازعه؟ قال: لا، سوف أقتله بلا شك. لماذا؟

قال: أأغلب شخصًا واحدًا طوال عمري، ولا أقتله؟! ذهبوا إلى الملك –كان الملك مهتمًّا بأمره- وقالوا: أبعِده عن هذا المسكين من أجل الله. قال: أحضِروه؛ فأحضَروه. قال: خذ مائة دينار، واتركه. قال: إن كل عضو من ذلك الإنسان يساوي ألف دينار. من ثم كم عضو يملك؟ حين يكون الإنسان مضطرًّا، لا تتضح قيمته.

الحاجة والاستغناء

للإنسان صفتان: إحداهما الحاجة فهو يتمنى ويأمل أن يتحقق المقصود. والصفة الأخرى الاستغناء. فأي رجاء ترجوه من الاستغناء؟ ما نهاية الحاجة؟ إدراك الاستغناء. ما نهاية الطلب؟ إدراك المطلوب. ما نهاية المطلوب؟ إدراك الطالب.

قَدِّم البرهان

قال: أنا كافر وأنت مسلم. المسلم مندرج في الكافر. أين الكافر في العالم حتى أسجد له؟ قل: إنني كافر؛ حتى أقبلك. هؤلاء لا يعرفونني. من ثم من يعبدون في هذا العالم؟ تقول لي: قَدِّم البرهان. يطلبون مني البرهان، يطلبون الحق بالبرهان، لكنهم لا يريدون البرهان. كيف تقبل أنت هذا الكلام؟ وتقول: إنه يطيب لي. حسن وكفى! الرجل هو الذي يهتم بالآخرين، أي رجل هذا الذي يهتم بنفسه؟ ذلك هو أمر الله أن تهتم بالآخرين.

همة مولانا

قالوا: إن فتحًا لم يحدث لنا بتأثير همة مولانا شمس الدين. فقال: الكافر الذي يطلب فتحًا مني، فليدركني، ويحدث له الفتح. إنك لست هو، لكنك مسلم مؤمن، والمسلم قليل الإيذاء، وهو كوكب. على سبيل المثال: آذى قسيس مسلمًا، ودخل بيتك، وقال: لقد فررت من العسس، ووجدتك. فامنحني الأمان. فلا تَقُلْ: يؤذي مسلم مسلمًا، فلا يجد الأمان. لكن فلتمنحه الأمان؛ حتى يرغب في الإسلام. ولو أنك مسلم، لا تقنع بهذا. المسلم بديع، المسلم فريد. يلزم كل مسلم ملحدًا، ويلزم كل ملحد مسلمًا. ما الغرض من الإسلام؟ هناك فائدة في الكفر. إنك لا تجد في المسلم أي أثر للإسلام أو مسلك، وتجد في الملحد سُنة الإسلام. ذلك الذي قال: نهاية المطلوب، الطالب. ينبغي قول الأسمى من ذلك: إنهم لا يفهمون مغزى كلامنا، فتصيبهم الحيرة.

الشيخ والمريد

مع هذا كله، ما دام المريد لم يبلغ الكمال، فإنه لا يأمن الهوى. وليست هناك مصلحة في طرده في نظر الشيخ؛ لأنه يقنط في الحال.

والسم الذي ينفخه الثعبان يكون قاتلًا، يهلك كل شيء يصل إليه. لكن المريد ما دام قد بلغ الكمال، لا تضره غيبة الشيخ بعد ذلك. ﴿وسبحه ليلًا طويلًا﴾(185). يعني ما دام هناك حجاب بين المريد والشيخ، صار الحجاب ذلك الليل. وما دام الظلام قد حل، ينبغي في هذا الوقت أن تجدَّ في التسبيح وتجتهد؛ لينكشف ذلك الحجاب. وكلما تكثر الظلمة، ويزداد استياء الشيخ منك. اجتهد كثيرًا في الخدمة، ولا تحزن، ولا تغتم، ولا تيأس بسبب طول الظلمة. ﴿ليلًا طويلًا﴾ فلما تحل الظلمة، يعقبها النور. مَن ثخن دينه، ثخن بلاؤه، ومَن رق دينه، رق بلاؤه(186). وبقدر الكد تكتسب المعالي(187).

(185) ﴿وسبحه ليلًا طويلًا﴾: سورة الإنسان، جزء من الآية 26.

(186) مَن ثخن دينه، ثخن بلاؤه:

إشارة إلى الحديث: سئل رسول الله ﷺ أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل. يُبتلى الناس على قدر دينهم، فمَن ثخن دينه، اشتد بلاؤه، ومَن ضعف دينه، ضعف بلاؤه. وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس ما عليه خطيئة.

الراوي: سعد بن أبي وقاص. المحدث: الألباني.

المصدر: صحيح الترغيب.

حكم المحدث: صحيح.

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية.

.dorar.net

(187) بقدر الكد تكتسب المعالي: مصراع من بيت الإمام الشافعي:

بقدر الكد تكتسب المعالي

ومَن طلب العلا سهر الليالي

الموسوعة العالمية للشعر العربي. adab.com.

لأنه في ذلك الوقت الذي كان الحجاب قد انكشف فيه يتحرك ذوقه ذلك ونوره، وكل مَن يتأثر بالمحبة والنور يصدق عليه قوله: ﴿ونفختُ فيه من روحي﴾(188). المهم أن ظلامًا يحل وحجابًا

وغربة، ويصير جاهلًا بالحال، ويكتم أنفاسه؛ لأنه لم يكن يستطيع التنفس في تلك المحبة وذلك النور. مهما تفسر النفس، عد نفسك أَبْلَهُ. إن أكثر أهل الجنة البُلْه(189). وأغلب أهل الجحيم من هؤلاء الفلاسفة والعلماء الذين صار ذكاؤهم حجابهم. ويتولد لهم من كل خيال عشرة أخيلة. مثل نسل يأجوج ومأجوج. تارة يقول: لا يوجد سبيل، ويقول تارة أخرى: إن وجد السبيل فإنه بعيد. نعم إن الطريق طويل. لكن حين تسلكه، لا تشعر بطوله من شدة السرور. كما حفت الجنة بالمكاره(190) حول الجنة أشواك لكن تطيب تلك الأشواك بسبب رائحة الجنة التي تفوح، وخبر المعشوق الذي يرد إلى العشاق. وحول أشواك الجحيم ورد ورياحين، لكن رائحة الجحيم تهب، فيبدو ذلك الطريق الحسن سيئًا. لو نصف له حُسنه هذا، فإنه لا يطيق.

(188) ﴿ونفختُ فيه من روحي﴾: سورة الحجر، جزء من الآية 29.

(189) إن أكثر أهل الجنة البُلْه:

عن أنس أن النبي ﷺ قال: أكثر أهل الجنة البله.

رواه البزار، وفيه سلامة بن روح وثقة ابن حبان وغيره، وضعَّفه غير واحد.

علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، أبو الحسن، نور الدين، المصري في كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب أهل الجنة، باب أكثر أهل الجنة البله، حديث رقم 18674، ص 161.

(190) حفت الجنة بالمكاره:

إشارة إلى الحديث: حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات.

الراوي: أنس بن مالك. المحدث: مسلم. المصدر: صحيح مسلم.

خلاصة حكم المحدث: صحيح. الدرر السنية، الموسوعة الحديثية. dorar.net.

المريد الجديد

سأل ابن العلا: ما السعادة؟ فقلت: لقد أنكرتُ حضورك في هذه الساعة. فكان يصيح: إن شاء الله أكون من أهل الجنة. فقلت: ليس قبلي على كل حال، إن شاء الله. لقد عُلِّمْتُ ذلك تمامًا منذ مدة طويلة، وتجاوزت المعلوم. وانقضى الحال. لكن ذلك المريد الجديد هو طالب جديد، منشغل بالأسباب والعلامات. فجأة يعتريه الغم، ولا يسره الخبر، فيعجز. ويحل عليه الفتح والسرور بغتة. تلك هي البشارة الحسنة التي يُبَشَّر بها. ذلك الذي قاله لذلك الشخص وفحواه: إن غليانًا بداخله. فقد قال هذا لأنه حين يغضب، يصيبه اليأس. وإذا كان هذا الشيخ مطلعًا على حاله، لماذا كان يشهد هذه الشهادة الزائفة؟ أنا أرى أنه لا يضطرب، ولم أشعر باضطرابه. ربما تحدث ذلك الشيخ بسبب نقصان العلم، وربما ظن أنه يشتهر بهذا، ويجوز أنه قال ذلك: لأنه سوف يفزع من هذا. وربما تحدث قاصدًا.

معنى القرآن

لا يفسر هؤلاء الأئمة معنى ظاهر القرآن تفسيرًا صحيحًا؛ لأن معنى ظاهر القرآن يمكن معرفته وإدراكه بنور الإيمان لا بنار الهوى. إنهم إذا كانوا يحظون بنور الإيمان، فكيف يمنحون عدة آلاف من الدراهم، لكي يتولون القضاء والمناصب؟ أيدفع شخص الذهب، ويشتري ثعبانًا من الحاوي؟ وليس ذلك الثعبان ثعبانًا غير سام، بل إنه من الثعابين الجبلية السامة. ذلك الشخص الذي يتعفف عن القضاء والمناصب. ما دام يتعفف من أجل الله، لا لأسباب أخرى، يكون ذلك من نور الإيمان. وما دام قد عرف الثعبان، فقد عرف الصديق.

تكشف عروس القرآن النقاب في ذلك الوقت الذي ترى فيه دار ملك الإيمان مجردًا من الغوغاء.

هذا الرجل الذي قال هذا، قد جرَّد نفسه من نفسه يا للعجب! وكلامه كلام الله، وكلام الله كامل وتام.

السكر والصحو(191)

(191) السكر والصحو: السكر غيبة بوارد قوي. فما هو غيبة. إلا عن كل ما يناقض السرور والطرب والفرح. أما الصحو فرجوع إلى الإحساس بعد الغيبة. والسكر سمة أصحاب المواجد، بل هو درجة من درجات الوجد. فقد قال الواسطي: مقامات الوجد أربعة: الذهول، ثم الحيرة، ثم السكر، ثم الصحو. والصحو العود إلى ترتيب الأفعال وتهذيب الأقوال. ومتى عاد كل شيء منه إلى مستقره، فهو صاح، والصحو للمكاشفين بحقائق الغيوب.

د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص 100، 108.

ما دام هذا العنب لم ينضج بعد. يحفظوه من الغيم والشمس حتى لا يحترق. ما إن ينضج، لا تضيره الشمس بعد ذلك أبدًا. وما دام لم ينضج، يخاف عليه البستاني من البرودة. وما دام قد نضج، وصار حلوًا، يُترك تحت البرد. هذا الإنسان الكامل غارق في نور الله، وثمل بلذة الحق، لا ينبغي له مرشد. ولأنه ثمل، كيف يوقظ شخصًا آخر. بعد هذا السُّكر صُحو كما شرحنا. الرجل الذي اعتراه حال الصحو، يسبق لطفه قهره. والثمل لم يدرك ذلك الصحو؛ فيتساوى لطفه مع قهره. ولكن ذاته اللطف كله. من ثم

اللطف غالب. يوحي للنبي ﷺ بواسطة جبريل، وبوحي القلب أيضًا. ويكون هذا سواء عند الولي.

من نحن؟

قال رسول الله ﷺ لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل(192) لم أتحدث عن الطريق. فيقول ذلك الأرمني: طوبى لذلك الشخص الذي يصحبك طوال اليوم. ويقول ذلك الكافر الآخر: ما هذا الذي تقوله؟ من ثم كل هؤلاء الناس ونحن بقر وحمير وحيوانات! من هذا القبيل: الحق ينطق على لسان عمر(193).

(192) قال ﷺ: لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبيٌّ مرسل.

حديث لا أصل له.

الدرر السنية. dorar.net.

(193) الحق ينطق على لسان عمر:

إشارة إلى الحديث: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، وقال ابن عمر: ما نزل بالناس أمر قط، فقالوا فيه، وقال فيه

عمر، أو قال ابن الخطاب فيه شك خارجة إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر.

الراوي: عبد الله بن عمر. المحدث: الترمذي. المصدر: سنن الترمذي.

خلاصة حكم المحدث: صحيح. الدرر السنية. dorar.net.

السير على وجه الماء

ما دام المرء قد سقط في البحر، مهما يحاول النجاة يجعله البحر مضطربًا. ولو يكون أسدًا، يعد نفسه ميتًا. وعادة البحر هي: أن يبتلعه ما دام هو حيّ، حتى يغرق ويموت. وما دام قد غرق، ومات. يرفعه البحر ويحمله. من ثم فإنه يعد نفسه ميتًا منذ البداية، ويمضي مسرورًا فوق وجه الماء.

بجوار البحر

مَن أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على الأرض فلينظر إلى أبي بكر الصديق(194). تحرر من العالم الكدر، وأقام بجوار البحر اللطيف البهيج. ذلك البحر عبد من عباد الله. إذا لم يُصِبْكَ هذا كله. فلو أنه لم يحدث في هذه الساعة، فإنه سوف يحدث في المستقبل.

(194) عدَّ الإمام عبد الوهاب الشعراني م 973 م قوله ﷺ: مَن أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على الأرض، فلينظر إلى أبي بكر الصديق. إشارة إلى الموت المعنوي لأن أبا بكر كان ميتًا في حياته عن حركاته وسكناته النفسانية كلها، وكان حاله مع الله في حياته كحاله معه في عدمه.

انظر: اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، ضبطه وصححه الشيخ عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الجزء الأول، ص 412.

الكيميائي

إن وجودي كيميائي، فليست هناك حاجة لصهر النحاس. إنه يعادل النحاس. فيصير ذهبًا. وعلى هذا النحو يكون كمال الكيمياء.

الخرقة والقباء

إن لله عبادًا بمجرد أن يشاهدوا شخصًا ارتدى رداء الصلاح والخرقة. يحكمون عليه بالصلاح. وما داموا قد رأوا شخصًا مرتديًا القباء والعمامة، يحكمون عليه بالفساد. وهناك قوم آخرون ينظرون بنور جلال الله، ويجتنبون النزاع، ويتعففون عن الجاه. إنك تخلع الخرقة عن رجل، فتجده يستحق الجحيم. يجلس ذلك الشخص في محراب الصلاة مشغولًا بأمر ما. وذلك الذي يزني في الخرابات، يفضله في العمل.

نور على نور

الغيبة أشد من الزنا(195)، لو يثبت على شخص ذلك الزنا. يقيمون عليه الحد، ويتحلل. ولو يتوب، ﴿يُبَدِّلُ اللهُ سَيئَاتِهِم﴾(196) حسنات. لكنه لو يرتاض، إلى حد أنه يطير في الهواء بسبب اللطف، فإنه لا يتحلل. ولو يرتدي شخص لباس الصلاح، ويتصف بالصلاح أيضًا، يتحقق معنى: ﴿نورٌ على نور﴾(197).

(195) الغيبة أشد من الزنا:

إشارة إلى الحديث: الغيبة أشد من الزنا، قالوا: يا رسول الله، وكيف الغيبة أشد من الزنا؟ قال: إن الرجل ليزني، فيتوب؛ فيتوب الله عليه وفي رواية حمزة: فيتوب؛ فيغفر له. وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفرها له صاحبه.

الراوي: أبو سعيد الخدري وجابر بن عبد الله.

المحدث: البيهقي. المصدر: شعب الإيمان. خلاصة حكم المحدث: إسناده ضعيف.

الدرر السنية. dorar.net.

(196) ﴿يُبَدِّلُ اللهُ سيئاتهم حسنات﴾: سورة الفرقان، جزء من الآية 70.

(197) ﴿نورٌ على نور﴾: سورة النور، جزء من الآية 35.

خفقان القلب

إنني لا أرى منزلتي في قلبك كما رأيتها في البداية. فأدعو الله أن يخفق لي قلبك. وأوصي الرفاق قائلًا: ادعوا، وسيحدث أمر بعد هذا. ما دامت النصيحة غير ممكنة، فقد قلت في العالم: ﴿سلامٌ عليك سأستغفرُ لكَ ربي﴾(198). كما حذر الأبُ الخليلَ قائلًا: لا تنصحني مرة أخرى ﴿لئن لم تنتَهِ لأرجُمَنَّكَ﴾(199).

(198) ﴿سلامٌ عليك سأستغفرُ لكَ ربي﴾: سورة مريم، جزء من الآية 47.

(199) ﴿لئن لم تنتَهِ لأرجُمَنَّكَ﴾: سورة مريم، جزء من الآية 46.

حديث العارفين

تحدثتُ بحديث العارفين. فيقول ذلك الدرويش: نحن نعشق العارفين دائمًا. قلتُ: من ثم مَن المعروف؟ قال: حالك حال المعشوق. قلت: من ثم لا يسري الحكم على المعشوق، فكيف حكمت بهذا؟ قال: لقد حكمتُ بذلك الحكم على فلان بالمعنى، لا عليك. قلتُ: ألم تقل يومًا إنني لستُ شعرة على جسده؟ قال هو كذلك، لكن الحال يقتضي هذا.

المريد والعبادة

كل صاحب لنا ينبغي عليه أن يتعبد أكثر مما كان يتعبد في البداية. وإلا لا أسميه صاحبًا.

الصدقة الخفية

الصدقة التي لا يراك الغير وأنت تتصدق بها أفضل. على الأقل حين يرى الغير الصدقة يحسدها.

في العجلة الندامة

الأمر الذي يأمر به الشيخ، يعد مثل الجوز، يثمر بلا شك، ولا يخطئ. قد يفسد بعضه، ولا يثمر. فيعيِّبون الشيخ. إنه يتصرف من تلقاء نفسه فيما أمره به. ويظن أنه ينجز عملًا بسرعة. فيبتعد العمل القريب مائة فرسخًا. إن العجلة والتخفيف في بداية وقت العمل سبب فوات مائة تخفيف. لو يعلم الطفل أنه يتصرف تصرفات طفولية؛ لما كان يفعلها أبدًا.

كل امرئ في نفسه عاقل

يا ليت شعري فمن الجاهل

لا أفرض أنك تخليت عن العجب في النهاية

فذلك المعشوق الذي كان يتخلى عن العجب باق

لا مجال للضحك!

يرى شخص لنفسه فضيلة على آخر، فيسر. مثل ذلك الشخص الذي كان يقول: إن فلانة زوجة المتوفي، كانت تضحك على الغسال. قال الحكيم: كانت تضحك على زوجها، وإلا فأي مجال للضحك في ذلك المقام؟

عذر غير مقبول

لقد أمرتك أمرًا، فلماذا لم تطعه؟ قال: إنني قدمت عذري. قال: إنني لم أقبل ذلك العذر. وسلكتُ سبيل النفاق. وكنت أُبطن: أنك ستفعل ما قلته لك؛ حتى تتخلص من الألم. ما دمنا لا نخلصك من هذا الألم في هذا العالم، حتى يُسر باطنك، ويحل عليه الفتح، ويعتريه الذوق. فكيف يتأتى مني العون في ذلك العالم، وقد ابتلى كل شخص بجرحه؟!

الكلام المفيد

طعن الشيخ في الوعظ قائلًا: ما الوعظ؟ أن يخطب خطبتين أو ثلاثًا فوق المنبر، ويحرك رأسه ويديه. لماذا لا يعظ نفسه؟ لماذا لا يعظ أولاده؟ حتى لا يفعلوا كذلك حاشا لله. ولماذا لا يعظ زوجته، حاشا وكلا.

لا ينشغل مولانا بالوعظ، ويقول ما يقول بإشارة الحق، وبشفاعة أهل الحق. ولا يعوِّل على وعظ الشيخ. لو يقولون لطبيب: فلتعالج هذا المريض. أقول: لماذا لم تعالج أباك؛ فمات؟ ولماذا لم تعالج ابنك؟ ويقولون للمصطفى: لماذا لم تهد عمك أبا لهب، وتخرجه من الظلمة؟ يجيب: هناك آلام لا تقبل العلاج، وانشغال الطبيب بها جهل، وهناك آلام تقبل العلاج، وتركها قسوة.

يزرع رجل شيئًا في أرض. فيقولون له: لماذا لم تزرعه في تلك الأرض حيث يوجد بيتك. فيقول لأنها أرض بور، لا تصلح للزراعة. إن كلامي ذلك لا يضر أبدًا بل يفيد. لكن أي منفعة في العالم، لا يحرم منها قوم؟

العيب فيك!

لو يبدو ماء النيل دمًا في نظر المصري. فلا يكون العيب في ماء النيل. وإذا لم يطرب منكر لصوت داود. ويبدو صوته منكرًا في نظره، فلا يكون العيب في ذلك الصوت.

ما ضر شمسًا أشرقت بنورهـــا

جمود حسود وهو عن نورهـــا عمـــي

لا يعتريك حال، وتنكر قولي، فتخلص من هذا الحال، واحترم كلامي حتى تصبح محترمًا. وربما أثبتَ صحة ما ادعيته من الإيمان والاعتقاد، وبرهنتَ على فطنتك وفطنة آبائك. وكانت الحرمات والخدمات التي أديتها من قبل على ضلالة. وربما ضلَّلت الآخرين أيضًا. وعلى العكس حين تسيء الأدب، وتستهين بي، تكون حقيرًا. وربما قدمتُ الدليل على ضلالك وفسادك.

وقد كان هذا مستحقًّا للتحقير، فلماذا بجَّلوه؟

موافقة الشيخ

إنني أخشى أن تكون غافلًا عن وخامة الفراق في هذه الساعة. وقد نمت هانئًا في ظلال الشفقة، تتحرك فتنقطع الشفقة. بعد ذلك ترى هذه الحالة في المنام، ولا ترى الشيخ في المنام؛ لأن رؤية الشيخ لا يمكن أن تحدث من دون إرادة الشيخ لا في المنام ولا في اليقظة. وتبقى محجوبًا بمجرد رجاء، أي أن رجاءك منقطع عن الأسباب.

مثل أمنية عقيم يتمنى أن يرزقه الله بولد. هذه أمنية الشاب الفحل المتزوج من شابة. كيف تقارن تلك الأمنية بهذه الأمنية؟ هذا العقم والعجز بسبب انقطاع شفقة الشيخ. وا حسرتاه على ذلك العاجز الذي يؤول عمله إلى ياسين. يعني يعتريه الذوق لما ينافقه الشيخ، ويقول له قولًا لطيفًا رقيقًا، ويُسر في ذلك الوقت وهو لا يعلم أن الخوف كامن هناك. لكن حين يتحدث الملك بتهور وغلظة، فليس هناك أي خوف، ما دام يتحدث بما يتناسب مع مكانته.

إذا رأيت نيوب الليث بارزة

فلا تظنَّنَّ أن الليث مبتسمُ

واحذر الملوك في حال الإكرام.

كنت أقول كلامًا في المنام، كان الشيخ يكرره عليَّ قولًا قولًا. إن عدم تصديق الشيخ في الفعل أو في القول هو سبب الانقطاع. عجبًا لأي غرض لا يصدق؟ حتى يضع ذلك الغرض في كف يد، ويضع ما يرجوه من الشيخ في كف اليد الأخرى، ويرى أيعادل هذا ذاك. للشيخ عالم عظيم مفعم بالذوق. وقد انشغل به تمامًا. المريد لا ينشغل بمثل هذا العيش. إضافة إلى هذا كيف تتحقق الموافقة والشفقة؟

نفس واحدة في أبدان متفرقة

مثل أولئك الصوفية العشرة. وقد عشق صوفي منهم غلام مسيحي؛ فكان يتعقبه في الكنيسة وغيرها. أدرك غلام المسيحي ذلك فقال: لماذا تلاحقني؟ فشرح له حاله. قال غلام المسيحي: نحن ننفر من رؤية غير أهل ملتنا. فكيف تطمع في القرب مني؟ لم يجد الصوفي وسيلة، فمضى بسرعة، وودع الأصحاب. قالوا: خير. فقصَّ القصة، وقال: سأذهب لأشتري زنارًا. قالوا: نحن نتفق معك أيضًا ولنشتري عشرة زنانير، ونعقدها على أواسطنا، في النهاية، مثل نفس واحدة في أبدان متفرقة. لما رآهم غلام المسيحي، سألهم عن هذا الحال، فقصوا القصة قائلين: إننا نفس واحدة. اشتعلت نار في قلب غلام المسيحي، فقطع زناره، وقال: أنا عبد مثل هؤلاء القوم الذين يخلص بعضهم لبعض هذا الإخلاص، إنني لم أَرَ هذا الوفاء في أي ملة. تجمع أقارب غلام المسيحي وأبوه، ولاموه قائلين: أتفسد دينك بخداع الصوفية؟ قال: لو أنكم ترون ما أراه، لبالغتم في عشقهم.

المرآة المصقولة

كل مَن يحظى بالسعادة، تكون النصيحة بالنسبة إليه بمثابة الصقل على وجه المرآة. وكل مَن لا يحظى بالسعادة، تغضبه النصيحة، وتزيد صدأ مرآته. ولا توجد مرآة يزداد صدؤها بالصقل إلا في الخيال.

أيها الحبيب، انظر، فقد بقي في رمق

من ثم أحزن لحالي، فقد بقيت الشفقة في النهاية

أنت المقصود

كان ينبغي عليَّ أن أعلمه العشق. كان يقول: ألقيت حجرًا في البئر في ذلك اليوم في آقسرا بالقرب من ذلك الرباط. ألم تذكر شيئًا قط؟ إنني كنت أذكر الكثير. ذلك الذي قلته، جعلتهم في حل منه. كنت أنت المقصود، أي شأن لي بهم؟

ينبغي الإحسان إلى الضيف في وقتين: أحدهما: وقت الرحيل. يعني أنك أحسنت إليه في البداية. ومنذ ذلك الوقت حتى الأبد له حكم الرحيل.

اشترِ جحشًا

استغفرت إن لك في كل يوم استغفارًا. مثل حكاية شقيق ذلك اللوطيّ الذي في كل مرة كانوا يقبضون عليه فيها، كانوا يطوفون به حول المدينة. وقد أنزلوا أحمال جحش أخيه، وكانوا يجلسونه عليه. فقال له أخوه يومًا: أيها الأخ، إنني أرى أنك ستداوم على هذا العمل، من ثم ينبغي لك أن تشتري جحشًا.

المهارة في الصنعة

الفرق بيني وبين المشايخ: أنني أظهر ما أبطن، وقد وهبني الله القدرة على الجلوس مع الغريب، والصديق يكون أولى. الشخص الذي يجد منفعة في طريق معين، فليتمسك بذلك الطريق.

كل شخص يحتار في أمره

الأفضل له أن يدرك الموضوع من بدايته

يعني يسلك الطريق مجردًا، ويعاون الصديق المخلص، ويرى خصمه جاهلًا وأبْلَهَ.

كان أبو بكر الربابي قد سمع عن صيت جحا، والتقيا ذات يوم، ولم يعرف أحدهما الآخر. فسرقا من شخص حماره وثيابه وكيسه. علق ذلك الشخص طبلًا في رقبته بسبب الغصة قائلًا: سرقاني. فسلباه طبله ذلك، وهكذا كان يبدي كلاهما مهارته في صنعته للآخر. كلما كان يظهر هذا مهارة، كان يظهر ذاك مهارة أخرى في اللصوصية تفوق مهارته. حتى قال أبو بكر يومًا: مَن أنت يا مَن تحظى بهذه المهارة؟ فقال: جحا. قال: صدقت. كذلك التقى صاحب قلب فقيرين. فيعظم ذاك، لأنه بلغ المقاصد بذلك.

ويعلم الآخر ما يقوله، ومجافاته إلا أنه يعلم أن طريق السعادة هو تحمل الجفاء، ويرى طريق السعادة أكثر وضوحًا من قرص الشمس، ويعرف ذلك(200).

(200) الأصل العربي للحكاية:

حكاية بو بكر ربابي حين لقي الجوحي وأحدهما لا يعرف صاحبه أنه هو، إلا أنه عرف أن هذا أيضًا محتال، فسرقا من رجل حمارًا وكيسًا وثيابه؛ حتى جن، وكان يضرب الطبل ويدور. فسرقا الطبل. ثم كان كل ما كان يغلب أحدهما صاحبه بشيء، يعقبه الآخر يغلبه؛ حتى قال له: من أنت؟ فقال: أنا جوحي. قال: صدقت. فكذا لما التقى الفقيرين صاحب قلب كل واحد منهما، هذا يعظم لأنه يعرف أنه حصل به هذا المقصود، ذاك أيضًا يعرف، إلا أنه إنما يأتيه بما يكره. لأنه عرف طريق السعادة، وهو أعرف بطريق السعادة من الشمس الطالع، حتى يأتي بذلك، وهذا يتمنع عليه في بعض الأحوال.

نقلًا عن: مقالات شمس تبريز، تصحيح محمد علي موحد، ص 354.

وأبو بكر الربابي وجحا من الشخصيات الأسطورية التي يُضرب بها المثل في السخرية والهزل والمطايبة.

انظر: السابق، ص 474.

هات يدك

ذلك الذي ينفر من الجفاء، يشبه ذلك النحوي الذي كان قد سقط في كوّة مملوءة بالنجاسة. فجاءه شخص وقال: هات يدك. ولم يقلها معربة، وجزم الكاف. فغضب النحوي، وقال: اعبر، إنك لست من أهلي. جاء آخر، وقال مثلما قال ذلك الشخص. فغضب النحوي، وقال: اعبر، لست من أهلي. وعلى هذا النحو كانوا يأتون. وكان يرى ذلك القدر من التفاوت في النحو، ولم يكن يرى بقاءه في القذارة. وعلى هذا النحو كان قد مكث طوال الليل حتى الصبح في تلك القذارة في قعر المزبلة. ولم يكن يمسك بيد أحد أو يعطي يده إلى أحد. لما طلع النهار، جاء رجل، وقال: يا أبا عمر، قد وقعت في القذر. قال: خذ بيدي فإنك من أهلي. وأعطاه يده. لم يكن الرجل قويًّا، فلما سحبه، سقط كلاهما في الكوة(201).

(201) الأصل العربي للحكاية: كما قال العابر هات يدك للأعمى النحوي الواقع في كوة. قال: اعبر، أنت لست من أهلي. قال الآخر: هات يدك. أجاب كذلك، هكذا حتى مكث إلى الصباح في قعر المزبلة، وما أعطى إليه يده، حتى جاء آخر، وقال: يا أبا عمر، قد وقعت في القذر. فقال: خذي بيدي وأنت من أهلي.

نقلًا عن: مقالات شمس تبريز، تصحيح محمد علي موحد، ص 354.

أي حال اعتراك؟

يعتري شخص حال بسبب صوت، لأن هذا الصوت يشبه صوت فلان، وهو لا يعلم حقيقة الصوت. وآخر يعتريه حال على سبيل الموافقة، وهو لا يعلم ما الموافقة؟ مثلما سمع ذلك النحوي من مغنٍّ: في كل عشيةٍ وفي إشراقَ. فمزق قميصه وأخذ يصيح، حتى تجمع الخلق حوله في محفل. وقد تحير القاضي في أمره قائلًا: إن هذا الرجل لم يكن من أهل الحال أبدًا. ويظن المغني أنه يستحسن صوته. فيكرر الغناء. ويصيح النحوي، ويشير إلى الخلق قائلًا: استمعوا أيها المسلمون؛ فيظنون أنه ربما يسمع صوتًا عجيبًا من الغيب، وينبهنا. لما طال النهار وفرغوا. كان النحوي قد مزق ثيابه، ورماها، وصار عاريًا. تجمعوا حوله، ونثروا عليه الماء وماء الورد، لما هدأ، أخذ القاضي بيده، وأدخله الخلوة، وقال له: استحلفك بروحي ورأسي أن تقول الصدق، من أين لك هذا الحال؟ قال: لماذا لا يعتريني حال وألف حال؟ ومنذ عهد آدم حتى عهد نوح، ومنذ عهد إبراهيم الخليل حتى عهد محمد ﷺ، كان حرف «في» يجر الأسماء، وهو ينصبها في هذه الساعة(202).

(202) الأصل العربي للحكاية:

كالذي أخذه الحال حين قال المغني: في كل عشية وفي إشراق، مزق النحوي قميصه، وصاح عشر صيحات متتابعات، واجتمعوا الناس عليه في محفل القاضي، والقاضي تحير فيه، إن هذا ليس من أهل الحال والذوق، يقول: اسمعوا، أما تستمعون؟ إيش يقول، يا مسلمين، استمعوا. ويقول للمغني: اعد، ويصيح ويمزق ثيابه وقميصه وجبته، ويقول: اعد، اعد. ففي الآخر، لما فرغوا أخذ القاضي بيده في الخلوة، يقول: بحياة رأسي، هاتوه إلى هيهنا. قال: من أين لك هذا الحال؟ قال: كيف لا يأخذني ألف حال، وحرف «في» من خصايص حرف الجر، وهذا الحرف من وقت آدم كان يجر الأسماء إلى الساعة، والساعة ينصب الاسم، بقي في الدنيا خير.

نقلًا عن: مقالات شمس تبريز، تصحيح محمد على موحد، ص 355.

من ثم لما يعتري حال على هذا النحو كل شخص من أجل غرض فاسد. فإنه لو يبذل تلك القوة في الحقيقة لغرض باق وحياة خالدة، كيف يكون ذلك الذوق؟ تلك

القوة ثروة. مَن اشترى ما لا يحتاج إليه، فقد باع ما يحتاج إليه(203).

(203) مَن اشترى ما لا يحتاج إليه، فقد باع ما يحتاج إليه.

مقولة لابن عباس.

ابن عبد البر: بهجة المجالس وأنس المجالس، جـ 1، ص 24.

www.islamport.com.

يقول شخص في عينيه دمع وغبار: عالجوا هذا الداء. فيمضون ويقولون: نحن مشغولون. إننا نرتق النعال المهترئة. إنني حين انتعلُ ذلك النعل المهترئ في الحمام، تكون هذه هي أهميته بالنسبة لي. يقولون: لا، إن له فوائد أخرى.

النظرة الأولى

كان واعظ يحرض الخلق على الخطبة والزواج، ويروي الأحاديث، ويحث النساء على الزواج من فوق المنبر. ويشجع الرجل المتزوج على الوساطة والسعي لدى الأهل. وكان يروي الأحاديث، ومن كثرة ما تحدث، نهض رجل، وقال: الصوفي ابن الوقت. أنا رجل غريب، وتلزمني زوجة. التفت الواعظ إلى النساء وقال: أيتها النساء، هل توجد بينكن امرأة ترغب في ذلك؟ قلن: بلى. قال: فلتنهض، وتتقدم. نهضت امرأة وتقدمت. قال لها: اكشفي عن وجهكِ حتى يراكِ. هذه هي سنة الرسول ﷺ، أن ينظروا نظرة قبل النكاح. كشفت المرأة عن وجهها؛ فقال: انظر أيها الشاب. قال: نظرت. قال: أهي مناسبة لك؟ قال: نعم. قال: أيتها المرأة، ماذا تملكين من متاع الدنيا؟ قالت: أملك جحشًا. يعمل بالسقاية تارة، ويحمل القمح إلى الطاحون تارة أخرى، ويأتي بالحطب، ويمنحني أجرته. قال الواعظ: يبدو هذا الشاب أصيلًا متميزًا، ولا يستطيع أن يعمل مكاريًّا. أتوجد امرأة أخرى؟ قلن: نعم. وعلى هذا النحو تقدمت امرأة أخرى، وكشفت عن وجهها. قال الشاب: لقد أعجبتني. قال الواعظ: ماذا تملكين؟ قالت: أملك ثورًا، يرفع الماء تارة، ويحرث الأرض تارة أخرى، ويجر العربة أحيانًا. وسيحصل على نصيب من أجرته. قال: هذا الشاب متميز، ولا يليق به رعي البقر. أهناك امرأة أخرى؟ قلن:

نعم. قال: فلتتقدم. تقدمت؛ فقال: ماذا تملكين من الأسباب؟ قالت: عندي بستان. التفت الواعظ إلى هذا الشاب وقال: الاختيار لك الآن، اقبل الأنسب لك من هؤلاء الثلاثة. أطرق ذلك الشاب. فقال الواعظ: قل بسرعة، أيهن تريد؟ قال: أريد أن أركب الحمار، وأسوق الثور، وأذهب إلى البستان. قال: بلى، ولكنك لست لطيفًا إلى الدرجة التي تجعل الثلاثة يرضين بك.

لقد حان الوقت

كان صوفي طالب يكثر من المجاهدة لسنوات، وكان يخدم المشايخ وغير المشايخ على أمل ما. لكن الوقت لم يحن بعد لتحقيقه.

ما دام لم يحن موعد أي أمر كان

فلا يفيدك عون أي رفيق كان

وبعد أن بلغ سن الشيخوخة واليأس، كان قد ذهب إلى المقابر يومًا، وكان يتذكر أمانيه، وبكى كثيرًا، ووضع لبنة تحت رأسه، ونام. فانفرج أمره أثناء النوم. وتحقق مراده. فنهض، وكان يضع تلك اللبنة على رأسه ووجهه، وكان يحملها معه كلما ذهب إلى ضيافة أو مسجد أو مستراح أو حمام أو متنزه أو زيارة أو سماع أو سوق. وكان الرجل اللطيف الضعيف يضع تلك اللبنة تحت إبطه. قالوا له: لماذا لا تضع تلك اللبنة في زاوية وتتركها؟ قال: ستكون معي في القبر أيضًا؛ لأنني كنت قد فقدت شيئًا مدة طويلة، ويئست، وعاد الأمل لي مرة أخرى، ثم يئست آلاف المرات. وذات يوم وضعت رأسي فوق هذه اللبنة، فوجدت ذلك الشيء.

* * *

الزم صحبتنا

قال النبي ﷺ: مَن بورك له في شيء، فليلزمه(204). لو يمكرون، ما دمنا نعلم زُر غِبًّا(205) حتى فليلزمه. نقول: قال الرسول ﷺ ذلك في حق أبي هريرة وأمثاله. وكان قد نتج عن الصحبة في نظرهم انعدام الأدب والملال. ولم يقل ذلك أبدًا في حق أبي بكر. ولم يدعه يغزو؛ فيغيب عن الرسول ﷺ، وينشغل بالغزو. ذات يوم هاجم مبارز من قبل الكفار الصحابة في حرب، فتقهقروا في ميدان القتال، ولم يكن أي شخص يتقدم إليه. سألوا عن السبب؛ فالمقاتلون ﴿كَأَنَّهُم بُنيانٌ مَرْصُوصٌ﴾(206). والفدائيون يتمنون الموت. فتمنوا الموت. وهم يطلبون الموت كما يطلب الشاعر القافية، ويتمنى المريض الصحة، ويرغب المحبوس في الخلاص، والأطفال في قوس قزح. فلماذا هذا الكر والفر؟ ومِن مَن؟ قالوا: حفاظًا على الأرواح من المبارز الذي أغار في الميدان. إنه ابن أبي بكر الصديق وقرة عينه. يخجل الصحابة أن يتقدموا إليه. سمع أبو بكر الصديق هذا الكلام، وكان مع الرسول في العريش. فسأل: ما هذه الجلبة؟ قالوا: إنه ابنك، وقد أغار. فجلس في الحال، وقال في الميدان: أنا بريء منكم. لما رأى الابن وجه أبيه، عاد. وعاد الصديق أيضًا. وضع الرسول ﷺ يده المباركة على كتف الصديق، وقال: ادخر لنا نفسك يا صديق. يعني لا قيمة للنفس عندك، لكنَّ لها قدرًا عظيمًا عندنا؛

فاحفظها من أجلنا، ولا تقدم على الحرب أبدًا، ولا تخرج للغزو، والزم صحبتنا. من ثم كيف يقول له زُرْ غِبًّا؟ الغزو فريضة على المؤمنين الآخرين، وأعز الطاعات. وهو معصية في حق الصديق؛ حسنات الأبرار سيئات المقربين.

(204) من بورك له في شيء، فليلزمه:

إشارة إلى حديث مأثور عن بعض السلف أورده السخاوي في المقاصد الحسنة بلفظ: مَن أصاب من شيء فليلزمه. وعزاه لابن ماجه، وقال: والذي على الألسنة معناه: وهو مَن بورك له في شيء فليلزمه.

د. عبد الرحمن بن عبد الجبار الفروائي: شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الجزء الرابع، باب ما روى فيمن بورك له في شيء فليزمه، ص 488.

(205) زُرْ غِبًّا:

إشارة إلى الحديث: حدثنا القاسم بن زكريا المطرز، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا القاسم ابن غصن، عن عبد الرحمن بن إسحق، عن النعمان بن سعد، عن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: زر غِبًّا تزدد حبًّا.

جامع السنة وشروحها، حديث رقم 14.

hadithportal.com.

(206) ﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾: سورة الصف، جزء من الآية 4.

صاحب القلعة

ما دامت القلعة ملك متمرد، كان هدمها واجبًا، ويستوجب الخلعة. ويكون تعميرها خيانة ومعصية. وما داموا قد استردوا القلعة من المتمرد، ودخلها علماء الملك. من ثم يكون هدمها وتخريبها غدرًا وخيانة، وتعميرها فرض عين وطاعة وخدمة.

بدا التسبيح والدين والصومعة سنة الزهد

وبدا الزنار والكفر والحان قوام العشق

لا يصير عبد الحق مسلمًا على حق

ما لم يَصِرْ الإيمان كفرًا والكفر إيمانًـا بالنسبة له

حقيقة الأشياء

إن التحدث أمام بليغ وقاحة، إلا على سبيل التوضيح. مثلما يحملون النقد إلى الصراف، ويقولون له: افصل المزيف. لكن لو يكون الصراف عاشقًا ومحبًّا للمتحدث أو مريدًا له؛ تبدو له جميع سيئاته حسنات، ويبدو له زيفه ذهبًا. حبك الشيء يعمي ويصم(207).

(207) حبك الشيء يعمي ويصم:

قال الحافظ صلاح الدين العلائي: هذا الحديث ضعيف لا ينتهي إلى درجة الحسن أصلًا، ولا يقال فيه موضوع.

وورد الحديث على هذا النحو: حدثنا ابن شريح، حدثنا بقية عن أبي بكر بن أبي مريم عن خالد بن محمد الثقفي عن بلال بن أبي الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ، قال: حبك الشيء يعمي ويصم.

عون المعبود، جـ 14، أبواب النوم، باب في الهوى، ص 31.

.islamwab.net

ويكون هو نفسه عاشقًا لحلاوة حديثه. أجبنا على ذلك بأن العشاق جميعهم على هذا النحو. يرون كل شيء على حقيقته؛ لأنهم ينظرون بنور الحق. المؤمن ينظر بنور الله(208) وهم جميعًا لا يعيبون العاشق، كما قال: ﴿لا أحبُّ الآفلين﴾(209).

(208) المؤمن ينظر بنور الله:

قال أبو حفص النيسابوري: ليس لأحد أن يدعي الفراسة. ولكن يتقي الفراسة من الغير؛ لأن النبي ﷺ قال: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله.

موسوعة الأخلاق، الأخلاق المحمودة، الفراسة، الدرر السنية.

.dorar.net

(209) ﴿لا أحب الآفلين﴾: سورة الأنعام، جزء من الآية 76.

الحسن القابل للزوال

عشق الرجال له محال

فساد العالم

كل فساد حدث في العالم، إنما حدث لأن الجميع -فردًا فردًا- آمن بالتقليد(210)، أو أنكر التقليد. وقد تألم ذلك العزيز. ولم يعلموا أنه عزيز إلا بالتقليد، والتقليد يكون بحماس تارة وبفتور تارة أخرى. وكيف يليق التقليد بمسلم؟

(210) التقليد: التقليد في اصطلاح الأصوليين هو أخذ قول الغير من غير معرفة دليله، وهو تشبه العامي من المسلمين بما يفعل ويحكم به شيخه من أحكام الدين في ما لم يعلمه. وقد حدثت ظاهرة التقليد في أوائل القرن الرابع الهجري، وكان التمذهب بمذاهب الأئمة الأربعة بعد انقراض عصر الأئمة الذين هجروا التقليد ولم يعتدوا به، وقد أحدث عوام المقلدة هذه المذاهب لأنفسهم من دون أن يأذن بها إمام من الأئمة المجتهدين.

.ar.m.wikipedia.org

لما أصابه ألم، وهو عزيز في الأمر نفسه. كان ذلك بسبب فساد العالم: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ ربهم فأخذهم﴾(211). قال: هذا حسن. لكن إذا اعتقد شخص في التقليد في البداية، وكان يتواري خلف حجاب الظن، وكُشف الحجاب في النهاية. بمجرد أن كشف

الحجاب، كثرت الحجب. واعتقد ذلك، ولكنه لا يظهر؛ حتى لا يسيء الخلق الظن به، ويفقدون الثقة فيه. وقال: ولكن لو لا يُظهر، فإنه يضلل الناس. قال: كيف يظهر؟ وهو لا يثق بنفسه. خلاصة القول: لو يظهر فإنه يؤول، وإذا لم يظهر فإنه يؤول أيضًا. هكذا قال درويش. ومولانا يعرف أن ذلك الدرويش ليس ممن يلقون الكلام جزافًا. مضى هذا.

(211) ﴿فعصوا رسول ربهم فأخذهم﴾: سورة الحاقة، جزء من الآية 10.

لما افتتحتَ الكلام في حضور مثل هذا الفصيح، رأيتَ أن الصلاح في ظاهرك لا باطنك. ولو أنك بقيت في هذا المقام الذي يكمن فيه سر اتباع رجل أمته أفضل الأمم.

إذا قلت ليهودي: النصراني أفضل أم المسلم؟ يقول:

المسلم. وإذا قلت لنصراني، يجيب كذلك. إن نظرة هؤلاء هي سبب زيادة الاعتقاد في حق الأمة الصادقة لذلك الحسن الحظ. ﴿قد علم كل أُنَاسٍ مشربهم﴾(212).

(212) ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾: سورة البقرة، جزء من الآية 60.

أسارع إلى طلب الحبيب

وقد انقضى عمري وأنا غافل

لأفرض أنني سوف أحظى بوصال الحبيب

فأين أدرك ذلك العمر الذي انقضى؟

لا يخرج الطريق عن اثنين: إما طريق فتوحات الباطن مثل الأنبياء والأولياء، أو عن طريق تحصيل العلم، وهو المجاهدة والتصفية أيضًا. وقد تخلف عن كليهما، فماذا يتبقى سوى الجحيم؟

أنت الجزء وأنا الكل

﴿ما خلقُكُم ولا بَعْثُكم إلا كنفس واحدة﴾(213). أين نظير هذه الأحاديث؟ المؤمنون كنفس واحدة. من ثم دعوة الأنبياء هي: أيها الغريب، أنت في الصورة جزء مني. فلماذا أنت جاهل بي؟ تعالَ أيها الجزء، ولا تكن جاهلًا بالكل، كن عالمًا به، واعرفني. فيقول: أضحي بنفسي، ولا أعرفك، وأتحسر. الخلاصة مهما يختلون في تلك الخلوات الظاهرة، تزداد الأخيلة، ويمثلون أمام المرشد، وكلما يتقدمون في طريقة الاتباع هذه، تتجلى لهم الحقيقة تلو الحقيقة، ويتحقق لهم التجلي تلو التجلي.

(213) ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾: سورة لقمان، جزء من الآية 28.

إنك لست مثلهم

سأل: هل التلون هو الانهماك في الطاعة وقتًا، والانشغال بالأكل والشرب في وقت آخر؟ تلك هي رياضة النفس، وهذه هي تربية النفس. قال: ألم يكن التلون للأنبياء والأولياء؟ لكن الأنبياء والأولياء كانوا يهذبون الروح أثناء الطعام وفي الطاعة، لا النفس –الفرّ محسوب على الكرّ في القتال، ولا تناقض بينهما- لكنك ظننت نفسك مساويًا لهم، فلا تظن ذلك؛ لأنك إذا كنت مساويًا لهم في الفعل والعبادة، لكنت مساويًا لهم في الحال والكشف.

كن منصفًا

كن منصفًا، حتى يبلِّغك الإنصاف مكانة. حفظ الصحة أسهل من طلب الصحة، واجتناب الإثم أسهل من طلب التوبة. حين تبتلى بذلك البلاء بعد ترك التعفف، تصبر، وتقول: لماذا لم أصبر ذلك القدر من الصبر؟ فماذا كان ذلك القدر من الصبر بالنسبة إليك في ذلك الوقت؟

مشقة الفراق

لو أنك تستطيع العمل، لما كان ينبغي علينا السفر من أجلك، ومن أجل مصلحتك، وإن العمل يثمر في هذا السفر الذي قمنا به، ويكون حسنًا. ولأنني لست مخولًا بأن آمرك بالسفر؛ فإنني أفرض السفر على نفسي من أجل إصلاح أموركم. جرَّب الفراق. وهو يقول في الفراق: ماذا كان ذلك القدر من الأمر والنهي؟ لماذا لم أمتثل له؟ كان ذلك الشيء سهلًا في مقابل مشقة الفراق هذه. ذلك الذي كنت أتحدث به، وأنافق. وكنت أجبر بخاطر الطرفين كليهما، وأقول كلامًا مبهمًا. تنبغي الصراحة. ماذا كان قدر ذلك العمل؟ إنني أسافر خمسين سفرًا من أجل مصلحتك. وسفري من أجل توفيقك في العمل. وإلا فلا فرق عندي أن أكون في الروم أو الشام؟ أو أكون في الكعبة أو أسطنبول؟ لا شك أن الفراق يصنع إنسانًا مجربًا ومهذبًا. من ثم المهذب ومجرب الوصال أولى أم مجرب الفراق؟ أين ذلك الذي يجرِّب الوصال وينتبه؟ وأين ذلك الذي كان قد وقف في الخارج؟ إلى متى يسلك الطريق محجوبًا؟ من يشبه ذلك الذي يقيم خلف حجاب؟

خاصية العشق

ذلك الذي قلتُه من أنهم لا يستمعون إلى تعريف العاشق ودلالته. لأن خاصية العشق هي أنه يظهر العيب فضلًا. حبك الشيء يعمي ويصم. ولا يمكن أن يتحقق هذا: أن يكون عاشقًا، وتبقى له قوة البصيرة والتمييز.

قلت: لا يمكن منع الإمكان.

الواجب والجائز والمحال

إننا نأخذ بقول الأصوليين في هذه المسألة: القضايا ثلاثة أقسام: الأولى واجبة: مثل عالم الحق وصفاته، والثانية محالة: مثل اجتماع النقيضين، والثالثة جائزة: ولها الوجهان كلاهما. ويجوز أن تكون أو لا تكون. كل مَن يتكيف مع هذا القسم؛ يجد الخلاص.

جنة الأرض

ذلك الذي قيل من أن تلك الجنة التي خرج منها آدم تقع فوق أكمة على مرتفع، وتوجد على الأرض أيضًا. وليست تلك الجنة هي الجنة الموعودة التي يعدها المؤمنون فوق الأفلاك. قلت له: إنك كنت تقول لي: إنك تتفلسف. وقد تفلسفتَ أنت على كل حال.

المزاح أفضل من الكلام

كان قروي يسوق ثورًا، وقد علق القيد في شيء؛ فلم يستطع الثور السير. ضرب القروي الثور كثيرًا وساقه، لكنه لم يستطع السير. وكانت الثيران تنكب على وجوهها بسبب وخز سن المحراث. حين حرث القروي ذلك المكان، رفع حجرًا أو حجرين، فرأى القيد وقد علق في حلقة إبريق كبير فوهته مسدودة.

ومهما حاول اقتلاع فوهته، لم يستطع. قال: ما دمتُ لا أستطيع حمله، فلأهشم رأسه بأي طريقة ممكنة. ومهما حاول، لم يستطع. قال: عجبًا! هل توجد دراهم هنا؟ أهي مزيفة؟ ولم يفكر في الذهب بلا شك، لأنه قروي. في النهاية يقتلع الإبريق فيجده مملوءًا بالذهب الخالص. أخرج قطعة، ومسكها بقبضته في النور، ونظر إليها، وقال: والله، إنه ذهب. من ثم لم يشعر بحزن أو تعب، وكان يسوق الثور، وينجز عملًا. في هذا الوقت اجتمعت عليه ظنون العالم ووساوسه، وقال: هكذا أفعل حتى أعيش. أخبئه في المكان الفلاني، أو أعرضه على الملك مباشرة وأشياء من هذا القبيل. في هذه الأثناء كان الملك يعود من الصيد غاضبًا. رأى القروي قائدين من بعيد، فصاح عليهما؛ حتى يعهد به إليهما. لما قدما، كانا يقولان: عجبًا! لماذا يدعونا؟ امنحنا الماء

حتى نشرب. قال: دعوتكما لأسألكما: أي طريق يؤدي إلى المدينة؟ لأنه كان قد كره إفشاء أمر الكنز لهما منذ قدما إليه. قال أحدهما: تسألنا عن الطريق إلى المدينة؟ من ثم ضحكا وقالا: من الناحية الفلانية. وذهبا. فندم أيضًا، وجدَّ في استدعائهما مرة أخرى؛ فجاءا وقالا: ماذا تريد؟ كان القروي قد كره الإعلان عن الكنز. فقال: أي طريق للمدينة أرشدتماني إليه؟ لقد نسيت، أهذه الناحية أم تلك؟ أراد أحدهما إيذاءه. وأمسك الآخر بيده، وسحبه. لما اقتربا من الملك، وقفا ونظر أحدهما إلى الآخر، وأخذ يضحك على هزل القروي. غضب الملك، وأمر بعقابهما. طلب القائد – الأكثر حلمًا منهما- الأمان، وقال: يا

ملك العالم، سله ما سبب ذلك الضحك من أجل الله؟ وقص القصة. فقال الملك: لو القصة صحيحة، فاذهبا وأحضِرا القروي. أسرع القائدان. وشاهدهما القروي ففزع، وقال: والله، إنهما يأتيان نحوي. جاءا، وقالا: إن الملك يدعوك. فيقول القروي في نفسه: غم مع امتلاك الذهب، وغم من دون امتلاك الذهب، في النهاية الغم مع امتلاك الذهب أفضل لي من الغم من دون امتلاك الذهب. على كل حال ليس هناك خطر على الروح. جرى هذا الكلام، وسقط من الحكاية.

إن المزاح مع هؤلاء القوم أفضل من الكلام. مهما كان الشخص عظيمًا أو يمتلك ملكًا أو ولاية.

مدينة ظالمة أُضحِّي بنفسي فيها

حتى أؤذي نفسي وأقتلها وأقضي عليها

مثل هذا الشخص ولو أنه يمزح، يهاب معارفه مزاحه. لكن مثل هذه الهيبة لا تأتي بالكلام. لا شك أن الحدة والهيبة تقلان بالمزاح، وتكون الحال أفضل. بعد ذلك شرعوا في تعرية ذلك المسكين؛ حتى يبيعوا ثيابه، ووضعوها على خاصرته وفقًا لألاعيب الغجر.

ما الفتوة؟

كل شخص يتحدث عن تاريخ الفتوة(214)، وأن الفتوة وصلت إلى آدم. وهكذا كانت. ولما وصلت إلى إبراهيم كانت على هذا النحو، ولما وصلت إلى أمير المؤمنين عليّ، كانت كذلك. كل شخص كان يتحدث على قدره في دوره. لما جاء دوري، لم أقل شيئًا مهمًّا. ألحوا عليَّ، فقلت: لن أتحدث. كان هناك درويش، طأطأ رأسه، ولم يكن قد تحدث مطلقًا. رغبتُ في الحديث، فقلت: ينبغي على الإنسان أن يرتكب زلة مرة واحدة طوال عمره، فيستغفر لها بقية العمر في سُنة أبي. ومَن أشبه أباه فما ظلم. وبدأت الحديث عن زلة آدم وتوبته.

(214) الفتوة: كانت لفظة الفتوة قبل الإسلام وفي الصدر الأول منه تعبر عن مجموعة من الخصال المحمودة: كالشجاعة والمروءة والكرم والسخاء. وكان لفظ الفتى يطلق على مَن يتسم بهذه السمات ويتميز بها عن غيره.

ويعد الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي شيس بن آدم هو مبدأ الفتوة ومنشؤها؛ لانشغاله بعبادة الله، واستغنائه عن الدنيا والعقبى. ويذكر السهروردي أن الفتوة انتقلت من شيث إلى إبراهيم الخليل. ويعد ابن المعمار إبراهيم منشأ الفتوة ومبدأها؛

لتحطيمه الأصنام، وإعراضه عن الأنام، وصبره على إلقائه في النار. وإبراهيم هو أبو الفتيان وأول نقطة في دائرة الفتوة عند أهل الفتوة. ثم انتقلت الفتوة من إبراهيم إلى إسماعيل، ووصلت من صلب إسماعيل إلى صلب محمد المصطفى ﷺ، وهو أفتى الفتيان؛ لأنه سينشغل بأمر أمته يوم القيامة. ومن محمد ﷺ انتقلت الفتوة إلى علي بن أبي طالب. الذي جاد بنفسه على فراش النبي ﷺ. وقد ارتبطت تعاليم الفتوة بآداب التصوف. والفتوة في اصطلاح العارفين هي الإيثار، وهو أن تؤثر الغير على نفسك. أي تقدم الآخرين عليك في شيء رغم حاجتك إليه. وتعني أيضًا كف الأذى وبذل الندى والجود بالموجود وترك الشكوى.

انظر: د. منال اليمني عبد العزيز، الفتوة وفريد الدين العطار النيسابوري، مؤتمر الدراسات الشرقية بكلية الآداب جامع عين شمس تحت عنوان معطيات الحضارة الإسلامية للغرب، 1424 هـ- 2002 م، ص 4، 10، 11.

لستُ مفلسًا

سألوا: ما سبب نزول ﴿إنَّا فتحنا﴾(215)؟ فقلت: لما نزلت هذه الآية ﴿ وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾(216). لم يفهموا سوى ظاهرها، وأخذوا في السب. إنهم يتبعون شخصًا لا يعلم ما سيفعلونه به وبقومه. فنزلت: ﴿ إنا فتحنا﴾. سألوا: وماذا كان جوابهم؟ قلت: هكذا يكون تأويل الكلام: «لا أعلم»، ليس معناها الجهل أو الغفلة لكن معناها: إنني لا أعلم أي خلعة سوف يخلعها على الملك؟ وأي ملك سوف يمتن به عليَّ؟ سألوا: من ثم هناك مشكلة باقية، ألا يعلم مثله ماذا سوف يمنحوه؟ أي نقص يكون هذا؟ وأيضًا ما دامت بعض الخلع قد وصلت، فكيف لا يصير الباقي معلومًا؟ ما دام القليل يدل على الكثير. قلت: لا يكون هذا جهلًا، هذه مبالغة في عظمة ذلك العطاء ووفرته. مثلما يقول في موضع آخر: ﴿وما أدراك ما العقبة﴾(217) ﴿وما أدراك ما يوم الدين﴾(218) لم يدركوا حقيقة هذا الكلام، وقد فهموا المعنى؛ فتغير حالهم. ولتغير الإنسان سبب، وكنت أكرر الكلام عن كل شريعة من أجل إفهامهم، فذموني قائلين: إنه يكرر الكلام بسبب إفلاسه. قلت: إفلاسكم أنتم. إن كلامي هذا حسن وصعب؛ لو أقوله مائة مرة، يُفهم في كل مرة بمعنى مختلف. وعلى هذا النحو يكون المعنى الأصلي بكرًا.

(215) ﴿إنَّا فتحنا﴾: سورة الفتح، جزء من الآية 1.

(216) ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾: سورة الأحقاف، جزء من الآية 9.

(217) ﴿وما أدراك ما العقبة﴾: سورة البلد، آية 12.

(218) ﴿وما أدراك ما يوم الدين﴾: سورة الانفطار، آية 17.

هذا الذي كان يقول: إن عرصة الكلام واسعة للغاية. أردت الرد عليه بأن عرصة المعنى واسعة للغاية، وعرصة الكلام ضيقة للغاية. وكنت أنافقه، مع أنه كان زعرورًا، ولا يعرف

النفاق أيضًا. قلت له: استمع إلى هذا الكلام بأذنٍ أخرى، ولا تسمعه بتلك الأذن التي سمعت بها كلام المشايخ. ذلك المكان الذي يجري فيه هذا الكلام، أي مكان فيه لأبي يزيد وسبحاني(219)؟!

(219) أبو يزيد وسبحاني: يعد أبو يزيد البسطامي م 261 هـ أول من ربط بين التوحيد والفناء، وجعل فناء العبد عن نفسه، وعن صفاته الذميمة وأفعاله الخسيسة، وعن الخلق، وعن ما سوى الله، ثم بقاءه بالحق هما سبيله إلى التوحيد. وحين يستهلك العبد في الفناء، يرى الحق مرآته، ويشاهد نفسه الحق في تلك المرآة، فيتحدث بلسان الحق، أو يتحدث الحق على لسانه، وهو فانٍ. وقد قال أبو يزيد: كان الحق تعالى مرآتي طيلة ثلاثين سنة. والآن أنا مرآة نفسي، وما دمت فانيًا؛ فالحق تعالى مرآتي؛ فهو

يتحدث على لساني وأنا فانٍ. ولذلك فقد تحدث بلسان الحق، أو تحدث الحق على لسانه. وقال: سبحاني ما أعظم شاني.

انظر: د. منال اليمني عبد العزيز، التوحيد عند أحمد الجامي ومحيي الدين بن عربي، ص 8.

المكر والطلب

عشق مسلم غلام كافر، وكان يبدي المحبة. فقال له غلام الكافر: أنا كافر، وأنت مسلم. لا يجوز هذا. قال له المسلم: اعتنق ديني؛ فأسلم. كل مَن لا يُطلق عليه مسلمًا، يكون كافرًا. كل مَن يقال عنه: هذا كافر، يكون كافرًا. لماذا يذكر ذلك؟ من ثم الدنيا جميلة. لما شاهد الكافر عبد الله تعالى، عشقه، وأسلم، وصار من أهل الآخرة. وأسلم شيطاني(220). ونعم المال الصالح لرجل صالح(221). ذلك الذي يقول في نفسه: أسلم تدريجيًّا، وأصير صالحًا. هذا هو المكر بعينه، والطلب بعينه هو الفراق. فأذعن، ولم تبقَ له حيلة أخرى، وقد بدأ المداهنة.

(220) أسلم شيطاني:

إشارة إلى الحديث: روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ليس منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الشياطين**!!** قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم، ولكن الله أعانني عليه فأسلم.

رواه أحمد بسند حسن والطبراني.

ملتقى أهل الحديث. ahlalhdeeth.com.

(221) نعم المال الصالح للرجل الصالح:

إشارة إلى الحديث: قال رسول الله ﷺ: يا عمرو، إني أريد أن أبعثك على جيش، فيغنمك الله، وأرغب لك رغبة من المال صالحة. قلت: إني لم أسلم رغبة في المال، إنما أسلمت رغبة في الإسلام، فأكون مع رسول الله. فقال: يا عمرو، نعم المال الصالح للمرء الصالح.

الراوي: عمرو بن العاص.

المحدث: الألباني.

المصدر: صحيح الأدب المفرد.

خلاصة حكم المحدث: صحيح.

أخرجه البخاري في الأدب المفرد، والبيهقي في شعب الإيمان.

الموسوعة الحديثية، الدرر السنية

daorar.net.

النفس اللوامة

ما يقولونه من أن هناك اتفاقًا على أن النفس المطمئنة أفضل من النفس اللوامة وأعز منها. من ثم لماذا أقسم بالنفس اللوامة؟ وقال: ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ [القيامة: 2] ولماذا لم يقسم بالأفضل؟ ألم يرد أن يذكرها، وأخفاها بسبب غاية العزة. كما يقول شخص: أيها الملك، بتراب قدمك، مع أن نفسه عزيزة. وقيلت إجابة أخرى في تفسير هذه الآية: ﴿والظالمين أعد لهم عذابًا أليمًا﴾(222).

(222) ﴿والظالمين أعد لهم عذابًا أليمًا﴾: سورة الإنسان، جزء من الآية 31.

لا تموت مرة أخرى

كان ذلك الشيخ يقول في تبريز هؤلاء الذين يقولون في الجنازة: (سبحان الحي الذي لا يموت) ويظنون أنهم يتحدثون عن الله تعالى. الله تعالى أعظم من أن يذكرون اسمه عند الموت. إنهم يخاطبون الميت. أي هكذا صرت حيًّا، وعلى هذا النحو حييت فلا تموت مرة أخرى.

فلما أضاء الصبح جمع بيننا

وأي نعيم لا ينوره الدهــر

أحب الآخرين من أجلك

إنه يقول: يلزم المسلم إسلامًا، فلا علم له بإسلامه أو بصورة الإسلام. يقول: إن كلام فلان لاذع. وهو يستمع إلى كلامه شهرًا أو شهرين متتاليين باهتمام، ولا يفهمه. خاصة أنه يهمس قائلًا: لقد وهبني الله شيئًا عظيمًا، وحصلت من الله على شيء عظيم، لم يقف عليه الأولون أو الآخرون. وأنا أقول: لقد منحني الله تعالى شيئًا قليلًا، وحصلت من الله على شيء عظيم، وأنست بذلك الشيء القليل إلى حد أنني لا أستطيع شرحه لك. إنك تقول: لقد وهبني شيئًا عظيمًا، ولا تبرهن على ذلك. وأنا أقول: لقد منحني شيئًا قليلًا، وأبرهن على ذلك. فيقول لمولانا: إنني أحبك وأحب الآخرين من أجلك، ويستشهد بشعر المجنون:

أحب لحبها السودان حتى

أحب لحبها سود الكلاب

لو تقصد بهذا الغير مولانا شمس الدين التبريزي، قل فلو أنك تحبني من أجله، يكون أفضل، ويطيب لي أكثر من أن تحبه من أجلي. وما تقوله من أنهم يحبون غير المحبوب بالتبعية إلى

المحبوب. فإنهم يفعلون كذلك لما يكون المحبوب راضيًا بالتبعية إلى ذلك الغير.

* * *

نوح ومحمد

قال: كانت لدرويش خرقة، وكان يتحدث إليها، ويتشاور معها، ويسألها. وأنا أقول: ليست تلك سنة الله أن ينطق غير الآدمي. سوى ما ثبت بالتواتر من معجزات الأنبياء. من ثم يا مَن أنت إنسان، كيف لا يكون لك(223) حديث ومنطق. إنني أحكي حكايات العجائز، وأنشد أشعار العرب. من ثم قل أنت كلامك. فقال: إنه الفقر، والأسمى من الفقر المشيخة، والأسمى من المشيخة القطبية، والأسمى من القطبية الشيء الفلاني. أردت القول: إنك بدلّت هذا الفقر من دون مقابل. وتخليت عن هذا الفقر بسبب هؤلاء الشيوخ الجهلاء. من ثم هذا العظيم هو سيد العالم وآدم. آدم ومن دونه خلف لوائي ولا فخر(224). أنا أفصح العرب والعجم ولا فخر، الفقر فخري(225). ماذا تريد بهذا الفقر حتى تطرحه خلف المشيخة؟ لكنني لم أقل شيئًا قط، وكان جوابه السكوت. قال: إذا كانوا حسكًا، ينبغي إشعال النار فيهم. قلتُ: إنكَ اتبعتَ نوحًا، ولم تتبع المصطفى؛ كان نوح يقول: ﴿لا تذر على الأرض من الكافرين ديَّارًا﴾(226). وقال المصطفى: اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون. اتبع مَن يرتدون الحُلل هؤلاء موسى، حين لم يجدوا فائدة من اتباع محمد ﷺ حاشا لله، بل إنهم لم يتبعوا محمدًا ﷺ كما يجب. وحصلوا على فائدة قليلة من اتباع موسى؛ فأفادوا منها. إنك تقول: الولي مفرد. والجميع مشغولون

بأمر الدنيا. أي لا يسير الناس خلفه أو أمامه. مثلما ينظرون إلى ملك باحتقار لأنه شخص واحد. ولما يكون بين العسس. يبجلونه؛ لأن العسس يحملون العصي أمامه وخلفه.

(223) الأصل العربي: أما قوله: الله تعالى أعطاني شيئًا عظيمًا، وعلمت من الله أمرًا جليلًا، لم يقف عليه الأولون والآخرون. قلت: أعطانا الله تعالى شيئًا صغيرًا قليلًا، ونحن بذلك متأنسون. قوله: أعطاني، ولم يقم عليه برهانًا. وأنا أقول أعطاني وأقيم عليه برهانًا. قوله: أنا أحب لأجلها السودان حتى. قلنا: لو

أحببتني لأجله فإنه أفضل من أن تحبه لأجلي، أو يقول: متى يكون هذا من ثمرات المحبة. إذا كان في مثل هذا الكلام رضى المحبوب أم إذا لم يكن؟ قوله: الخرقة تكلم صاحبها. قلنا: ليس هذا من سنة الله أن ينطق غير الآدمي، إلا إذا ثبت بالتواتر معجزة للنبي. ثم إنك ما بالك لا تنطق، وليس لك منطق إلا حكايات العجايز وأشعار العرب، فلا بد من أن تسكت عن الجواب.

نقلًا عن: مقالات شمس تبريز، تصحيح محمد علي موحد، ص 360.

(224) آدم ومن دونه خلف لوائي ولا فخر:

إشـارة إلى حديث رواه أحمد وأبو يعلى عن ابن عباس مرفوعًا من حديث صدره: إنه لم يكن نبي إلا له دعوة قد تنجزها في الدنيا. قد اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، وأنا سيد ولد آدم يوم

القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر. آدم فمن دونه يوم القيامة تحت لوائي ولا فخر.

إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الشافعي م 1162 هـ: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، ضبطه وصححه ووضع حواشيه الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الجزء الأول، ص 13.

(225) الفقر فخري:

الفقر فخري وبه افتخر. هذا الحديث سُئل عنه الحافظ ابن تيمية، فقال: إنه كذب، لا يعرف في شيء من كتب المسلمين المروية. وجزم الصغائي بأنه موضوع.

جامع الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم.

جامع السنة وشروحها. hadithportal.com.

(226) ﴿لا تذر على الأرض من الكافرين ديَّارًا﴾: سورة نوح، جزء من الآية 26.

قدوم مولانا شمس الدين التبريزي خلد الله بركته صباح السبت 26 جمادي الآخرة سنة 42 (642 هـ).

أين نعلي؟

لو يختل قليل مما ألزمت به نفسك فلا ينبغي أن تتخبط. يريد شخص أن يخرج من بين الجمع في الظلمة. من ثم سقطت قدمه في نعل شخص آخر، فتمزقت عروة النعل. فلا يلزم أن أنتعل ذلك النعل؛ لأنني تخبطت. والعذر واضح، ولو أن هناك ظلامًا، فينبغي على كل شخص الحفاظ على نعله.

هذه هي عادتنا

مثلما كان هناك صالحون من أهل قرية. ولكن كان كل واحد منهم يتناول الطعام بمفرده وفقًا لعادة الصوفية؛ حتى لا يحدث حيفًا أثناء تناول الطعام. ولا ينبغي أن يشترك شخص في الطعام وهو غير راضٍ بسبب الخجل. سلك الصالحون طريقًا ذات يوم، وحل وقت الطعام. فجلس كل شخص وكان يتناول طعامه. وصل فارس تركي -والأتراك مولعون بالضيافة والاختلاط- فقال لهم: لماذا تأكلون فرادى ولا تتقاسمون الطعام؟ قالوا: هذه عادة قديمة في قريتنا. فسحب سوطًا، وقال: فليشترك ذلك الشخص الذي سن هذه السنة، وذلك الشخص الذي قبلها في الطعام. ففعلوا في عجلة مضطرين وأذعنوا. فيقول لهم شيخ القرية بلغتهم: لو أنكم تتقاسمون الطعام، يغفر الله لمَن يعرف طعامه، ولا يزيد عليه.

تمسك بالكل

يحرص قوم على السجع في الكلام، ويقول جميعهم كلامًا مسجعًا، ويقول قوم جميعهم النثر. كل قول من أقوالهم جزء. وكلام الله كل. تمسك أنت بالكل؛ حتى تكون الأجزاء كلها ملكًا لك، وزيادة. ولا تتمسك بالجزء المتعلق بي، فلا ينبغي أن يضيع الكل.

أغصان الشجرة

نَمَتْ شجرة لشخص في بيته، فجاء فجأة وقال: ينبغي قطع الشجرة. حتى تكون أغصانها كلها ملكه، إضافة إلى الجذع. لكن لو أنك تتمسك بغصن، يضيع الباقي. ويكمن الخطر في أنه يقطع ذلك الغصن، ويترك ذلك الغصن، ويتعب نفسه.

إبليس الصورة والمعنى

قال: إن إبليس ليس حادثًا بالمعنى ولو أنه حادث في صورته. فقال ذلك الآخر: هذا كفر. قال: لا، هذا ليس كفرًا، إنه إسلام؛ لأنني أقصد بقولي إبليس قديم: أن وجوده كان في علم الله. قال: لم يكن وجوده في علم الله، بل كان في علم الله أنه سوف يوجد. قال: على كل حال كان معنى إبليس سابقًا على وجوده بصورته مثلما سبقت أرواح الناس صورهم. والأرواح جنود مجندة(227). وقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾(228). وقد كان هذا الحدث قبل القوالب. من ثم ما يقوله المصطفى صلوات الله عليه وسلم من أن إبليس يجري في عروق الناس مثل الدم(229). قطعًا تلك الصورة السيئة التي يصنعونها على أنها صورة إبليس باطلة. إنه لا يجري في عروق بني آدم. يعني إبليس يجري في عروق بني آدم، لكنه لا يرد في كلام الدرويش. فالمتكلم ليس الدرويش في النهاية. هذا الدرويش فانٍ معدوم. ينتهي الحديث عنه.

(227) الأرواح جنود مجندة: إشارة إلى الحديث: الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا. والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تنافر منها اختلف.

الراوي: أبو هريرة. المحدث: مسلم.

المصدر: صحيح مسلم. خلاصة حكم المحدث: صحيح.

التخريج: أخرجه البخاري باختلاف يسير، ومسلم واللفظ له.

الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. daorar.net.

(228) ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾: سورة الأعراف، جزء من الآية 172.

(229) إشارة إلى الحديث: عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم.

ورد في صحيح البخاري، ومسلم.

الدرر السنية، الموسوعة العقدية، المبحث الثاني: أساليب الشيطان في إغواء الناس.

daorar.net.

إنه صوتك

مثل جلد ماعز جعلته قربة للموسيقى، ووضعتها على فمك، ونفخت فيها. فكل صوت ينبعث منها هو صوتك لا ثغاء الماعز. ولو أنه ينبعث من جلد الماعز؛ لأن الماعز قد فني. وكذلك تضرب على جلد الطبل؛ فينبعث صوت. وفي ذلك الوقت الذي كان فيه ذلك الحيوان حيًّا؛ إذا ضربت جلده، هل كان الجلد يصدر صوتًا؟!

يعلم ذلك الشخص العاقل

ما الفرق بين هذا الصوت وذاك

الدرويش الكامل

يُقال هذا المثال على سبيل الضرورة، المتكلم هو الله على لسان الدرويش الكامل. من ثم كيف يكون هناك اعتراض على كلام الدرويش؟ قال: عدم سماع السؤال، والانزعاج من السؤال، يكون نقصًا. قلت: ذلك الشخص الذي يحظى بكمال الفهم، يعلم أن هذا هو الكمال؛ لأن جانب الله لا يقبل النقص. النقص بسبب نفاد صبره. في النهاية ألم يحدث لك هذا بسبب نفاد الصبر؟ حين يتأنى، يحصل على الإجابة، إجابة المتحدث. إذا لم تسمع الإجابة، ولا يتضح المعنى. لا تحل بركة الصبر التي تمد المستمع بالقوة، وتعينه على علم آخر. حتى الآن أجبت على مسألة إجابة واحدة. بعد هذا يجيب هو مائة إجابة، ويطيب ذلك المجلس. ويسعد الدرويش بذلك المجلس، ويرضى عنه، ويرغب في ذلك الاجتماع مرة أخرى. ويؤدي أعمالًا برغبته، تؤتي ثمارها.

لن تراني

قال: ﴿لا تدركه الأبصار﴾(230) يأس. فقال: وهو ﴿يُدرك الأبصار﴾ رجاء تام. عند الرؤية الحقيقية، اتجه إلى موسى، وأحاط به، فاستغرق في الرؤية، وقال: ﴿أرني﴾(231). فأجاب: ﴿لن تراني﴾. يعني لو تريد رؤيتي على هذا النحو، فإنك لن تراني أبدًا. هذه مبالغة، والعجب أنك ما دمت مستغرقًا في الرؤية، كيف تقول: أرني حتى أرى؟ وإلا ماذا نظن في موسى نبي الله وكليم الله وأغلب القرآن ورد في ذكره. ومَن أحب شيئًا أكثر ذكره، ولكن ﴿انظر إلى الجبل﴾. ذلك الجبل هو ذات موسى في العظمة والاستقرار والثبات. ويسمى جبل موسى. يعني تنظر إلى نفسك، تراني. هذا مرادف للقول: مَن عرف نفسه فقد عرف ربه. لما نظر إلى نفسه، رآه، فاندكت ذاته بسبب تجليه. وإلا كيف تصدق أنه يرد دعاء كليمه، ويتجلى في الجماد. قال بعد ذلك: ﴿تُبت إليك﴾. يعني من الذنوب. فأنا مستغرق في الرؤية، وأرغب في الرؤية(232).

(230) ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾: سورة الأنعام، جزء من الآية 103.

(231) ﴿أرني﴾: سورة الأعراف، جزء من الآية 143.

(232) الأصل العربي للحكاية: في ﴿لا تدركه الأبصار﴾ تمام اليأس، ولكن في قوله ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ تمام الاستيناس، هذا هو حقيقة الرؤية. وأحاط به، وصار مستغرقًا في الرؤية، قال: أرني. قال: لن تراني. يعني إذا كنت ترى بهذه الصفة لن تراني، يعني يبالغ في الاستنكار والتعجب من طلب الرؤية، وهو مستغرق في الرؤية وإلا إيش يظن بمحبوب الله وكليم الله، الذي كثر ذكره في القرآن. من أحب شيئًا أكثر ذكره. ولكن انظر إلى الجبل. وهو ذاته الذي مثل الجبل من العظمة والثبات. من عرف نفسه فقد عرف ربه. فنظر، فرأى، فجعله النظر دكًّا. انظر، إن الله تعالى يرد كليمه، ويرى نفسه الجماد حجرًا. قال: تبت إليك من مثل هذي الخطيئة، وهو طلب الرؤية، وأنا غريق في الرؤية.

نقلًا عن: مقالات شمس تبريز، تصحيح محمد علي موحد، ص 361.

نوم أم يقظة

لا يكون منام عباد الله منامًا، بل يكون واقعة اليقظة بعينها؛ لأن الأشياء التي لا تعرض عليه في اليقظة بسبب رقته وضعفه؛ يراها في النوم حتى يطيقها. وحين يبلغ الكمال؛ تعرض عليه من دون حجاب(233).

(233) الأصل العربي: منام عباد الله لا يكون منامًا، بل يكون عين الواقعة، لأنه يكون شيئًا لا يعرض عليه في اليقظة لضعفه، وضعف بنيته، بل يرى في المنام؛ ليطيق ذلك، مكملًا، ثم يعرض عليه بغير حجاب.

نقلًا عن: مقالات شمس تبريز، تصحيح محمد علي موحد، ص 361.

الطريق إلى الله

سأل: ما مقدار الطريق من العبد إلى الله؟ فقال: مثل مقداره من الله تعالى إلى العبد. لأنه لو يقول ثلاثين ألف سنة، لا يكون قوله صحيحًا؛ لأن الطريق لا نهاية له ولا حد. والحديث عن قياس ما لا قياس له، ونهاية ما لا نهاية له محال وباطل. وينبغي العلم أن ما لا نهاية له بعيد عما نهاية له. هذه هي صورة القول، ولا تتعلق بما لا نهاية له. أين الكلام حيث يوجد الله تعالى. الكلام ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾(234).

(234) الأصل العربي: من العبد إلى الله مقدار ما بين الله والعبد. إن قلنا: ثلاثين ألف لا يكون صحيحًا؛ لأنه لا نهاية له. وتحديد ما لا نهاية له محال. وتعلم أن ما لا نهاية له بعيد عما نهاية له. هذا أيضًا صورة القول، لا يتعلق بما لا نهاية. أين كلام حبيب الله تعالى، وأين الله؟ والكلام إلى يوم الوقت المعلوم.

نقلًا عن: السابق، ص 361، 362.

﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾: سورة الحجر، جزء من الآية 38.

ما دام الدرويش قد استهل الكلام؛ فلا ينبغي الاعتراض عليه. نعم هذه هي القاعدة. كل كلام تعلموه في المدرسة، تزداد فائدته بالبحث. لكن ذلك الكلام بمنأى عن هذه الفائدة وهذا البحث. ولا يتعلق بها مطلقًا.

السيف الهندي

أحضر ذلك الشخص سيفًا هنديًّا لشخص، وقال: هذا السيف هندي. قال: وماذا يكون السيف الهندي؟ قال: يقسم كل شيء تضربه به نصفين. قال: الصوفي ابن الوقت. قال: نُجرّبه على هذا الحجر الصلد. فاستل السيف، وضربه على الحجر، فانقسم السيف نصفين. قال: إنك قلت: إن سمة السيف الهندي أنه يُنَصِّف كل شيء تضربه به نصفين. قال: لو أنه سيف هندي، فالحجر كان هنديًّا أكثر منه. كان موسى أكثر فرعنة من فرعون. وكان ذلك وليًّا، لكن هذا كان أكثر ولاية منه. قال: من ثم ماذا كانت صورته؟

الشوق إلى الإخوان

وا شوقًا إلى لقاء إخواني(235). قالوا: يا رسول الله، هل نحن الإخوان الذين تشتاق إلى لقائهم؟ قال: أنتم أصحابي. قالوا: هل إخوانك هم الأنبياء الذين رحلوا؟ قال: إنني لا أعدهم من هؤلاء الإخوان، إخواني هم عباد أعزاء سوف يأتون بعدي.

(235) وا شوقًا إلى لقاء إخواني:

إشارة للحديث: قال رسول الله ﷺ: وا شوقاه إلى لقاء إخواني. قالوا: أو لسنا بإخوانك؟ قال: بل أنتم أصحابي. وإنما إخواني الذين لم يأتوا بعد.

نجم الدين أبي بكر عبد الله بن محمد بن شاهاور الرازي الأسدي: منارات السائرين إلى حضرة الله جل جلاله ومقامات الطائرين، تحقيق د. عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 200.

كنت مراهقًا، ولم أصل إلى سن البلوغ بعد، وكان يمر عليَّ ثلاثون أو أربعون يومًا لم أتناول خلالها الطعام بسبب هذا

العشق.

التنزيه والتشبيه

ذهب ذلك الشخص للوعظ في همدان حيث الجميع مُشَبِّهة. اعتلى واعظ المدينة المنبر. وبدأ المقرؤون تلاوة الآيات التي تتعلق بالتشبيه عن قصد: مثل: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾(236) وقوله: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾(237). ﴿وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا﴾(238). ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ (239). وقرأوها أمام المنبر. لما كان الواعظ مُشبِّهًا أيضًا. كان يفسر معنى الآيات بالتشبيه، وكان يروي الأحاديث: سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر(240). خلق الله آدم على صورته(241). ورأيت ربي في حلية حمراء(242). ويفسرها جيدًا على أساس التشبيه. وكان يقول: وا حسرتاه على ذلك الشخص الذي لا يُشبِّه الله بهذه الصفة، ولا يعرفه بهذه الصورة، تكون عاقبته الجحيم، مهما يتعبد؛ ولأنه ينكر صورة الحق، فلا تقبل طاعته. وكان السائلون يعترضون على كل آية أو حديث يتعلق بالتنزيه واللا مكانية، ويعقبون. كان الواعظ يفسر ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾(243)، ﴿ليس كمثله شيء﴾(244) على أساس التشبيه وحث الجميع على التشبيه. وخوَّفهم من التنزيه. ذهبوا إلى بيوتهم، وحكوا للأولاد والعيال، وأوصوا الجميع قائلين: اعلموا أن الله تعالى على العرش في صورة حسنة، وقدماه متدليتان، وهو جالس على كرسي. والملائكة حول العرش. وقد قال واعظ

المدينة: كل مَن ينكر هذه الصورة، إيمانه مرفوض. وا حسرتاه على موته، وا حسرتاه على قبره، وا حسرتاه على عافيته. في الأسبوع التالي وصل واعظ سني غريب. فقرأ المقرؤون آيات التنزيه، قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾. ﴿لم يلد ولم يولد﴾(245). ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾(246). وشَّهروا بالمشبِّهة قائلين: كل مَن يقول بالتشبيه، يصير كافرًا. كل مَن يقول بالصورة، لا ينجو من الجحيم أبدًا. كل مَن يقول بالمكان،

وا حسرتاه على دينه، وا حسرتاه على قبره. وفسر آيات التشبيه تلك كلها، وتوعد كثيرًا. وتحدث عن الجحيم قائلًا: كل مَن يقول بالصورة، طاعته ليست بطاعة، وإيمانه ليس بإيمان. يقول: إن الله يحتاج إلى مكان! الويل لهؤلاء الذين أنصتوا لهذا الكلام. فزع الناس، وعادوا إلى بيوتهم باكين خائفين. جاء شخص منهم إلى البيت، ولم يفطر، ووضع رأسه على ركبته في زاوية المنزل. كان الأطفال يطوفون حوله كالعادة. وكان يبعدهم، ويصيح. فيلتفون جميعًا حول أمهم خائفين. جاءت الزوجة، وجلست أمامه، وقالت: خير أيها السيد، صار الطعام باردًا، ألا تأكل؟ وتضرب الأطفال، وتبعدهم، والجميع يبكون. قال: انهضي من أمامي، لن أطيل الكلام، وقد اشتعلت النار بداخلي. قالت: بالله الذي ترجوه، تفصح، ما الحال؟ أنت رجل صبور، وقد حَلَّت بك أحداث صعبة كثيرة، فصبرت، واستسهلتها، وتوكلت على الله، وأعانك الله عليها، وأرضاك. أحل هذا الأذى لله تعالى أيضًا؛ شكرًا لها. وهون عليك، حتى تنزل الرحمة. فرقَّ الرجل، وقال: ماذا أفعل؟ وقد جعلوني عاجزًا فاقدًا للصواب. قال ذلك العالم في ذلك الأسبوع: اعلموا أن الله على العرش، كل مَن لا يقر بأن الله على العرش؛ هو كافر، ويموت كافرًا. وجاء عالم آخر هذا الأسبوع،

واعتلى المنبر، وقال: كل مَن يقول: إن الله فوق العرش، أو يجول بخاطره أنه فوق العرش أو في السماء عن قصد، عمله ليس مقبولًا. فالله تعالى منزه عن المكان. من ثم أي قول نأخذ به؟ على ماذا نعيش؟ على ماذا نموت؟ لقد أصابنا العجز. قالت الزوجة: أيها الرجل، لا تعجز، ولا تحتار. لو أنه فوق العرش، ولو أنه بلا عرش. لو أنه في مكان، ولو أنه بلا مكان. فليطلْ عمره حيثما يوجد، وَلْيَدُمْ حكمه. فكر أنت في فقرك، وتزهد.

(236) ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: سورة طه، آية 5.

(237) ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾: سورة الملك، جزء من الآية 16.

(238) ﴿وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا﴾: سورة الفجر، آية 22.

(239) ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾: سورة النحل، جزء من الآية 50.

(240) سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر:

إشارة إلى الحديث: كنا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا. لا تضامون –أو لا تضاهون- في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا ثم قال: ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾. (سورة طه، آية 130).

الراوي: جرير بن عبد الله. المحدث: البخاري. المصدر: صحيح البخاري.

خلاصة حكم المحدث: صحيح البخاري. الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. daorar.net.

(241) خلق الله آدم على صورته: إشارة إلى الحديث: قال البخاري ومسلم: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة –وعند مسلم: هذا ما حدثنا به أبو هريرة- عن النبي ﷺ، قال: خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعًا. فلما خلقه، قال: اذهب؛ فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيّونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله. فكل من يدخل الجنة على صورة آدم. فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن. وفي مسلم: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، وطوله ستون ذراعًا بزيادة حرف الواو.

جهاد عبد الله عبد الرحمن الكندري، أ. د أشرف محمود القضاة: حديث الصورة (خلق الله آدم على صورته) دراسة نقدية، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية (عقيدة– تفسير- حديث) الجزء 27، 2019 م، العدد 1، ص 3.

(242) رأيت ربي في حلية حمراء:

إشارة إلى الحديث: رأيت ربي تعالى في صورة شاب أمرد عليه حلة حمراء.

الراوي: عبد الله بن عباس. المحدث: ابن الجوزي. المصدر: العلل المتناهية.

حكم المحدث: لا يثبت. hadith.com.

(243) ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾: سورة الحديد، جزء من الآية 4.

(244) ﴿ليس كمثله شيء﴾: سورة الشورى، جزء من الآية 11.

(245) ﴿لم يلد ولم يولد﴾: سورة الإخلاص، آية 3.

(246) ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾: سورة الزمر، جزء من الآية 67.

اعرف نفسك

حروف القسم ثلاثة: الواو والباء والتاء. يعني: والله وبالله وتالله أن هؤلاء القوم الذين يدرسون في هذه المدارس، يفعلون ذلك حتى نصبح معيدين، ونلتحق بالمدرسة. يقولون: ينبغي استحسان الحسنيات. يقولون ذلك حتى نحتل المكانة الفلانية في هذه المحافل. ماذا تفعل بتحصيل العلم من أجل لقمة دنياوية؟

هذا الحبل من أجل أن يخرجهم من هذا البئر، لا من أجل أن يغرقهم في آبار أخرى. اهتم بأن تعلم مَن أنا؟ وما جوهري؟ ولماذا جئت؟ وإلى أين أذهب؟ ومن أين أصلي؟ وماذا يشغلني في هذه الساعة؟ وعلى ماذا أصر؟

الغيبة

ذكر الغايب غيبة، وذكر الحاضر وحشة. هذا الشخص الذي يذكر الغير، لا يخرج عن حالين: إما أنه يذكر حاضرًا وإمَّا غائبًا. لو أنه غائب فإنه يغتابه، ولو أنه حاضر، فإنه يستوحش منه. ولقد وقف أمام السلطان، وهو يقول: هكذا قال السلطان، وهكذا فعل السلطان.

لكن الغيبة من الكبائر، وهي كبيرة من تلك الكبائر الأربعة. وقد انفصلت عن الذنوب الأخرى بسبب قبحها. الغيبة: الكبيرة الأولى من تلك الكبائر الأربعة، والثانية: البهتان، والثالثة: سفك الدم، والرابعة المظلمة. ما لا يحله الخصم؛ لا ينجو من العذاب. ولو أن الملك يبوح له بسر. لأن هذا هو غذاء الجسد، فقد صمتت الروح. من ثم لم يصلنا نصيبنا، هذا ليس نصيبنا، هذا لا يناسبنا. يشد على حلقه قائلًا: أين نذهب؟ كيف ننجو؟ سقطنا في الدوغ. أي دوغ؟ إنه الدوغ الذي لا نهاية له. ليس هناك قدح له حافة حتى يمتلئ بالدوغ. لا، إنه عسل، مهما تصبه في القدح لا يمتلئ، بل ينقص.

أين أدركه؟

كان أبو نجيب قدس الله روحه قد اعتكف أربعين يومًا بسبب مشكلة. تدبر الواقعة عدة مرات ووجد أن مشكلته هذه لن تحل أبدًا إلا بزيارته للشيخ فلان. قال: عجبًا، أين أدركه؟ فهتف به هاتف: إنك لن تراه! قال: ماذا أفعل إذَنْ؟ قال: أخرج من الأربعينية، وادخل الجامع، وطف حول الصفوف صفًّا صفًّا في تضرع وحضور؛ ربما يراك ويقع نظره عليك. من ثم هكذا كان حال أبي نجيب. ولو كنت أبقى بلا شيخ لما بقيت؛ بسبب المخالفات التي ارتكبتها، اعتمادًا على الآخر. وثقة في شيء آخر.

النوَّاح

توفي شخص؛ فأحضروا النواح. قال: عددوا محاسن هذا الرجل. هل كان له علم؟ قالوا: لا. قال: هل كان زاهدًا؟ قالوا: لا. فاتجه نحو القبلة، وقال: هل كان يطعم المسكين ويجيره؟ قالوا: لا. الخلاصة كل شيء سأل عنه، لم يجد له أثر عنده. فاستهل كلامه قائلًا: يا مَن عشت عبثًا، ومتَّ عبثًا.

نعل الغريب

أصاب الفتور مجلس سماع. فقال الشيخ: انظروا، هل يوجد أغيار بين مريدينا من الصوفية؟ نظروا، وقالوا: لا يوجد أغيار. فأمر أن يفحصوا النعال. قالوا: نعم، هناك نعل لغريب. قال: أخرجوا ذلك النعل الغريب من الخانقاه. فأخرجوه، وفي الحال انعقد مجلس السماع.

يسلك العقل الطريق إلى عتبة المنزل، لكنه لا يدخله. هنا العقل حجاب والقلب حجاب والرأس حجاب.

تمسك بالأصل

قال شخص لمزين: التقط الشعيرات البيضاء من محاسني. نظر المزين، فوجد الكثير من الشَّعر الأبيض، فحلق لحيته بالمقراض مرة واحدة، ووضعها في يده، وقال: اختر أنت، فإنني مشغول. فتمسك بالأصل، وما تفضله من الثياب والطعام. كيف يستهينون بي؟ يا فلان، أُغرب عني وعن الفروع الأخرى، تحدث عن الأصل، واغضب من أجل الأصل، وتحسر؛ حتى ترى تلك الفروع، تأتي، وتعجز أمامك. ويأتي الوجهاء والأمراء والسادات والعلماء في كل فن جميعهم، وينحنون أمامك؛ فلا تعيرهم أي اهتمام. ومهما تسوقهم، لا ينصرفون. لكنك تتمسك بالفرع. فيمضي الأصل، ولا يفيد الفرع.

أصل الأصول ومقصود المقاصد

أريد إسداء النصح. وقد أسديت النصح عدة مرات. فطاب للبعض، وكان البعض الآخر يملُّه. وكنت أشعر بملله، وكان يؤذيني. فقلت: حيثما لا تجدي النصيحة، أدعو دعاء العجائز والعاجزين، حتى يهتدوا من دون قول. إنك تتحدث عن كل فرع. مثلما توسل إليَّ ذلك الأخي (الفتي) قائلًا: أنفقت ثروتي في سبيل فلان، وعجزت عن الأعمال كلها، على أمل السلام عليه وأن يقول: السلام عليك. حتى أعود إلى المنزل، أو ينظر إليَّ نظرة كذلك. قلت: إنني لن أفعل شيئًا قط مما تقول. لماذا لا يصير هكذا، فيأتي ألف مثله، ويلتحقون بخدمتك. قال: ماذا أفعل؟ قلت: تكون ذلك الأصل والمقصود، أصل الأصول، ومقصود المقاصد جميعها، ليس ذلك الأصل الذي يصير فرعًا في يوم ما، وتجدّ في طلبه. وكل شيء يؤذي الضمير. ويبعد عن المقصود، تعده عظيمًا. ولو تعده سهلًا تتداركه، ربما كان المقصود بلا قيمة بالنسبة إليك.

الجحيم يتمنى المؤمن

﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج﴾(247) ما دام قد التمس العذر، فلمَن تكون النصيحة؟ ما دام الجميع بالنسبة إليه عميان وعرجان. وما دام هو البصير والحسن السلوك. لا يقترب جبريل منه. فيقول لجبريل: تعال. فيقول جبريل: لا أستطيع. لو دنوت أنملة لاحترقت. وهو صحيح بلا مرض، صحته سليمة، ومزاجه مستقيم. من ثم يقول بنفسه، ويسمع بنفسه، ليس معه أحد. كيف يكون هذا التفسير يوجد العارفون جميعهم في جحيمنا، وعلى هذا النحو يكون جحيمنا، هناك شخص يئن الجحيم منه، ويقول: جاء الجحيم. الجحيم يتمنى المؤمن، ويقول: جز يا مؤمن؛ فإن نورك أطفأ ناري(248).

(247) ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج﴾: سورة النور، جزء من الآية 61.

(248) جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ ناري: إشارة إلى الحديث: تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جز يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي.

قال الألباني: في السلسلة الضعيفة والموضوعة. وأخرجه الطبراني في الكبير وتمام الفوائد... وأبو نعيم في الحلية... عن منصور بن عمار: أخبرنا بشير بن طلحة عن خالد بن دريك عن يعلى بن منية مرفوعًا. ahlalhdeeth.com.

ورد في الأثر: أن عظيمًا جاء إلى قبر عزيز. وأدرك أنه كان قد احتجب عن الدنيا. وأقام على قبره أربعين يومًا، حتى استقام أمره.

تعال، وقل، كيف يكون طلوع الشمس هذا، ودورة الفلك في ظنك؟ ذلك التفسير الذي يفسره المنجمون عن ظاهر القرآن، يصير مفهومًا هكذا تعال حتى ننظر. المؤمن مفتش. من ثم ذلك الشيء المعقول من النجوم ينبغي قبوله. مثلًا: أنا شافعي، ووجدت شيئًا في مذهب أبي حنيفة، يرقي به شأني، ويحسن به عملي. إذا لم أقبله، يلح عليَّ.

مقام العارف

هذا العارف مطَّلع على أحوال الجميع، كل كلام يسمعه، يندهش له؛ لأنه يعلم في أي مقام ذلك المتكلم، ويدرك مقامات كل شخص، ويشكر الله على أنه لم يجعله أسير ذلك المقام، وقد جاوزه. وله عباد كثيرون. أراد من كل عبد معنى وحكمة، وذلك العارف مطَّلع على حال الجميع، وهم لا يرونه. وهناك آخر مطلع على هذا العارف، يراه، ولا يراه شخص آخر سوى الله.

الله هو الله

قال: لقد خرج بالأمس من بطن أمه. ويقول: أنا الله. وإنني أتبرم من ذلك الإله الذي ولدته الأم الفلانية. الله هو الله.

الكلام السخيف

كان يقول: جاء فلان من سفر بعيد بسبب شهرة الشيخ فلان. لما وصل، قال له الشيخ: لماذا جئت؟ قال: لطلب الله. قال: جعل الله سوطًا في الهواء، واستعمله مع شخص. هكذا حدث، فاذهب، وعد. قلت: لقد تحدث بكلام سخيف. وقال كفرًا. والكفر سخف. وشتمته في ذلك الوقت، وطردته، ولم أترك نجم الكبرى(249) ولا خوارزم ولا الري.

(249) نجم الدين الكبرى: هو أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الله الملقب بالطامة الكبرى لشدة فطنته وحدة ذكائه وتفوقه على كل مَن يناظره ويجادله. ثم غلب عليه ذلك اللقب، فحذفوا الطامة، ولقبوه بالكبرى، واشتهر بنجم الدين الكبرى. ولقب أيضًا بـ «شيخ ولي تراش» أي الشيخ صانع الأولياء؛ لأن كثيرًا من مريديه بلغوا مرتبة الولاية. ينسب نجم الدين إلى مسقط رأسه خيوق التابعة لخوارزم، ويقال له: الخيوقي الخوارزمي. تعلم نجم الدين الحديث في الإسكندرية على يد أبي طاهر السلفي أحمد بن محمد م 567 هـ، ودرس الرسالة القشيرية في همدان على يد أبي الفضل محمد بن سليمان الهمداني م 569هـ. كما درس كتاب مصابيح السنة في تبريز على يد الإمام أبي منصور محمد بن أسعد بن حفده العطاري النيسابوري م 571 هـ أو 573 هـ.

وتعلم الحديث في نيسابور أيضًا على يد أبي المعالي عبد المنعم بن عبد الله بن محمد النيسابوري م 587 هـ. والتقى في تبريز بالشيخ بابا فرج التبريزي، الذي جعله يترك الدرس والتحصيل، ويتجه إلى التصوف. وارتدى الخرقة على يد عمار ياسر م 590 هـ، وبلغ الكمال في التصوف، وأنشأ خانقاه في خوارزم، وتجمع حوله المريدون. ومن أشهر مريديه: مجد الدين البغدادي 616 هـ بهاء الدين ولد م 628 هـ، وشهاب الدين أبو حفص السهروردي م 632 هـ، ونجم الدين دايه الرازي م 654 هـ. واستشهد سنة 618 هـ في غارة المغول على خوارزم.

انظر: نجم الدين كبرى: فواتح الجمال وفواتح الجلال: تحقيق د. يوسف زيدان، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية 1419 هـ - 1999 م، ص 149. رضا قلي هدايت: كتاب مستطاب تذكرة المحققين موسوم به رياض العارفين، چاپخانۀ: آفتاب، طهران، تيرماه 1316، ص 239، 240 نفحات الانس مع حواشٍ مفيدة، مطبع نامي منشي نول كشور لكهنو، باهتمام بابو منوهر لال بها كوسير، مندسي مطبع ص 375 378. ميرزا محمد على مدرسي: ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب، جلد ششم، چاپ دوم،

تبريز، كتابخانۀ شفق، ص 143. تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى، الجزء الخامس، ص 11. منوچهر محسني: تحقيق در احوال وآثار نجم الدين كبرى اويسي، تهران 1346 هـ. ش ص 10، 15. سعيد نفيسي: جستجو در احوال وآثار تاريخي فريد الدين عطار، تهران

1320 هـ. ش ص 36. وبديع الزمان فروزا نفر: شرح احوال ونقد وتحليل آثار شيخ فريد الدين محمد عطار نيشابوري، چاپ دوم، بهمن ماه 1353 هـ. ش، ص 19. غياث الدين بن همام الدين المدعو به خواندمير: تاريخ حبيب السير، انتشارات كتابخانهٔ خيام، جلد اول از مجلد سوم، ص 36.

لست حزينًا

لماذا أحزن؟ ما دام الحق تعالى لم يضن بسرِّه على هذا العبد. أي سر يضن به؟ لكن لو يحجب عنه الأسرار الدنياوية، فلا خوف عليه، لأنه قال: أنا أعلم بأمور دينكم، وأنتم أعلم بأمور دنياكم(250). ولذاك سبب، ولهذا سبب أيضًا. ﴿وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غدًا وما تدري نفسٌ بأي أرض تموت﴾(251).

(250) أنا أعلم بأمور دينكم، وأنتم أعلم بأمور دنياكم:

إشارة إلى الحديث: عن هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ سمع أصواتًا؛ فقال: ما هذه الأصوات؟ قالوا: النخل يأبرونه، فقال: لو لم يفعلوا لصلح ذلك، فأمسكوا، فلم يأبروا عامته، فصار شيصًا، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: كان شيء من أمر دنياكم فشأنكم. وكان شيء من أمر دينكم فإليّ. وفي لفظ مسلم: فقال: ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا. قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم.

أخرجه أحمد في مسنده، ومسلم في صحيحه، وابن ماجه في سننه. ahlalhdeeth.com.

(251) ﴿وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غدًا وما تدري نفسٌ بأي أرضٍ تموت﴾: سورة لقمان، جزء من الآية 34.

عالم الجوهر

قال ذلك الآخر: كنت في سفينة. فظهرت جوهرة مثل الشمس على وجه الماء. ألقيت نظرة على تلك الجوهرة؛ فأرادت أن تخطف نور عيني. فأخفيت عينيَّ بيديَّ. وكان يتحدث عن مشاهد البحر وعجائبه. فقلت: أتذهب للتنزه؟ أتريد التفرج؟ تعال وتنزه بداخلي. تفرجتَ على عالمك، وتنزهت في باطنك. فتفرج على عالمي وباطني.

همتنا

ظن ذلك الآخر أن حالنا شابه النقص. ويقول لأصحابه: إنهم خصوم لنا. أرأيت ماذا فعلت الهمة(252) بنا؟ أيها الشبيه بالمرأة الحقيرة، هل تعلم ما الهمة؟ اذهب، وتوضأ، وصل، وتب، وقل: كنتُ كافرًا، وآمنت. وعدتُ عن الكفر أو اشتر قطنًا(253)، واذهب، واجلس، واغزله. من أنت؟ يتمنى الرجال الشجعان أن يضعوا قدرين من الماء على بابي.

(252) الهمة: الهمة هي: التوجه إلى الحق بالكلية مع الأنفة من المبالاة بحظوظ النفس من الأغراض والأعواض، والأسباب والوسائط كالعمل والأمل والوثوق به. وتعني: تعلق القلب بالنعيم الباقي، وصرف الرغبة عن الفاني، والجد في الطلب من غير التواني. وهي أيضًا: توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانب الحق لحصول الكمال له أو لغيره.

عبد الرازق الكاشي: معجم اصطلاحات الصوفية، ص 304. د. أنور فؤاد أبي خزام، معجم المصطلحات الصوفية، ص 179.

(253) اشتر قطنًا واغزله: إرسال القطن والمغزل إلى شخص كناية عن أنه لا يعد جديرًا بالقيام بأعمال الرجال.

انظر: مقالات شمس تبريز، تصحيح محمد علي موحد، ص 497.

قرآن العامة وقرآن الخاصة

ليس هناك أي شيء أسمى من القرآن، وليس هناك شيء أسمى من كلام الله. لكن هذا القرآن الذي أنزله من أجل العامة وللأمر والنهي والإرشاد، له ذوق. وذلك الذي يتلوه الخواص، له ذوق آخر، والله أعلم.

خرقة كامل التبريزي

سألوا الشيخ محمد: ماذا كانت تعني خرقة كامل التبريزي(254) بالنسبة له؟ قال: مثل العصفور الذي كان يقع في مخلب باز. بعد ذلك كان الباز يقول: لماذا أذبحه؟ أطلق سراحه؛ حتى يعيش من أجل نفسه.

(254) كامل التبريزي: ورد ذكر كامل التبريزي في مناقب أوحد الدين الكرماني م 635 هـ على النحو الآتي: كان الشيخ أوحد الدين الكرماني رضي الله عنه في قيصريه. وكان هناك شخص مجذوب يطلقون عليه كامل التبريزي. كان السلطان علاء الدين والأمراء يبجلونه ويحترمونه، ويبدون الاعتقاد فيه والإرادة له. وحظي بقبول الخلق.

انظر: شمس الدين تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح ومقدمهٔ احمد خوشنويس عماد، ص ي من المقدمة.

الزنبيل

سأل عن الغرض من هذا الزنبيل(255)؟ فقال: أريد أن أستوعب كلام المشايخ، وعندئذ أتحدث رعاية لحرمة كلامهم. ولو أنهم قد قالوا: إنهم يتسولون في البداية، ويضعون ما يتسولونه أمام الكلاب في الخلوة بعد ذلك، لما يبلغ الحال هذه الدرجة، يضعونه أمام الدرويش. ولا يأكله. وبعد ذلك لما يصل الحال إلى مثل هذه الدرجة، يأكله. هذا ظاهر. والسر في هذا: أن شخصًا يمله شيخ أو صاحب. من ثم يذهب، ويسأل كل مَن ظن أن له قلبًا من الأموات والأحياء. بعد ذلك لا ينسى نفسه أيضًا، ويهتم بتصفية قلبه، وينزوي في زاوية، وينصرف في منتصف الليل عن الزوجة والأطفال إلى زاوية في المنزل، ويبكي منتحبًا، حتى يحين الوقت، ويصفي له القلب، عندئذ يسجد ويشعر بالصفاء غالبًا، ويتضرع؛ حتى يعيده الحق تعالى خالصًا إلى ذلك الشخص.

(255) الزنبيل: المراد: الزنبيل الذي كان يضعه شيوخ الصوفية في يد المريد في بداية أمره، حتى يطوف به في المدينة، ويتسول؛ بهدف القضاء على عجبه وغروره.

انظر: مقالات شمس تبريز، تصحيح محمد على موحد، ص 916.

ذلك الذي لا يكون صالحًا، ييأس الجميع منه. وأرغب أنا في إصلاحه، وأجعل غير الممكن ذلك ممكنًا. قدرتي مثل ﴿وأُبرئُ الأكمه والأبرص﴾(256) الذي فقد الأمل. أهتمُّ بالرفيق، وأعتني بالصاحب. اسلكْ أنت الطريق على هذا النحو. ومن ثم اتضح حال أوليائي وأحبابي ومحبيني.

(256) ﴿وأُبرئُ الأكمَهَ والأبرص﴾: سورة آل عمران، جزء من الآية 49.

النهاية تكمن في البداية

النهاية هي الرجوع إلى البداية(257). لها معنى ظاهر يعني كما أنه كان يتعبد في الظاهر ويسبح ويهلل في البداية، ولم يكن يحجبه حجاب. ثم وَلِه بعد ذلك. فلا يمكن أداء تلك العبادة من دون اختيار. «حسنات الأبرار سيئات المقربين».

(257) النهاية هي الرجوع إلى البداية:

سُئل الجنيد عن النهاية، فقال: هي الرجوع إلى البداية. وقد فسر بعضهم قول الجنيد، فقال: معناه أنه كان في ابتداء أمره في جهل، ثم وصل إلى المعرفة، ثم رد إلى التحير والجهل، وهو كالطفولية يكون جهل، ثم علم، ثم جهل.

مقالات شمس تبريز، تصحيح محمد علي موحد، ص 917.

ما معنى هاها؟

كل صاحب لنا يتعبد أكثر مما كان يتعبد في البداية. وإلا لا أسميه صاحبًا. ذلك الكلام الذي كان يجري بالأمس عن قدر أبي يزيد والجنيد. وقد افتضح الحلاج وهلك أيضًا. اقبلوه، فإنهم لا يساوون شعرة على جسده. وأبو سعيد ذلك الذي كان يتناول الحشائش اثنتي عشرة سنة وذلك الطريق الذي كان قد سلكه. لم يكن يفهم هذا الكلام، وحين تقول له هذا الكلام، يقول: هاها، ما معنى هاها؟ كيف تكون هاها؟ من ثم أي فتنة أثرتها في العالم. كان يصيح، ما هي؟

تأويل الأحاديث

إن تأويل الأحاديث عمل عظيم، والدرجة الرفيعة هي: أن يعرف مقصود المتحدث من حديثه. لقد كان يوسف الصدِّيق نبيًّا عظيمًا، وكان يفتخر، ويشكر الله لعلمه بتأويل الأحاديث.

[الأنبياء في حسرة حضوره، وإنما أقول هذا لأنه يطيب له، وأنا على زعمه هذا، وإلا أنا ما أرى لنفسي فضلًا، فخرج مني كلام يطيب له، وذلك ليس حالي. إلا أني إذا مللت يومًا من الكلام، آخذ بعنق واحد من هذه الكلمات، تمر عليَّ من أين؟ يقول: من الله، إلى أين؟ يقول: إلى رجل كبير، وهو أقول إيش أنا في الوسط؟ إيش تمر عليَّ؟ مر على بيت رجل بملول من مرور، أخاف أعمل هكذا، يقطع المرور مني، وانحسر على ذاك، أفضله على أخيرهم، أما المصطفى عليه السلام لا أقول، لأن أمره عظيم، إن الله غمسه في بحر الكرم، غمسه فأخرجه، فقطر منه قطرات النور، خرج من كل قطرة منه نبي، وبقي من القطرات، فخلق من ذلك الأولياء، فكيف أقر به، إلا أقول أفضل ممن بعده، وكيف أقرن به أحدًا. والذي وصل إليَّ بلا العلم والعقل والكد، ذلك ببركات متابعته. وأول كلام تكلمت معه كان هذا: أما أبا يزيد ما لزم المتابعة، وما قال سبحانك ما عبدناك، فعرف مولانا م إلى التمام والكمال هذا الكلام، وأما هذا الكلام إلى أين مخلصه

ومنتهاه؟ فسكر من ذلك لطهارة سره، لأن سره كان نقيًّا طاهرًا، وظهرا عليه. وأنا عرفت لذة ذلك الكلام بسكره، وكنت غافلًا بمن لذة هذا الكلام. وأما قولي بأن هذا الكلام ليس حالي، إما أن يكون حالي أعلى عن هذا أو أدنى منه. ولكن ما قر هذا الكلام، وأما قولي على أحد آخر بزمان. الحق ليس بزمان، الحق لا يموت في الحقيقة. أي مقام ذلك الذي تجلبه في زمان، الحق لا يموت بالزمان. لكنك لست ذلك الذي لك اسم، لقد لحق بك الاسم. يجدر بالمريد أن يبجل شيخه كثيرًا. قال: سل مريده.] نص عربي غير مترجم.

التوحيد

سألوا شخصًا: شيخك أفضل أم أبو يزيد؟ قال: الشيخ. قالوا: شيخك أفضل أم محمد ﷺ؟ قال: الشيخ. قالوا: شيخك أفضل أم الله تعالي؟ قال: لقد وجدت الوحدة والتوحيد هناك، ولا أعرف شيئًا غير تلك الوحدة.

التشبيه

مَن يكون المشبِّه؟ هو وذلك المسجع والمشبه؟ نحن روحان حللنا بدنًا. هذا هو التشبيه. لكن الطريق إلى ذلك التشبيه طويل، وهو نهاية الطريق. والكلام كثير من ذلك التشبيه إلى عالم التوحيد.

بماذا تُسمَّى علاقتنا؟

ينبغي أن يتضح لي على أن نحو تكون حياتنا معًا؟ إخاء وصحبة أم مشيخة وإرادة؟ هذا لا يطيب لي. أستاذية وتلمذة؟ إنهم يقولون السوء على لسانه. الشخص الذي يريد أن يبدل لفظًا، ويبقى على المعنى ذاته. هكذا يقولون عن ولايتنا، ويستاءون منها. ما أطيبه من حمار المقلد الذي يسميهم حميرًا!

على كل حال إنك تقر بفضلي عليك. إنني لا أقول ذلك: هذا هو رأيي، أقوله من دون تأويل. إذا كان هناك سبب للفراق، لكان هذا. وذلك الذي لم تعلمني إياه، كيف أتعلمه هنا. إن الذهاب إلى الشام رفاهية ورغد... إنني أريد العمل، وأهتم بالعمل. مثلًا لما أستاء، تستاء. لما أضحك، تضحك. لا أُسَلِّم، فلا تُسَلِّم أنت أيضًا. هكذا يبدو أن لك عالمًا مستقلًّا فارغًا عن عالمنا. وأنك تخلط أيضًا بين كتاباتنا وكتابات الآخرين أحيانًا. إنني لا أخلط بين مكتوبك والقرآن. ومع أنك فضلت الدعوى، لكنني لم أدَّعِ. وحين أقول: اكتب شيئًا، تتكاسل.

رُوي عن عمر رضي الله عنه، قال: كنا في صلاة جنازة في مقبرة بقيع، فأتانا رسول الله ﷺ، فقال: ما من رجل وامرأة إلا وقد كتب مقعده من الجنة أو النار. قالوا: فلا نتكل على كتابنا. قال:

اعملوا فكل ميسر لما خلق له(258). أما من خلق للجنة، فييسر لعمل أهل الجنة. وأما من خلق للنار؛ فييسر لعمل أهل النار. ثم قرأ: ﴿فأمَّا مَنْ أعطى واتقى* وصدَّق بالحُسنى﴾(259). وقوله: [برحت لنعم الرجل إلا أن فيه عيبًا أنه يحب النسيم، وأنه ليضحك الله في كل يوم سبعين مرة. قال علي رضي الله عنه للشاهد الرابع: كيف تشهد؟ قال: دخلت بيتًا... وما رأيت أكثر من هذا. حصلت على شيء من شخص. مثلًا كل من كان ينطق، كان يُعظم. حذرًا عن فوات ما هو المقصود، والله أعطى ذلك، وتغير به الحال، ولولا هو ذلك الفقر، لما

حصل بتعظيمه هذا المعنى، إلا أن ذلك في العقيدة الثانية ينبغي أن يكون في المعاملة كالآخرين، لأني لما رأيت فضلكم في الأنواع، لا أستجيز منكم الجلوس بالتذلل. أما الشيخ أبو بكر(260) كان عنده الفقراء إذا دخل على الشيخ من أعوان الوزير أو غيرهم من الناس، كان تعظيمهم له مأية جزو مما كان قبل دخول الأجانب، ويقومون ويقعدون من بعيد بالأدب، إذا دخل واحد، وكان للشيخ منهم فراغة، وغيره من المشايخ كان يموت على دخولهم.] نص عربي غير مترجم.

(258) ورد هذا الحديث في صحيح البخاري على هذا النحو:

حدثنا آدم، حدثنا شعبة، عن الأعمش، قال: سمعت سعد بن عبيدة، يحدث عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في جنازة، فأخذ شيئًا، فجعل ينكت به الأرض، فقال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار، ومقعده من الجنة. قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل؟

قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة، فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء، فييسر لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فأما من أعطى واتقى* وصدق بالحُسنى﴾. الآية. جامع السنة وشروحها. hadithportal.com.

(259) ﴿فأَمَّا مَنْ أعطى واتقى* وصدَّق بالحُسنَى﴾: سورة الليل، الآيتان 5 و6.

(260) الشيخ أبو بكر: المقصود الشيخ أبو بكر النساج التبريزي. كان من مشايخ العصر الكبار، وكان شمس مريدًا له في شبابه.

انظر: مقالات شمس تبريز، تصحيح محمد علي موحد، ص 919.

* * *

المعرفة

ما دمت أريد السلوك، يلزمني معشوق. يسألون الناس لو أنهم يعلمون، لكنهم يتحولون من حال إلى حال. حتى تعلم أن هذه الأعمال لا علاقة لها بالباطن أبدًا. لأن قوة الباطن تتطلب أن يقول: إنني لا أرى شيئًا قط ولا أستمع إلى قول شخص. وقد جرى لفظ المعرفة هذا والدرويش على لسان كل شخص منهم. أنهم يفهمون لَمَّا يستمعون. أيها السيد، ينبغي تغيير اسم المعرفة إلى شيء آخر، معارة من هؤلاء الذين تحدثوا عنها.

الفتنة التي راحت ألف روح ضحية لها

أي مجال فيها للطبالين المتسكعين

أي مجال لإصلاح هذه الظواهر؟ ذلك الوقت الذي كان قد جاء فيه باعتقاد كامل ورغبة صادقة. كان يتذلل لي أربع مرات، ويبكي قائلًا: لقد سمعتَ من مولانا، وأدركتُ حال مولانا. إنه لم يفقد القدر من دوننا، ولم يهن. غشي بصرك. فلا تنم هناك؛ فتبلى. لا تجالس أهل الهوى؛ فتذل. ينبغي عليك التفكير. إنه لم يتغير. إنه لم يكن على بصيرة منذ ارتداء الخرقة حتى النهاية. مَن صحبتُ مِن أهل الهوى، ففقدتُ الذوق؟

إن تصلح من نفسك، لا يصدق عليك خطاب زُرْ غِبًّا. لما تسمع هذا الخطاب بلسان الحال، تذهب إلى الخلوة وتبكي على نفسك بلسان الحال منتحبًا، وتقول: ماذا حدث لي؟ وماذا جرى؟ هل هذا الخطاب موجه لي؟ أليس هذا الخطاب للصديق وللصحابة الآخرين. وتذرف دمع العين؛ حتى تجد الذوق والراحة. زُرْ غِبًّا، اذهب، ما دمت لا تبالي وما تملكه يذهب هباء على أمل الزيادة.

السبب في هذا أنه كان يرفع نعل المصطفى ﷺ، ويمسح به عينيه، ويضعه على رأسه، وفي هذه المرة انتعل نعليه، ولم يقولوا هذا. هذا هو السر. وسوف أفشيه. قال: كان يضعه في البداية على الرأس وفي العين. وكنت أنا أتألم

بالله، لأن نعلي صار حقيرًا إلى حد أنه يصل إلى رأسه وعينه. الآن فقدتَ المكانة؛ لأنني أبدو في نظرك عديم القيمة. فلا تنظر إليَّ نظرة تحقير. الغرض من زُرْ غِبًّا هو أنهم ينظرون إليَّ تلك النظرة بعد غب جهلًا، انظر إليَّ مجددًا؟ إنني لم أصبح هرمًا مطلقًا فلا تصير أنت كهلًا. وإذا بدا الهرم في نظرك، ارجع. ما سبب العجب؟ لقد جلست مع أهل الهوى، فماذا حدث؟ العيب فيك ليس في زُرْ غِبًّا، يعني انظر إليَّ على عجل في الحقيقة، وواظب على ما ينفعك، فأنا مواظب. أثبِتْ وجودك، وقد أثبت أنا وجودي. إنك تثبت وجودي من دون إثبات وجودك. لما أثبتَ وجودي بإثبات وجودك أصبحتَ قوي الإثبات. قلتَ لي: إنك أثبتَّ وجودي. فنهضت الملائكة، ودعت لك بطول العمر. أي حديث يليق بوجود الله، والله موجود. أثبت وجودك، فتثني عليك الملائكة طوال الليل، لأنك أدركت وجود الله. طوبى لمن رآني وطوبى لمَن رأى مَن رآني(261). وكذلك الحال لو يكررها مائة مرة.

كل مَن رآني، أراه. من ثم يكون مثلي. يتحدث متحدث بهذا الكلام، ويتأمل، فهل فهموا؟ ويغالط. هو الآخر والأول. لا بد لكل مَن يشرب الخمر أن يثمل. ربما يصبها في دن حتى يعتدل مزاجه. إذا فهمتَ الكلام، تلاشيتَ، وفنيت. ما دمتَ رأتيني، ورأيتُ أنا مولانا. فكأنك رأيتَ مولانا طوبى لمَن رآني. لقد قلتُ أنا نفسي مائة مرة: إنني لا أملك تلك القوة حتى أرى مولانا. ويقول مولانا في حقي القول نفسه. لكن الصاحب في رأيي هو مَن يضحي بنفسه بعد مولانا، ولا نجده؛ لأنه مات. من ثم اغتنموا اجتماع الأصحاب.

(261) طوبى لمن رآني: إشارة إلى الحديث: طوبى لمَن رآني، وآمن بي، ومَن رأى مَن رآني، ومَن رأى مَن رأى مَن رآني.

الراوي: أنس بن مالك.

المحدث: الذهبي.

المصدر: ميزان الاعتدال.

خلاصة حكم المحدث: فيه يغنم بن سالم ذكر من جرحه.

أخرجه: الطبراني في المعجم الأوسط، وابن عدي في الكامل في

الضعفاء، والدارقطني في المؤتلف والمختلف باختلاف يسير.

الموسوعة الحديثية، الدرر السنية.

.daorar.net

ذلك الذي قال: إن اختياري هو: أن أركب الحمار، وأسوق الثور، وأذهب إلى البستان. قال: إنك لست ذلك المدلل. إنه العلم والتلون في العلم، وهذا صعب وجليٌّ. وفي التجلي تلون، وكما أن ذلك التجلي فيه تلون، فإن التلون يسري في التجلي، ويظهر.

دأبت النفس المطمئنة على الاستمرار، فأدركت البلوغ والنضج بعد ذلك. والاستمرار شيء باقٍ لحق بالحق. قوله: ﴿فادخُلي في عبادي﴾(262) بعد ذلك ليست لها حاجة بسبب التأكيد. ﴿وادخُلي جنتي﴾ يعني أنه يقسم بالنفس اللوامة، ولا يقسم بالنفس المطمئنة؛ لأنها أعز منها.

(262) ﴿فادخلي في عبادي* وادخلي جنتي﴾: سورة الفجر، الآيتان 29، 30.

* * *

المراجع

أولًا : المراجع العربية :

1 - أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي: عوارف المعارف، مكتبة القاهرة مصر 1393 هـ - 1973 م.

2 - أبو نصر عبد الوهاب السبكي (تاج الدين): طبقات الشافعية الكبرى، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى، الجزء الخامس.

3 - أبو نصر السراج الطوسي: اللمع، حققه وقدم له د. عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، 1380 هـ - 1960 م.

4 - أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (القاضي عياض): الشفا بتعريف حقوق المصطفى، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه حسين عبد الحميد نيل، دار الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

5 - أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني: اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر، صححه الشيخ عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الجزء الأول.

6 - إحسان الملائكة: جلال الدين صائغ النفوس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان .

7 - أحمد السرهندي الفاروقي: المكتوبات الربانية، جمعها يار محمد الجديد البدخشي الطالقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

8 - إسماعيل بن محمد العجلوني: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتُهر من الأحاديث على ألسنة الناس، صححه الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الجزء الأول.

9 - الحافظ أبو محمد الإشبيلي: كتاب التهجد وما ورد فى ذلك من الكتب الصحاح، حققه وعلق عليه مسعد عبد

الحميد السعدني، أبو عبد الله محمد بن الحسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

10 - الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، 1372 هـ - 1952 م.

11 - سبنسر ترمنجهام: الفرق الصوفية فى الإسلام، ترجمة ودراسة وتعليق د. عبد القادر البحراوي، دار المعارف الجامعية، منتدى سور الأزبكية 1994.

12 - صادق الساعدي: نافذة على الفلسفة، المركز العالمي للعلوم الإسلامية، طبعة توحيد. Books.rafed.net.

13 - صلاح الدين التيجاني: زبدة الفتوحات المكية، محيي الدين بن عربي، اختصار وتقديم: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م، الجزء الأول.

14 - عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي: شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده فى الحديث وعلومه، دار العاصمة للنشر و التوزيع، الجزء الرابع.

15 - عبد الكريم بن هوازن القشيري: الرسالة القشيرية فى علم التصوف، وعليها هوامش من شرح زكريا الأنصاري، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده.

16 - عبد الكريم بن هوازن القشيري: لطائف الإشارات، تعليق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الجزء الأول.

17 - عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ابن قيم الجوزية): مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق وتعليق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي،

بيروت، لبنان، الطبعة السابعة 1423 هـ - 2003 م ، الجزء الثالث.

18 - علي بن أبي بكر الهيثمي ، أبو الحسن، نور الدين، المصري: كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، القاهرة.

19 - فخر الدين الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،

دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، المجلد الثالث عشر.

20 - فريد الدين العطار النيسابوري: تذكرة الأولياء، ترجمة وتقديم وتعليق د. منال اليمني عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى 2006م، المجلد الأول.

21 - فريد الدين العطار النيسابوري: تذكرة الأولياء، ترجمة وتقديم وتعليق د. منال اليمني عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2009م، المجلد الثاني.

22 - د. كامل مصطفى الشيبي: شرح ديوان الحلاج، منشورات الجمل.

23 - محمد بن طولون الصالحي: الشذرة في الأحاديث المشتهرة، تحقيق كمال بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الجزء الثاني.

24 - محمد بن محمد الحسيني: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، كتاب قواعد العقائد، كتاب أسرار الطهارة،

دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الجزء الثاني.

25 - محمد بن محمد الغزالي (أبو حامد): إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الجزء الرابع.

26 - د. محمود رجب: فلسفة المرآة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى 1994 م.

27 - محيي الدين أبو محمد عبد القادر القرشي الحنفي: الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، تحقيق د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية 1413 هـ - 1993 م، الجزء الثالث م-ي.

28 - محيي الدين بن عربي: فصوص الحكم، تعليقات أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الجزء الأول.

29 - نجم الدين الرازي: منارات السائرين إلى حضرة الله جل جلاله ومقامات الطائرين، تحقيق د. عاصم إبراهيم

الكيالي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

30 - نجم الدين كبرى: فوائح الجمال وفواتح الجلال، تحقيق د. يوسف زيدان، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية 1419 هـ - 1999م.

31 - كتاب بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة. alseraj.net.

ثانيًا: المراجع الفارسية:

32 - امير دولتشاه بن علاء الدوله بختيشاه الغازي السمرقندي: كتاب تذكرة الشعراء، بسعي واهتمام وتصحيح ادوارد برون انكليسي، ليدن.

33 - بديع الزمان فروزانفر: شرح احوال ونقد وتحليل آثار شيخ فريد الدين محمد عطار نيشابوري، چاپ دوم، بهمن ماه 1353 هـ. ش.

34 - بديع الزمان فروزانفر: مولانا جلال الدين محمد مشهور به مولوى، انتشارات معين، تهران، چاپ سوم 1387.

35 - جلال الدين همائى: مولوى نامه، مولوى چه مى گويد؟ جلد دوم.

36 - خطيب الفارسى: قلندرنامۀ خطيب فارسى يا سيرت جمال الدين ساوجى، تصحيح وتوضيح د. حميد زرين كوب، چاپخانۀ خواجه، انتشارات توس، بهار 1362.

37 - د. ذبيح الله صفا: تاريخ ادبيات در ايران از اوايل قرن هفتم تا پايان قرن هشتم هجرى، جلد سوم از اوايل قرن هفتم تا پايان قرن هشتم هجرى، بخش اول، چاپخانۀ تابش، چاپ هفتم، تهران 1369.

38 - رضا زاده شفق: تاریخ ادبیات در ایران برای دبیرستانها، تاریخ ادبیات برای سال ششم ادبی، شرکت سهامی طبع مؤسسهٔ انتشارات امیر کبیر، 1369، قسمت دوم.

39 - رضا قلی هدایت: ریاض العارفین، چاپخانهٔ آفتاب، طهران، تیر ماه 1316.

40 - سلطان ولد: ولد نامه، به تصحیح جلال الدین همائی، به اهتمام ماهدخت بانو همایی، مؤسسهٔ نشر هما، تهران، چاپ اول 1376.

41 - سعید نفیسی: جستجو در احوال وآثار تاریخی فرید الدین عطار، تهران 1320 هـ. ش.

42 - سعید نفیسی: سرچشمهٔ تصوف در ایران، کتابفروشی فروغی، مهرماه 1343 .

43 - شمس الدین احمد افلاکی: مناقب العارفین، باتصحیحات وحواشی وتعلیقات بکوشش تحسین یازجی، دنیای کتاب، چاپ دوم، تهران 1362، جلد دوم .

44 - شمس الدین محمد تبریزی: مقالات شمس تبریزی، تصحیح وتعلیق محمد علی موحد، شرکت سهامی خوارزمی، چاپ چهارم، تهران، دی ماه 1391 هـ.ش.

45 - شمس الدین محمد بن ملك داد تبریزی: مقالات شمس تبریزی، بتصحیح وتحشیه ومقدمه احمد خوشنویس عماد،

مؤسسۀ مطبوعاتی عطائی، تهران 1349.

46 - د. عبد الحسين زرين كوب: جستجو در تصوف ايران، مؤسسۀ انتشارات امير كبير، چاپخانۀ سپهر، چاپ پنجم، تهران 1376.

47 - عز الدين محمود بن علي كاشانى: مصباح الهداية ومفتاح الكفاية، مقدمه، تصحيح، توضيح، جلال الدين همايى، انتشارات سخن، مؤسسۀ نشر هما، تهران چاپ دوازدهم 1394.

48 - غياث الدين بن همام الدين (خواندمير): تاريخ حبيب السير، انتشارات كتابخانۀ خيام، جلد اول از مجلد سوم .

49 - قاسم غنى: بحث در آثار وافكار واحوال حافظ، جلد

دوم تاريخ تصوف در اسلام وتطورات وتحولات مختلفۀ آن از صدر اسلام تا عصر حافظ، انتشارات هرمس، چاپ اول، تهران 1386.

50 - د. محمد رضا شفيعى كدكنى: قلندريه در تاريخ دگرديسيهاى يك ايدئولوژى، انتشارات سخن، تهران، چاپ سوم 1387.

51 - محمد علي مدرسي: ريحانة الأدب فى تراجم المعروفين بالكنية واللقب، چاپخانۀ شفق، تبريز، چاپ دوم، جلد ششم.

52 - محمد هادى رضا قلى خان متخلص به هدايت: تذكرۀ رياض العارفين، بكوشش سيد رضى واحدى وسهراب زارع.

53 - محمود كوير، نگاهى به تاريخ انديشه در ايران، booksgoogle.com.eg.

54 - منوچهر محسنى: تحقيق در احوال وآثار نجم الدين كبرى اويسى، تهران 1346 هـ. ش.

55 - نور الدين عبد الرحمن جامى: نفحات الانس من حضرات القدس.

56 - نور الدين عبد الرحمن جامى: نفحات الانس مع حواشى مفيده، باهتمام بابو منوهر لال بها گوسپر، مطبع نامى منشى نول كشور، لكهنو.

57 - هرمان اته: تاريخ ادبيات فارسى، ترجمه باحواشى دكتر رضا زاده شفق، بنگاه ترجمه ونشر كتاب، تهران 2536.

ثالثًا: المقالات العربية:

58 - إحسان بن محمد العتيبي: الحديث الشريف، 27 شوال 1428 هـ - 8 / 11 / 2007 م. Midad.com.

59 - جهاد عبد الله الكندري، د. أشرف محمود القضاة: حديث الصورة (خلق الله آدم على صورته) دراسة نقدية، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، الجزء 27،

العدد 1، 2019 م.

60 - د. منال اليمني عبد العزيز: التوحيد عند أحمد الجامي ومحيي الدين بن عربي، حوليات آداب عين شمس، دورية علمية محكمة، المجلد 46، العدد الأول، يناير – مارس 2018 م.

61 - د. منال اليمني عبد العزيز: الفتوة وفريد الدين العطار النيسابوري، كتاب مؤتمر الدراسات الشرقية بكلية الآداب جامعة عين شمس، تحت عنوان معطيات الحضارة الإسلامية للغرب، 1424 هـ - 2002 م.

62 - د. منال اليمني عبد العزيز، القلندرية الصوفية من خلال منظومة قلندرنامۀ خطيب فارسي يا سيرت جمال الدين ساوجي، سيرة القلندر لخطيب الفارسي أو سيرة جمال الدين الساوجي، حوليات آداب عين شمس، دورية علمية محكمة، المجلد 48، العدد الثالث يوليو - سبتمبر 2020 م.

رابعًا: المقالات الفارسية:

63 - سيد على كرامتى مقدم: قصۀ محمود واوصاف اياز، فصل نامۀ تخصصى ادبيات فارسى دانشگاه آزاد اسلامى مشهد. sid.ir.

64 - د. محمد خدادادى، د. مهدي ملك ثابت، جبر واختيار وحدوث وقدم از ديدگاه شمس تبريزى وبررسى بازتاب آنها در

مثنوی مولوی، فصلنامۀ پـژوهشهای ادبی سال 9، شماره 36، 37، تابستان وپاییز 1391. www.sid.ir.

65 - د. مهدی حسن زاده، پیمان ابو البشری: بررسی ریشه های تاریخی چهار ضرب قلندران، مطالعات اسلامی تاریخ وفرهنگ، سال چهل وچهارم، شمارۀ پیاپی 89، پاییز وزمستان 1391.

66 - مهدی سالاری نسب، مجملات مقالات شمس واهمیت آثار سلطان ولد در تبیین آنها، تاریخ دریافت: 18 / 6 / 1397، تاریخ پذیرش: 24 / 9 / 1397. ensani.ir.

67 - مهر انگیز نو بهار: عناصر سبکی مقالات شمس تبریزی بر اساس موازین زبان شناختی ، مجموعۀ مقالات همایش بزرگداشت شمس تبریزی، گردآورندۀ وحید آخرت دوست، ویراستار دکتر فاطمه مدرسی، انجمن آثار ومفاخر فرهنگی، چاپ اول 1378.

خامسًا: المعاجم العربية:

68 - أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، مراجعة د. جورج متري عبد المسيح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1993 م.

69 - عبد الرازق الكاشي: معجم اصطلاحات الصوفية ، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى 1413هـ - 1992 م.

70 - عبد المنعم الحفني: معجم مصطلحات الصوفية، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية 1407 هـ - 1987 م.

سادسًا: المعجم الفارسي:

71 - د. محمد معين: فرهنگ فارسى، تهران 1375 هـ . ش، جلد ششم اعلام غ - ى.

سابعًا: الموسوعات:

72 - محمد على التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة د. رفيق العجم، تحقيق د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية د.جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، الجزء الأول أ – ش، الجزء الثاني ص - ى.

73 - الموسوعة العالمية للشعر العربي. adab.com.

74 - الموسوعة العقدية: الدرر السنية.

ثامنًا: شبكة المعلومات العالمية:

- books.rafed.net
- hadithportal.com
- dorar.net

- Fa.m.wikipedia.org
- Ahlalhdeeth.com
- Sid.ir
- Midad.com
- Alseraj.net
- Islamweb.net
- Mawdoo3.com
- Marefa.org
- Adwhit.com
- Books.google.com
- Adab.com
- Ar.m.wikipedia.0rg